صلاح عبد اللطيف

الفلاشا

الخيانة والمحاكمة

الناشر
مكتبة مدبولي ـ القاهرة

الفلاشا

الخيانة والمحاكمة

الفلاشا

الخيانة والمحاكمة

صلاح عبد اللطيف

الناشــر
مكتبة مدبولي - القاهرة

الطبعة الأولى ١٩٨٦

﴿ الفهرست ﴾

صفحة

﴿ مقدمة ﴾

بقلم : د . محمد عمر بشير

لم تكن قضية الفلاشا وهى موضوع هذا الكتاب والتي اتهم فيها جعفر نميري ونائبه عمر محمد الطيب ـــ قضية مثلها مثل القضايا العديدة الاخرى التى كانت تعقد لها المحاكم في السودان بعد سقوط نظام آيار (مايو) في نيسان (ابريل) ١٩٨٥ .. إنها تختلف عن كل تلك القضايا في العناصر المكونة لها والمشاركة فيها من ناحية ، ومن ناحية اخرى في الابعاد السياسية والاقتصادية والفساد الذي ترتب عليها الأمر الذي جعل الكثيرين من داخل وخارج السودان يطلقون عليها « قضية العصر » .

لقد جلس آلاف السودانيين ولأكثر من ثلاثة اشهر يشاهدون كل ليلة المسلسل المثير وهم لا يكادون يصدقون بان الخيانة والفساد قد وصلت إلى هذه الدرجة العالية برئيس دولتهم « الديمقراطية » ونائبه . وهم أيضاً لا يصدقون بأن الذين كانوا يشاركونهم الحكم من الوزراء والحكام في الأقاليم والمستشارين وسفراء السودان في امريكا واوروبا واثيوبيا وكينيا حيث كانت تجرى وقائع الجريمة لم يكونوا على علم بالذي يحدث على مدى خمسة اعوام ، ولم يكونوا مصدقين بأن السفراء المعتمدين في الخرطوم لم يكونوا يعلمون . وحتى اولئك الذين سمعوا عن الفلاشا أو قرأوا عنهم وعن نقلهم من السودان إلى اسرائيل عبر اوروبا في الصحف الاجنبية وبعض الصحف العربية لم يصدقوا ماشاهدوه وما نقله اليهم التلفزيون السوداني .

ومهما كان حجب الحقائق بأن ماكان يجري لم يكن غائباً عن كثير من السودانيين ، خاصة أولئك الذين كانوا على صلة مع بعض رجال الخدمة المدنية ومع بعض رجال ونساء المعارضة ومع بعض الصحفيين الأجانب .. كثيراً ماكان هؤلاء يتحدثون عنها همساً من البداية وفيما بعد تحول الهمس إلى الحديث بصوت عال .

ومما يلفت النظر أن عملية نقل الفلاشا وتهجيرهم عن طريق السودان وبمعاونة وكالة المخابرات المركزية الاميركية والسفارة الاميركية قد جاءت في وقت الغى جعفر نميري اتفاقية أديس أبابا وفرض القوانين المسماة بـ « الشريعة الاسلامية » الأمر الذي أدى إلى انفجار الحرب مرة اخرى في جنوب السودان وإلى حالة من الفزع والخوف لم يعرفها السودانيون من قبل ، واصبح السودانيون يسمعون كل يوم ويقرأون اخبارا عن قطع الايدي وجلد النساء نتيجة لتطبيق القوانين التي اسماها كثير من علماء الاسلام وقادة المسلمين « قوانين نميري » واكدوا أنها تنافي الاسلام .

ومن الغريب ايضاً أن كثيراً من الصحفيين والصحفيات العرب قد هرعوا للسودان في هذا الوقت بالذات يهللون ويصفقون لاعلان حالة الطوارىء وللمحاكم الاستثنائية التي شكلت ولم يذكر واحد من هؤلاء كلمة حول ماكان يجري من نقل للفلاشا وماكان يحدث من فساد وقد كانوا يعلمون . لقد كنت واحدا من الذين سمعوا قصة تهجير الفالاشا من خلال الاهتمام بموضوع اللاجئين في السودان ، ومن خلال الدراسات والبحوث التي كان يقوم بها الباحثون بمعهد الدراسات الآسيوية الافريقية . بالاضافة إلى الحوار مع بعض الهيئات الاجنبية التي لها صلة بالمعونات والمساعدات التي تقدم للسودان . وبالرغم من كل هذا لم اكن احسب أن عملية نقل الفالاشا وتهجيرهم قد بلغت هذا الحد من الفساد والخروج على كل القيم ، الأمر الذي جعل توجيه تهمة ارتكاب جريمة الخيانة العظمى لجعفر نميري وعمر الطيب امراً لايثير شفقة ، لقد اثارت محكمة الفالاشا موجة من الكراهية للمتهمين والمتعاونين معهم وللولايات المتحدة الاميركية أكثر من أى محكمة من قبل في تاريخ السودان أو تلك التي كانت تجري في تلك الايام مثل محكمة بهاء الدين أو محكمة التهامي أو محكمة « مايو » .

والكراهية التي نشير اليها كراهية بسبب الفساد والرشوة . وأورد الاتهام أن الوثائق ذكرت أن اربعين مليون دولار تسلمها نميري وعمر الطيب والمتعاونون معهم ثمناً لتنفيذ العملية ، والفساد لا يعني فقط أن يطلب عمر الطيب مالاً كيفما كان يشاء ، ولكن أن يدفع له الممثلون الرسميون للولايات المتحدة الاميركية في سفارتها بالخرطوم والتي كان يعمل فيها جيري ديفر وميلتون وكلاهما مسؤول في المقام الأول عن كل ماحدث .

والصحافة الاميركية التي وصفت القضية بأنها قضية العصر ونقلت جزءاً منها لم توضح تفاصيل المبالغ التي دفعت وتفاصيل الذين تسلموا المبالغ الضخمة التي جمعها الصهاينة في امريكا وفي السودان وفي بلاد اخرى .

ومن ناحية اخرى اغفلت الصحافة الاميركية وغيرها شعور رجل الشارع السوداني وهو يجلس الساعات الطويلة كل ليلة يشاهد المحكمة والمتهمين والدفاع والاتهام وهو يعلم أن بطل القصة غير موجود في المحكمة وأن يد العدالة لم تمتد اليه بعد . وقد تخلى الشريك الاقوى والاهم في الجريمة عنهم اجمعين بعد أن ادوا المهمة التي طلب اليهم أن يؤدوها بكفاءة واقتدار وقبضوا الثمن .

ولقد غضب كثيرون عندما قال الدفاع بأن المتهم لم يكن يعرف بأن هؤلاء اللاجئين هم من الفلاشا اليهود المسافرين إلى اسرائيل وإنما هي تعليمات الرئيس يقوم بتنفيذها ، وغضبوا أكثر عندما نفى عمر الطيب رئيس جهاز الأمن القومي أن يكون للمخابرات الامريكية أي دور ، وانكر أنه يعرف شيئاً عن بعض التفاصيل التي جاء ذكرها في المحكمة ، كان الشعور بالازدراء والاحتقار شاملا لكل الذين جاء ذكرهم في المحاكمة ، وعندما اصدر القاضي حكمه لم يصفق له كثيرون لأنهم كانوا يعتقدون بأن الجريمة التي ارتكبت والتي اشتملت على خيانة عظمى وفساد كبير كانت تستحق عقاباً اكبر وأن ملف القضية يجب ألا يقفل حتى يحاكم المتهم الأول .

إن عملية نقل الفلاشا أو محاولة تهجيرهم من اثيوبيا إلى اسرائيل عبر السودان والتي تمت خلال الاعوام ١٩٨٢ ــ ١٩٨٥ لم تكن الأولى من نوعها في السودان فقد اقترح يهودي يدعى رابورت عام ١٩٠٠ أن ينقل اليهود الاثيوبيون إلى السودان ، ورابورت هذا كان قد زار اليهودالاثيوبيين نيابة عن العصبة اليهودية العالمية لكى يتفقد احوالهم وينصح بما يمكن عمله لتلك الطائفة التي كان يقدر عددها في القرن الثامن عشر بمائة الف يهودي . ولما كان رابورت ــ وهو من اصل اوكراني ــ قد تحصل على الجنسية البريطانية عام ١٨٩٨ وكان يسكن القاهرة فقد رأى أن يتقدم باقتراحه أولا إلى اللورد كرومر خاصة وأنه كان يعلم بأن الجماعات الصهيونية الاخرى لم تكن لترضى باقتراحة لأنها لاترى في غير اسرائيل وطناً لليهود . وقد ذكر رابورت في خطابه إلى كرومر بأن الذى يرشح السودان لهذا سعة اراضيه وخصوبتها وصغر حجم سكانه وأن انتقال اليهود الاثبوبيين اليه لم يكن يمثل انتقالا إلى بيئة تختلف عن بيئتهم .

ولقد اهتم كرومر بما اقترحه رابورت وتساءل عن الدوافع الأخرى التي كانت وراء الاقتراح ، وهل كان يعني محاولة للسيطرة على مصر من خلال السيطرة على مجرى النيل من السودان ، ولما لم يجد الاقتراح حماساً من كرومر أو من العصبة اليهودية العالمية التي كان

يعمل معها ارسله إلى إحدى المنظمات اليهودية ذات الاهتمام بالبحث عن وطن لليهود في افريقيا ، وبرز الاقتراح مرة اخرى عام ١٩٠٧ في تقرير كتبه يهودي آخر يدعى ابراهام جالانت إلى المنظمة اليهودية الاقليمية التي يترأسها ابراهام زانجويل ، وكان جالانت يعيش في تركيا ويتجول في انحاء الامبراطورية العثمانية وانتهى به المطاف اخيراً إلى مصر . ومرة اخرى ولنفس الاسباب فقد اقترح نقل اليهود الفالاشا من اثيوبيا وإقامة وطن لهم في السودان .

ولقد صادف هذا قرار المنظمات الصهيونية بعدم الاستمرار عن البحث عن وطن لليهود بديلا عن فلسطين .

وعندما تحقق حلم الصهيونية عام ١٩٤٨ بإقامة دولة اسرائيل بدأت تعد للمرحلة الجديدة وهي مرحلة تجميع يهود الشتات في « أرض الميعاد » . لقد اصبح تجميع يهود الشتات هو الهدف الاسمى لدولة اسرائيل منذ ذلك الحين وتأكد هذا في برنامج القدس الذي وضع عام ١٩٥١ واشتمل على مبدأ وحدة الشعب اليهودي واستمراره اينما كان وعلى الدعوة إلى تجميع الشتات في اسرائيل (جيروزاليم بوست ٢٣ /٧ /١٩٥١) .

وكان هذا يعني اعطاء اسبقية كبرى لمسألة تجميع « يهود الشتات » وهجرتهم إلى اسرائيل كما أن علاقات اسرائيل مع الدول التي تعيش فيها جماعات يهودية أصبح يحددها تنفيذ الهجرة ، ولقد قالت غولدامائير في ذلك الوقت بأن العلاقة بين اسرائيل والدول التي تعيش فيها جماعة يهودية تقررها امكانية الاتصال مع هذه الجماعة .

وهكذا اصبحت الحركة السياسية الدولية لاسرائيل تستمد جانباً اساسياً من دوافعها وتحديد اتجاهها من وجود الجاليات اليهودية وانتقالها ، ونتيجة لهذه السياسة انتقل عدد كبير من الجاليات اليهودية في عدد من البلدان الافريقية خاصة من جنوب افريقيا ،وزمبابوى وكينيا وزائير إلى اسرائيل حتى بلغ عددهم حسب احصاء عام ١٩٧٠ حوالي ١٥ بالمئة من مجموع السكان .

وقد كرست اسرائيل ، كما يقول مجدي حماد ، جزءاً كبيراً من تحركها السياسي والاقتصادي والعسكري في افريقيا نحو اثيوبيا سواء تحت حكم الامبراطور هيلا سيلاسي أو بعد سقوطه (د . مجدي حماد ، اسرائيل وافريقيا ــ دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٦ . ص٢٠٠) .

ويعود اهتمام اسرائيل باثيوبيا إلى عدة عوامل ، اهمها القرب الجغرافي ، وأنها تطل على البحر الأحمر المنفذ الجنوبي لاسرائيل ، وأن لها علاقات تاريخية مع اسرائيل بالاضافة إلى وجود مجاعة اليهود الفالاشا الذين يمثلون واحداً من جماعات « يهود الشتات » الذين لابد من تجميعهم .

وتقول الدكتورة سوزان جيلسن استاذة الدراسات الافريقية في الجامعة العبرية إن لكل من اسرائيل واثيوبيا هدفاً استراتيجياً واحداً هو ابعاد الاتحاد السوفياتي عن البحر الأحمر ، وكلا البلدين متعاطف ومتفهم لمشكلات البلد الآخر مع جيرانه ـــ اسرائيل مع الدول العربية ومشكلات اثيوبيا مع الصومال والسودان وجبهة التحرير الارتيرية (نفس المصدر) وتقول الدكتورة جيلسن ايضاً إن كلا من اسرائيل واثيوبيا يلتقيان في هذه الاستراتيجية بالمصالح الاميركية ولقد تم التعبير عملياً عن تخوف اثيوبيا واسرائيل وامريكا من النفوذ السوفياتي في البحر الأحمر بقيام تحالف امريكى اسرائيلي بهدف التغلغل العسكري والاقتصادي في اثيوبيا ، وحصلت اسرائيل في مقابل تدريب بعض القوات الاثيوبية على محاربة ثوار ارتيريا على عدد من الجزر المقابلة لساحل ارتيريا .

ولقد حاولت اسرائيل في عهد الامبراطور هيلا سيلاسي واثناء حكم الجنرال عبود (١٩٥٨ ـــ ١٩٦٤) أن تنقل بعضاً من يهود الفالاشا إلى منطقة « الفتقة » على الحدود الأثيوبية ـــ السودانية وتوطينهم هناك مستفيدة من الصلات الحسنة التي كانت قائمة بين النظامين .

وبالرغم من طرد البعثة العسكرية الاسرائيلية من اثيوبيا في السنوات التي اعقبت سقوط الامبراطور فإن الدور الاسرائيلي في اثيوبيا مازال مستمراً نتيجة للأهمية الكبرى التي تنظر بها اسرائيل إلى مصالحها في اثيوبيا ، ولقد أكد هذا موشى دايان اثناء مؤتمر صحفي عقده في سويسرا في شباط (فبراير) ١٩٧٨ حين قال « إن التعاون العسكري والمساعدات التي كانت تقدمها اسرائيل لاثيوبيا في عهد الامبراطور هيلاسيلاسي لازالت مستمرة ، ومع استمرار هذه المساعدات استمر الاهتمام بقضية ترحيل الفالاشا خاصة في ظروف المجاعة التي عاشتها اثيوبيا ، وكانت المنظمات اليهودية تأتي بالمساعدات للفالاشا حتى قراهم دون سواهم وتنشىء لهم المدارس والعيادات وتقدم الادوات الزراعية ، وعندما طلبت اثيوبيا ايقاف برنامج المساعدات هذه وطلبت إلى المنظمات اليهودية مغادرة اثيوبيا تبين لحكومة اسرائيل أن لااختيار لها في أن تمر عبر السودان بمعرفة السلطات الاثيوبية وكذلك

بمعرفة الحكومة السودانية وهذا مالم ينكره عمر الطيب في مقابلة له نشرتها « الجيروزاليم بوست » ، وهكذا نشأت عملية نقل الفالاشا عبر السودان على مدى عامين (١٩٨١ — ١٩٨٢) ، وبلغ عدد الذين وصلوا إلى اسرائيل خلال هذين العامين زهاء ثلاثة آلاف ، ومع الاستمرار في عمليات الترحيل في عام ١٩٨٥ تم نقل ثلاثة عشر الفاً من الفالاشا . وفي هذه الاثناء ، تم الاعتراف بيهودية الفالاشا من جانب السلطات الدينية .

ولما وصل الفالاشا إلى اسرائيل واجهوا كثيراً من المشاكل خاصة من جانب الحاخامات الذين كانوا ومازالوا يصرون على تنقيتهم من خلال عمليات تغطيس رمزية قبل الاعتراف بهم يهوداً انقياء .

ولقد ذكر عمر الطيب في مقابلة له اعادت نشرها جريدة « جيروزاليم بوست » بأن حكومة السودان لا تمانع في ترحيل الفالاشا لاسباب انسانية ، ولكنه لم يذكر أن العملية تمت في سرية تامة وبتخطيط من المخابرات المركزية الامريكية ومن الموساد الاسرائيلي وأن عملية ترحيل الفالاشا كانت طريق نميري لتوثيق صلاته مع امريكا وتأكيد تبعيته لها ، ودفع السودان الثمن غالياً من سيادته وكرامته وقبض نميري وعمر الطيب وآخرون الثمن ٠٠

مقدمة المؤلف

شغلت قضية تهريب اليهود الفلاشا إلى اسرائيل عبر السودان في اواخر عام ١٩٨٤ واوائل عام ١٩٨٥ اهتمام الرأى العام العربي بدرجة وصلت إلى حد أن مجموع المقالات التي كتبت في الصحف العربية احتجاجا على هذه العملية في خلال شهرى يناير وفبراير ومارس ١٩٨٤ بلغت أكثر من اربعين مقالة وعقد مجلس الجامعة العربية جلسة خاصة لبحث هذا الموضوع في تونس خلال شهر مارس ١٩٨٥ وجهت فيها الدول العربية الاتهامات إلى السودان التي كان يحكمها في ذلك الوقت نظام الفرد برئاسة جعفر نميري وانتهت باتهام الولايات المتحدة الامريكية والتنديد بدورها في هذه العملية . ذلك أن الظروف التي احاطت بهذه العملية اساءت إلى النضال العربي في قضيته العادلة في الصميم واصبح التناقض العربي واضحا للعيان ففي الوقت الذي كان ينادي فيه الرئيس السوداني بعودة اليهود السودانيين إلى بلادهم الاصلية كان في نفس الوقت يساهم في عملية تهجير يهود اثيوبيا إلى اسرائيل وفي الوقت الذى كانت الدول العربية تندد بسياسة الاستيطان الاسرائيلي واستجلاب اليهود من هنا وهناك لزرعهم مكان السكان العرب في الضفة الغربية المحتلة كانت الحكومة السودانية تساعد على دعم هذه السياسة فشاركتها في تهجير اليهود الفلاشا إلى إسرائيل .

وكتب سلامة أحمد سلامة في صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر في ١٤ يناير ١٩٨٥ حول هذا الموضوع يقول « سواء اكانت حكومة السودان على علم بها أو لم تكن فإنه ينبغي أن توضع في سياقها الصحيح وهى أن اسرائيل نجحت في اذاعتها على الصورة التي نشرت بها لافساد العلاقات بين الدول العربية بعضها ببعض ولإفساد العلاقات بين الدول العربية وعدد من الدول الاوروبية والتغطية على المقاومة الشديدة التي وجه بها يهود الفلاشا السود البشرة في مجتمع اسرائيلي تغلفه روح العنصرية مهما بدا عكس ذلك » .

والواقع أن فكرة تهجير اليهود الفلاشا إلى ارض فلسطين ليست وليدة السنوات الاخيرة فهى واردة في ذهن السياسة الصهيونية منذ عام ١٩٠٨ أى منذ بدأت سياسة استيطان فلسطين تمهيدا لطرد سكانها الاصليين ، ولاسباب عنصرية واسباب تتعلق بأولويات نوعية اليهود الذين يراد تهجيرهم إلى فلسطين تأجل نقل اليهود الفلاشا الاتيوبيين سبعين عاما . وليست عملية نقل اليهود الفلاشا هى أول العمليات السرية التي لجأت اليها اسرائيل بمعاونة اجهزة المخابرات الغربية ولن تكون الاخيرة ، ففي عام ١٩٥٠ تم نقل يهود اليمن عبر جسر جوي بين عدن وتل ابيب بمساعدة المخابرات البريطانية وفي عام ١٩٥١ أقيم جسر جوي مماثل سمى البساط الطائر لنقل مئات الآلاف من يهود العراق إلى اسرائيل عن طريق قبرص ، وتم في اوائل الستينات نقل عشرات الآلاف من يهود المغرب إلى اسرائيل بمساعدة المخابرات الفرنسية .

وفي تقديري أن عملية ترحيل اليهود الاثيوبيين عبر السودان إلى اسرائيل تم في مرحلة سادت العالم العربي يمكن وصفها بمرحلة التسيب السياسي وهى مرحلة اعقبت زيارة الرئيس المصري الراحل انور السادات إلى القدس المحتلة وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد ، بعدها سادت منطقة الشرق الأوسط جو من التخلخل القومي والفوضي السياسية والعسكرية انعكست على احداث لبنان بالدرجة الأولى ثم في منطقة الخليج باندلاع الحرب العراقية الايرانية في ديسمبر ١٩٨٠ ، وتم تصاعد الحرب في لبنان ومحاولة تصفية المقاومة الفلسطينية وارتكاب مذبحة صبرا وشاتيلا بمساعدة اسرائيل وتشجيعها على ارتكاب هذه الجريمة التاريخية البشعة .

في هذا المناخ الدي اتسم باللامعقولية وظهور المد الامريكي والاسرائيلي بصورة أو بأخرى في المنطقة جرت عمليات تهريب اليهود الفلاشا ، وماكان يمكن للحكومة السودانية أن تساهم بدور في هذه العمليات لولا ظاهرة التسيب السياسي والقومي في المنطقة العربية .. واذكر انني التقيت باللواء عمر الطيب في يوم ٢٢ مارس ١٩٨٥ في مبنى مجلس الشعب اثناء انعقاد اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وكانت عملية سبأ قد تمت وكشفت عنها صحيفة لوس انجلوس تايمز ، وعندما بادرته بالسؤال عن حقيقة هذه الانباء فوجئت به وقد فقد اعصابه وهو يلعن العرب وكل من يثير مثل هذه الروايات عن السودان قائلا إننا لم نصل بعد إلى الدرجة التي يصوروننا بها لقد وصل بهم الحد انهم يقولون إننا نؤجر السودان لدفن النفايات الذرية ..

لكن الوقائع كانت تقول غير ذلك ، وأنه فقد اعصابه بسبب افتضاح السر للمرة الثانية ..

ثم سرعان ما تلاحقت الاحداث في السودان لتطوي في عواصفها كل نظام حكم الفرد ورموزه بما فيها عمر الطيب ، وسارعت نقابة عمال ومهندسي مطار الخرطوم لتكشف بالوثائق تورط جهاز أمن الدولة في نقل اليهود الفلاشا عبر مطار الخرطوم وذلك من خلال كشف رحلات الطائرة البلجيكية التي قامت بنقل ٢٨ رحلة جوية في جنح الظلام عقب منتصف الليل في حماية جهاز أمن الدولة وابعاد موظفي المطار وموظفي الجمارك والمراقبة الصحية عن مكان الطائرة التي كانت توصف بطائرة السلح ..

ثم تشكلت لجنة تحقيق استمرت في عملها ثلاثة اشهر زارت مناطق اللاجئين في القضارف شرق السودان وعاينت ورصدت كل المواقع التي منها تم تهريب اليهود الاثيوبيين والتقت بنحو مائة شاهد من وزراء وضباط أمن دولة وضباط عسكريين ورجال شرطة وموظفين وسائقين وأمر النائب العام بتشكيل محكمة أمن دولة سرعان ما وافق عليها المجلس العسكري ، واستمرت محاكمة المتهمين بتهريب اليهود الفلاشا اربعة أشهر .

وقد عكفت على دراسة هذه القضية المثيرة التي شغلت اهتمام الرأى العام العربي والدولى .. تابعت وقائع المحكمة جلسة بجلسة ورجعت إلى ماكتبته الصحف العربية والعالمية حول هذه العملية كما أطلعت على ما اخرجته المطابع الاجنبية من كتب ومن أهمها كتاب الدكتور ثيودور بارفينت مدرس اللغة العبرية والدراسات اليهودية الحديثة في جامعة لندن وهو يبدو صهيونيا واضحا مبهورا بسلوكيات اسرائيل ، في هذا الكتاب نقل وجهة النظر الصهيونية والاسرائيلية وخلا كتابه من الموضوعية واحتوى على معلومات غير دقيقة كما بالغ في تصوير الفساد في السودان وتهافت السودانيين على حفنة من الدولارات مقابل تنفيذ أى شيء يطلب منهم ، — كما يقول — وهذا إن كان ينطبق على الحكومة السابقة فهو لا ينطبق على الشعب السوداني الذي ثار في يوم وليلة وانهى هذه الحكومة باصرار عنيد شهد به العالم كله .

وفي هذا الكتاب الذي عكفت على اعداده حرصت أن يكون صورة دقيقة واشبه بالسناريو الكامل لعملية تهريب اليهود الفلاشا إلى اسرائيل وهى في الواقع قصة مثيرة تضاف إلى قصص اجهزة المخابرات التي تخطط على ارضنا العربية لخدمة اهداف اسرائيل ، ولذلك

لجأت إلى الاسلوب القصصي الذي يكون ملائما لتصوير مثل هذه الروايات بما فيها من غموض واثارة .. كذلك حرصت أن انقل إلى القارىء صورا كاملة من المحكمة تعبر عن أهم المواقف فيها مثل الالتزام بالعدالة في المحاكمة والحقائق التي افضى بها كل من المتهم الثاني والثالث اللذين تحولا إلى شهود اتهام ، وأقوال عدد من قيادات جهاز أمن الدولة وكيف أن هذه العمليات اخفيت عنهم ، وكذلك شهادة الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب إلى المحكمة ، وقد حرصت على الالتزام بدقة وحرفية الاسئلة والاجوبة امانة والتزاما بالحقائق ..

وارجو أن أكون قد وفقت في ماسعيت اليه ..

صلاح عبد اللطيف

الجـزء الأول

الخيانـة

الفصل الأول

الفلاشا أو اليهود الاثيوبيون

.. الفلاشا ..

كلمة بدت غريبة على اسماع الناس عندما جاء ذكرها في خبر صغير نشرته احدى المجلات العربية عام ١٩٨٣ ، كان الخبر من ثلاثة اسطر جاء فيه : إن مائتين من اليهود الاثيوبيين المعروفين باسم الفلاشا وصلوا إلى اسرائيل عن طريق السودان وبدأوا يشاركون في الحملة الانتخابية الاسرائيلية ..

لم يلفت الخبر يومها الانظار .. اكتفت وزارة الخارجية السودانية بنفي الخبر الخاص بعبورهم إلى السودان في طريقهم إلى اسرائيل ، ولم يتنبه أحد اليه .. فالمعارك الدائرة في لبنان بين القوات الاسرائيلية والفلسطينيين واللبنانيين كانت تشغل اهتمام الجميع ، وكانت اسرائيل تستعد لانتخابات ساخنة في منافسة حارة بين حزب الليكود وحزب العمل .

وهكذا من بين المعارك والاحداث الساخنة والتسيب السياسي سمع العالم العربي بكلمة « الفلاشا » ، وراحت تتسلل إلى حيز الاهتمام ، وبدأ المهتمون يبحثون عن معنى هذه الكلمة وأصل هؤلاء الناس القادمين من المجهول وسط آلاف اللاجئين الاثيوبيين عبر الصحاري والتلال .

« الفلاشا » كلمة اثيوبية تعني المهاجرين أو العرباء ، وهم اليهود الاثيوبيون الذين اقاموا في منطقة جوندار في المناطق الاثيوبية المتاخمة لحدود السودان ويقدر عددهم بحوالي ٣٠ ألف نسمة ..

تختلف الروايات حول أصل الفلاشا ، فتذكر بعض المصادر أن تاريخهم يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وهم من اتباع مينليك ابن الملكة بلقيس ملكة سبأ من النبى سليمان ، بينما يرجع بعض علماء الاجناس البشرية اصولهم إلى انهم من ابناء حام بن نوح وانتشرت اليهودية بينهم عن طريق يهود الجزيرة العربية أو يهود مصر أو يهود اثيوبيا ، وقد عاشوا حول بحيرة تانا منبع النيل الأزرق شمال غربى اثيوبيا ، وشمالا في جبال « سيمين » وفي مقاطعات لاستا وتيجراى واولو ، وتقول روايات اخرى انهم ينتمون إلى الشعوب التي سكنت اثيوبيا قبل أن تحتلها القبائل السامية القادمة من جنوبي شبه الجزيرة العربية .

كما تذكر بعض الدراسات العربية أن الفلاشا اعتنقوا اليهودية في القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، وتختلف طقوسهم الدينية عن الطقوس التي يتبعها اليهود عامة حيث أن طقوسهم توراتية وليست حاخامية .

وهم يميلون إلى العزلة والبعد عن المجتمعات الاخرى ، ولذلك فإن الصفة العامة التي كانت تميزهم عن غيرهم في مواقع اللاجئين بمناطق الاقليم الشرقي السوداني أن خيامهم مقفلة ، يتوجسون من الغير ويهربون منهم .. الهدوء يسيطر على أماكنهم حتى أن مكانهم يبدو مهجورا .. ذلك لانهم كانوا لا يتحركون إلا في الليل فهم لايثقون بأحد .. طوال القامة يتكلمون الامهرية ولغتهم الاصلية هي الاجاو « **Agau** » المعروفة باسم كوارنيا ، ويسمون انفسهم « بيتا اسرائيل » أى بيت اسرائيل .. ينتمون في اثيوبيا إلى الطبقات الاجتماعية الفقيرة جدا ويمتهنون الحدادة وصناعة الفخار ودباغة الجلود والنسيج وصناعة السلال من القش ، وكانوا في الماضي يعملون في البناء .

وحياتهم تشبه حياة الغجر ، فهم يعيشون خارج القانون وفي مناطق الحدود كسائر الطوائف اليهودية التي ترفض الاندماج في المجتمعات التي تعيش فيها مثلها في ذلك مثل بن اسرائيل « **Bene Israel** » شرقي الهند أو يهود « كاى فنج فو » « **Kaifeng Fu** » في الصين ، وليس لهم علاقات مع العالم الخارجي .

والروايات المؤكدة أن الفلاشا تعيش في اثيوبيا منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، وأول من كتب عنهم رحالة يهودي في القرن التاسع عشر يدعى الداد « **Eldad** » زعم في كتابه الذي يحمل اسمه أن الفلاشا قبيلة مفقودة كانت معروفة باسم قبيلة « دان » ، ومن هنا جاء اسمهم « الغرباء » ، وكتب عنهم الرحالة اليهودي بنيامين توديلا « **Benjamin of Tudela** » أنهم جاءوا اصلا من اليمن ومن مصر ، وقالت عنهم جريدة التايمز أنهم إحدى القبائل العشر اليهودية المفقودة بعد الغزو الاشوري عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، أما البروفيسور جوزيف فويتانا المهتم بشئون الحضارة الافريقية فقال إن الفلاشا ليسوا قبيلة ضائعة من اسرائيل وإنما هم شعوب من شمال اثيوبيا اصبحوا يهودا في ظروف غامضة .

وقد توصلت مراجع يهودية تضفي على الفلاشا صفة يلجأ اليها اليهود عادة لكسب العطف وهى صفة الاضطهاد . ووفقا لذلك تقول هذه المراجع إنهم تعرضوا للاضطهاد المسيحي في القرن الرابع عشر بعد نهضة المسيحية وتمسكوا بيهوديتهم منسحبين من المناطق

الساحلية إلى مناطق جواندار حيث بقيت مقرا لهم حتى الآن .. ومن الذين يروج لهذه الفكرة المكتشف الاسكوتلندي جيمس بروسي في كتابه « رحلات لاكتشاف منابع النيل » في القرن الثامن عشر ، وقد نبه هذا المكتشف يهود اوروبا إلى الحالة الصعبة التي يعيشها يهود اثيوبيا الذين لم يكن يعرفون عنهم شيئا في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي اواسط القرن التاسع عشر تدخل يهود اوروبا للاتصال بيهود اثيوبيا « الفلاشا » لكن هذه الاتصالات لم تسفر عن شيء إلا على يد حاك فيتلو فتش . بطل الفلاشا الأكبر عام ١٩٠٥ .

قبل هذا التاريخ كانت هناك شكوك حول مصداقية أن تكون هذه القبيلة الاثيوبية المعروفة باسم الفلاشا من اليهود ، ولازال بعض اليهود في اسرائيل وامريكا يرفضون الاعتراف بان الفلاشا يهود ، لكن غالبية اليهود يتفقون الآن أنهم يهود ، بينما يحرص الفلاشا على أنهم اليهود الذين جاءوا إلى اثيوبيا مع الملك منليك الأول الذي هو من ابناء الملك سليمان والملكة سبأ .. وتقول بعض الروايات إن العبريين عندما تركوا مصر وقت الخروج انفصل جماعة منهم عن الباقين ووجدوا انفسهم في الطريق إلى اثيوبيا حيث اسسوا هناك مملكتهم .

هكذا اختلفت الروايات حول اصل الفلاشا ، هل هم من اتباع منليك أم قبيلة مفقودة من قبائل اسرائيل ، أم من يهود مصر والجزيرة العربية الذين هاجروا إلى الجنوب ، أم انهم حاميون سكنوا مناطقهم منذ ابناء نوح واعتنقوا اليهوذية فيما بعد ..

روايات لم تحسم اصل الفلاشا ولم يقدم كل صاحب رأى دليلا على صحة أقواله لكن الذى نستطيع أن نتفق عليه انهم يهود اثيوبيون ، ربما تختلف ممارستهم للديانة اليهودية عن غيرهم من يهود اوروبا وفي أى مكان آخر بسبب عزلتهم وابتعادهم عن الغير وهم لا يعرفون اللغة العبرية . ويميل إلى هذا الرأى الباحث الغربي وولف لسيلا **(Wolflesella)** .

استقرت الآراء اذن على انهم يهود وتبنى هذه الدعوة ودافع عنها جاك فاتلوفيتش عام ١٩٠٥ حيث قام بزيارات لهم وراح يدعو لاقامة علاقات بينهم وبين يهود اوروبا وامريكا وتقديم المساعدات والمنح الدراسية لهم ودمجهم في الحركة الصهيونية .. واستجاب له افراهام كوك وهو حاخام في فلسطين عام ١٩٢١ دعا بدوره يهود العالم إلى انقاذ الفلاشا وكان عددهم يصل إلى ٥٠ ألف نسمة ، لكن هذه الدعوات لم تجد استجابة من اليهود .. كان الاهتمام أولا بيهود اوروبا ثم يهود الغرب ثم يهود اليمن وبعدهم يهود العراق والدول العربية ، أما الفلاشا فلم يتوقف اليهود عندهم كثيرا وسرعان ماينسونهم .

وجاك فيتلوفيتش هذا وهو من أصل بولندي ، كان تلميذا لجوزيف هاليفي في معهد الدراسات العليا في باريس الذي يعتبر أول من أدخل قضية الفلاشا في ملف التحالف الصهيوني العالمي في باريس عام ١٩٦٧ بدعم من اودلف كريمبو وزير العدل الفرنسي آنذاك ، وقد وجد هاليفي في فايتلوفيشس حماسا لكل ماهو يهودي فاقنعه بدراسة اللغة الامهرية وأن يضع كل مواهبه في خدمة يهود اثيوبيا . وفي عام ١٩٠٥ سافر إلى الحبشة من أجل هذه المهمة بهدف اخراج هؤلاء الفلاشا من عزلتهم وبث الثقافة الحديثة فيهم تمهيدا لتهجيرهم إلى فلسطين في اطار خطة الهجرة اليهودية ، وقد نجح في ارسال اثنين منهم هما « تمرات ايمانويل وجيتي جيرمياس » لتلقي العلم على نفقة التحالف الصهيوني ، كما نجح في اقناع ادمون دي روتشيلا بأن يقف إلى جانبه وكذلك الحاخام صادق كاهان اللذين امداه بالدعم المادي والمعنوي لكنه فوجىء بأن هؤلاء الفلاشا غير راغبين في الهجرة وانهم يفضلون البقاء في مناطقهم بالحبشة . ويقول فايتلوفيش في مذكراته التي استولت عليها اسرائيل بعد وفاته في تل ابيب عام ١٩٥٥ « إنه لما وصل إلى المنطقة التي يسكنها الفلاشا فوجىء بأنهم لايعترفون بالعودة » إلى فلسطين ، وأن لهم ديانة خاصة بهم فقرر الاقامة بينهم لاقناعهم بالانضمام إلى الشعب اليهودي ، وظل يرسل رسائله إلى الوكالة اليهودية التي لم تكن مطمئنة لها فالتحق به عام ١٩٠٨ الحاخام حاييم ناحوم ليقف بنفسه على حقيقة مايقوله إذ اتضح له أنه لافائدة من جلب هؤلاء الفلاشا الذين لايعترفون بأرض اسرائيل وعاد إلى باريس ليعلن أن هؤلاء الفلاشا ليسوا يهودا وأن الدم اليهودي لايجري في عروقهم ، ونصح بالتخلي عنهم وتركهم يعيشون حيث هم مع المبشرين المسيحيين الذين يؤدون لهم خدمات جليلة وهم سعداء بذلك .

اكتفت الوكالة اليهودية ازاء رفض الفلاشا ترك مناطقهم بافتتاح المدارس اليهودية حتى بلغ عددها في عام ١٩٥٥ سبعة وعشرين مدرسة في اثيوبيا ، وقد نقل من تلاميذ هذه المدارس ٢٧ منهم إلى قرى الاطفال في كوبانيا في « زاعتانا » وقد طلب هيلاسلاسي عودة هؤلاء الطلاب إلى اثيوبيا فغادر عدد منهم وبقى عدد آخر في اسرائيل ساروا في جنازة فايتلوفيشن عام ١٩٥٥ وكان عددهم ٢٢ طالبا .

حاولت اسرائيل أن تستمر علاقة الصداقة بينها وبين الامبراطور هيلاسلاسي لتهجير الفلاشا فكان يماطل في الموافقة رغم أن اسرائيل كانت تؤمن له المدربين العسكريين وتمده بالاسلحة والمساعدات الفنية . وقد سعت اسرائيل أن تقيم مستعمرة في شمال اسرائيل

تخصصها لليهود الفلاشا بعد حلبهم من اثيوبيا كي يكونوا رأس جسر لعلاقتها مع اثيوبيا وكانت اسرائيل تنظر بعين الاعتبار إلى هذه العلاقة بحيث تستطيع أن تؤمن اثيوبيا لها تسهيلات على موانى البحر الأحمر . ويروي ديفد كسلر مؤلف كتاب « الفلاشا يهود اثيوبيا المشيعون » أنه سأل الامبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٧٠ عما إذا كان يحبذ إقامة قرية للفلاشا في اسرائيل تقوم بدور المبشر بين البلدين فاحابه الامبراطور : « يمكن مناقشة هذه الفكرة وليس عليها اعتراض » .

ومن حسن حظ الامبراطور أن اسرائيل لم تكن جادة في طلبها بتهجير اليهود الفلاشا اليها بسبب عدم ثقة الحاخاميين في انتماء هؤلاء الفلاشا إلى اليهودية ، بالاضافة إلى انهم قد يثيرون الكثير من المشاكل الاجتماعية داخل اسرائيل مع اعتبار انهم من الافارقة السود الأمر الدي يثير الحساسية العنصرية لدى اليهود البيض (الاشكناز) في اسرائيل ، لكن المنظمة اليهودية ظلت تسعى لجلب هؤلاء حتى بعد وفاة هيلاسلاسي عام ١٩٧٥ مستخدمة في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية والتسخصيات البارزة من الفلاشا انفسهم مثل « سهاران باروخ » الذي يعتبر أول يهودي اثيوبي يموت في اسرائيل عن ٨٤ عاما عام ١٩٧٧ . لقد قام باروخ بدور هام بعد وفاة هيلاسلاسي حيث أجرى اتصالات سرية مع الحاخام الاسرائيلي « اوفاديا يوسف » واقنعه بضرورة الدفاع عن يهود الحبشة ، وسافر إلى اسرائيل عام ١٩٧٧ تاركا في اديس ابابا اثنين من ابنائه هما اوليفيا وبائير ، وكانت الخطة أن ينسق الوالد من تل ابيب مع ولديه في اديس ابابا عملية نقل جميع افراد الفلاشا البالغ عددهم ٣٠ ألف شخص في نفس الوقت تكوت في امريكا وكندا عام ١٩٧٤ جمعيات تسمع الجمعية الأمريكية لانقاذ يهود الحبشة ، وكانت مهمتها توريط الادارة الامريكية في عملية نقل اليهود الفلاشا من اثيوبيا إلى اسرائيل بالضغط على حكومة هيلاباريام .

لم تتوقف علاقات اسرائيل مع اثيوبيا حتى بعد أن قطع هيلاسلاسي علاقاته معها عام ١٩٦٧ بل أن هذه العلاقات ظلت قائمة بعد قيام حكومة مانجستو هيلاماريام الثورية رغم تأكيداته « بالنضال ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية » وكشفت معلومات نقلتها الصحافة الغربية « أنه خلال عامى ٧٦ ° ٧٧ قام حبراء اسرائيليون عسكريون بتدريب الجيش الشعبي على حرب العصابات في اثيوبيا كما أن المستشارين الاسرائيليين دربوا طواقم اتيوبية على دبابات سوفيتية غنمتها اسرائيل من مصر وسوريا عامى ٦٧ ، ٧٣ كما قدموا خدمات لصيانة طائرات اف ٥ » .

وعندما تولى مناحم بيجن السلطة عام ١٩٧٧ اتصل بالزعيم الاثيوبي مانحستو وطلب منه لاعتبارات انسانية السماح بهجرة اليهود الفلاشا ولم يرد عليه مانجستو لكن اسرائيل كثفت اتصالاتها مع الحكومة الاثيوبية ملوحة بامدادها بالسلاح مقابل تهجير الفلاشا اليها . كان بيجن من المتحمسين لاستجلاب اليهود الاتيوبيين إلى اسرائيل ووضع هذا في برنامج اهدافه واستطاع خلال فترة وجيزة نقل ١٢١ شخص من اليهود الاثيوبيين مباشرة من اديس ابابا إلى تل ابيب عام ١٩٧٧ ، كانت الطائرات الاسرائيلية تصل إلى اديس ابابا عليها اسلحة لتعود إلى اسرائيل عليها اعداد قليلة من الفلاشا وبدأت الحملات في اسرائيل تضغط على حكومة بيجن لجلب اكبر عدد من اليهود الفلاشا من اثيوبيا وتمثلت هذه الحملات في مظاهرات قام بها اليهود الفلاشا الموجودون في اسرائيل أمام الكنيست تدعو الحكومة « لعدم ترك اخوانهم اليهود يعانون الاضطهاد » ، واستقبل بيجن اربعة منهم قائلا لهم : إن الحكومة تعتبرهم يهودا عليها التزام بمساعدتهم وأنها ستدعو الحكومة الاثيوبية لأن تتركهم يهاجرون الينا » وراحت الصحف الاسرائيلية تدعو وتشجع استجلاب اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل وكتبت « نيوريبلك » **New Republic** في فبراير ١٩٧٩ مقالا بعنوان « الفلاشا الضحايا السود » زعمت فيه أنه يتم تصفيتهم وانهم سيختفون تماما في القريب العاجل . ومقالات اخرى تصورهم أنهم يقتلون ويستعبدون ، وكتبت جويش كرويكل : « انقذوا الفلاشا من القتل » وكتبت جيروزالم بوست : « الفلاشا اهملوا ، وهذا الاهمال لابد أن يكون مميتا » .

ازاء هذا الضغط تشكلت لجنة وزارية واصدرت بيانا تضمن ضرورة استيعاب اليهود الاثيوبيين ورأت أنه لابد من المخاطرة باجراءات على مستويات عليا .

في مكان آخر كانت هناك حملات ضغط من نوع آخر ، فقد تشكلت في الولايات المتحدة منظمات ولجان من اليهود وكان للوبي الصهيوني دور كبير .. لقد طرح الموضوع لأول مرة في المجلس الاتحادي اليهودي الذي عقد بمدينة سان فرانسسكو عام ١٩٧٨ ويومها اثار رئيس الطلاب الكنديين اليهود ويدعى ستيفن يومان هذه المسألة . وقوبلت محاولته بالاعتراض ومنع من توزيع منشورات تحث على نقل الفلاشا ، لكنه وجد نصيرا له هو ستيف مونتاج المسئول عن الشبكة العالمية لاحياء الهولاكوست ، واختير مونتاج رئيسا للجنة المكلفة بمتابعة موضوع اليهود الفلاشا وهي لجنة تضم اسرائيليين وامريكيين ، كما اتصل ثلاثة شيوخ في الكونجرس عرفوا بتأييدهم الأعمى لكل القضايا التي

تخص الصهيونية ، وهم رودي بوشنتير ، ستيفن سولريز ، توم لانجوس ، وشرع الثلاثة في تشكيل نواة حركة سياسية داخل الكونجرس لنصرة الفلاشا ، وتعهد مونتاج باثارة الموضوع مع السفير الاسرائيلي في واشطن ومع الضغوط القائمة في اسرائيل جاءت هذه الضغوط القادمة من الولايات المتحدة الامريكية لتلتقي جميعها مع استعداد مناحم بيجن ووعوده التي قطعها لنقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ، فكانت ردوده لكل هؤلاء سريعه ومشجعة ، بل أنه ارسل إلى الولايات المتحدة الامريكية مساعدة « يهودا افنر » المكلف بشئون المهاجرين للاتصال بالوكالة اليهودية وابلاغها أن الحكومة تجرى محادثات سرية بشأن انقاذ قبيلة الفلاشا ونقل افرادها إلى اسرائيل ، ونقلت « نيويورك تاميز » أن مبعوث بيجن ابلغ الوكالة اليهودية بحقيقة الوضع الاجتماعي الذي يعاني منه افراد هذه القبيلة في مقاطعة جونْدار الاثيوبية وادعى بأن الميجور ميلاكو الحاكم العسكري الاثيوبي للمنطقة هو الذي يقود بنفسه حملة الاضطهاد ضد افراد الفلاشا ..

عقدت بعد ذلك عدة اجتماعات شاركت فيها جميع المنظمات اليهودية الامريكية وانبثق عنها منظمتان الأولى تضم مجموعات كندية ، والثانية تتألف من قوى مختلفة داخل امريكا ، وقد كشفت الخلافات في وجهات النظر بين المنظمتين عن جزء كبير من النشاطات السرية التي قام بها ستيف يومان رئيس الجانب الكندي وجراتوم برجر رئيس الجمعية الامريكية لانقاذ يهود الحبشة التي تأسست عام ١٩٧٤ وعقدت سلسلة محاضرات بهدف توريط الادارة الامريكية في عملية تهجير اليهود الفلاشا .

صاحب هذا النشاط في الولايات المتحدة الأمريكية نشاط آخر في مواقع الفلاشا سواء في مناطق معسكرات اللاجئين أو مقاطعة جوندار وجبل سيمين في اثيوبيا حيث انتشر مندوبو الوكالة اليهودية والجمعيات الصهيونية التي تبنت مسألة تهجير اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ، وكان من بين هؤلاء جراتوم برجر نفسه الذي ظل يبعث إلى الجمعية الامريكية لانقاذ يهود الحبشة التي يرأسها بتقارير متصلة عن اوضاعهم في المعسكرات وفي المناطق الجبلية الاثيوبية ، من بين ماقاله في هذه التقارير أن هذه المخيمات سواء الموجودة في السودان أو الصومال أو جيبوتي تضم مايزيد عن ٢٥٠٠ شخص من الفلاشا . وتدل التقارير التي ارسلها إلى جمعيته أن أول دفعة من يهود الفلاشا وصلت إلى اسرائيل عام ١٩٧٧ وكانت تضم ٦٢ فردا ثم توقفت لأنهم لم يجدوا ترحيبا من الاسرائيليين .

كشف وصول الدفعة الأولى من يهود الفلاشا إلى اسرائيل وجود انقسام بين

الاسرائيليين حول بقاء هؤلاء السود القادمين من جبال افريقيا بينهم ، وكان موشى ديان من انصار الاتجاه بعدم تهجيرهم إلى اسرائيل حتى لايشكلون عبئا على المجتمع الاسرائيلي المليء بالتناقضات الاجتماعية بينما كان مناحم بيجن من انصار استقبالهم في اسرائيل والمتحمس لتهجيرهم من اثيوبيا ارضاء لمطالب الجماعات والمنظمات الصهيونية في امريكا وتنفيذا لوعود كان قد قطعها قبل نجاحه في انتخابات عام ١٩٧٧ ، لذلك ماأن تولى سلطة الحكم في اسرائيل في هذا العام حتى كان موضوع تهجير اليهود الفلاشا على رأس قائمة القضايا التي تشغله واستطاع أن يعقد اتفاقات سرية مع الرئيس الاثيوبي مانجستو هيلاماريام لاستجلاب هؤلاء اليهود من اثيوبيا مقابل مد اثيوبيا باسلحة والتوسط لدى الولايات المتحدة الامريكية لمد اثيوبيا بقطع غيار وصيانة الاسلحة القديمة ، حيث أن طبيعة العلاقات الودية بين مانجستو والادارة الامريكية لم تكن تسمح أن يطلب مانجستو من الامريكيين ذلك مباشرة فتولى مناحم بيجن هذه المهمة ليضمن وصول الفلاشا إلى اسرائيل ، لكن موشى ديان كشف سر هذه الصفقة في مؤتمر صحفي عقده في جنيف عام ١٩٧٨ الأمر الذي دعا مانجستو إلى الغاء الصفقة على الفور بعد أن تولى ديان فضح اسرارها ، وقد اثارت تصريحات موشى ديان ردود فعل في الأوساط اليهودية وأمام موقف الحكومة الاثيوبية بايقاف الصفقة اضطرت هذه الجماعات الصهيونية أن تواصل نشاطها السري مرة اخرى مع الاثيوبيين .

وانقل الآن عن ليون هادار مراسل صحيفة جيروزاليم بوست في نيويورك قوله : إن تصريحات موشى ديان لم تنسف الاتصالات السياسية التي اجراها زعيم التنظيم الكندي ستيفن يومان والتي حصل بها على تأييد عدد من شيوخ الكونجرس الذين دعوا إلى ضرورة وضع مسألة الفلاشا على جدول أعمال المباحثات بين امريكا واثيوبيا .

ويقول مراسل الصحيفة الاسرائيلية إن يومان اضطر بعد ذلك إلى زيارة اديس ابابا تحت غطاء السياحة ورافقه مجموعة من معاونيه في الجمعية الكندية وقد استقبل بمظاهر الحفاوة في مطار أديس ابابا من قبل مسئول في مكتب السياحة الذي تحدث معه بالعبرية بطلاقة .. وقد امضى اسبوعين في اثيوبيا اجرى خلالها محادثات مع كبار الموظفين عاد بعدها إل الولايات المتحدة يحدد انطباعاته فيما يلي :

(١) إن النظام الاثيوبي ليس معاديا لتهجير اليهود الفلاشا إلى اسرائيل رغم وجود عناصر في الادارة الحكومية تحارب الصهيونية وتناصبها العداء .

(٢) ضرورة وقف الحملات الاعلامية ضد نظام مانجستو ودعمه . وقد نجحت مهمة مدير الجمعية الكندية الصهيونية في اقناع الامريكيين بتخفيف الضغط على اديس ابابا بل أن قدرات دبلوماسية فتحت بين اثيوبيا وامريكا ، وامكن نقل عدة مئات من الفلاشا إلى اسرائيل بوسائل مختلفة ..

لكن العملية كانت تتم ببطء وباعداد قليلة بينما كانت الخطة تقضي نقل ٢٠ ألفا من يهود الفلاشا في وقت زمني قصير وقد اقتضي هذا أن تتولى امريكا نفسها المسألة بالضغط على حلفائها في المنطقة وخاصة الدول التي يتدفق اليها اللاجئون وتستقبل يوميا آلاف اللاجئين منهم ، وكانت السودان في مقدمة هذه الدول التي فتحت حدودها الشرقية لاستقبال آلاف اللاجئين بترتيب من اثيوبيا بما فيهم الفلاشا إلى الأراضي السودانية التي يراد تهجيرهم ضمن خطة اعدتها الولايات المتحدة الامريكية لا تثير شكوك أحد وتبدو في شكلها ذات طابع انساني لانها لن تكون قاصرة على اليهود الفلاشا ، وسميت هذه الخطة «اعادة توطين اللاجئين في اوروبا وامريكا» وهذه الخطة تضمن للولايات المتحدة الامريكية عدم اللجوء إلى اثيوبيا أو الدخول معها في مفاوضات وتقديم ما تحتاجه من مطالب عسكرية واقتصادية مقابل ذلك وهو امر لاتريده امريكا التي لاتتفق سياسة مانجستو تماما مع السياسة الامريكية .

هكذا بدأ التفكير يتحول إلى التفاوض مع الحكومة السودانية لتسهيل عملية نقل هؤلاء اليهود في سرية تامة ورأت حكومة جعفر نميري التي مورس عليها ضغط من امريكا وحلفائها أن تستثمر هذا الموضوع في الحصول على مزيد من الدعم المالي والعسكري والحماية الامنية للنظام الذي بدأ يتصدع منذ عام ١٩٧٨ ، وذلك بتزايد قوى المعارضة في الداخل والخارج وتزايد حدة الخصام مع ليبيا التي كانت تكن العداء لنظام جعفر نميري .

وقد كلفت عملية نقل اليهود الفلاشا من اثيوبيا إلى اسرائيل ٣٢٥ مليون دولار ـــ على حد قول الصحف الغربية ـــ دفعتها المجمعات والوكالات اليهودية للاتفاق على كافة العمليات التي تتم سواء اثيوبيا أو السودان أو دفع اموال لموظفي الحكومتين وحصلت الحكومة السودانية مقابل ذلك على ٥٦ مليون دولار لم توضع في خزينة الدولة أو أى حسابات معلنة . وكانت الخطة الامريكية الاسرائيلية في نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل إقامة جسر جوي من الخرطوم إلى عواصم اجنبية .

لقد ادركت اسرائيل حاجتها إلى استجلاب هؤلاء اليهود الفلاشا بصرف النظر عن

مدى ترحيب الاسرائيليين بهم أو عما إذا كانوا يهودا تماما أم لا وذلك لعدة اعتبارات بدت ملحة على الحكومة الاسرائيلية وهذه الاعتبارات هى :

* دفع التهمة الشائعة عن اسرائيل بأنها دولة عنصرية وفي استقبالها لآلاف اليهود السود الافريقيين مظهر بأنها لا تفرق بين اليهود البيض أو اليهود السود . وهذا ماعبر عنه كمال موسى جليوع المدير بوزارة الخارجية الاسرائيلية والمكلف بيهود الشتات عندما قال : « إن عودة يهود اثيوبيا إلى اسرائيل هى اكبر صفعة للذين اعتبروا الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية » .

* تعويض ماخسرته اسرائيل من ضحايا في حروب لبنان ويمكن لهؤلاء القادمين من جبال افريقيا أن يقوموا بأعمال الخدمات التي اصبحت اسرائيل في حاجة لها بسبب انشغال القوى البشرية العاملة في الحركة العسكرية .

* التعويض عن الهجرة المعاكسة التي بدأت اسرائيل تواجهها وتزايدت نسبة المهاجرين من اسرائيل إلى اوروبا عن نسبة المهاجرين اليها الأمر الذي دعا الحكومة الاسرائيلية أن تبحث عن بدائل خاصة أنها راحت تقيم عشرات المستوطنات وتسعى إلى زرعها باليهود الجدد في مواجهة ازدياد عدد السكان العرب وهذه معادلة سكانية خطرة بالنسبة لاسرائيل تحرص دائما على أن يكون ميزانها دائما في صالحها .

لهذه الاسباب وغيرها راحت اسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية والمنظمات اليهودية في العالم تبذل قصارى جهدها لوضع خطة يكون من شأنها الاسراع في نقل اكبر عدد من يهود الفلاشا اليها وقد ساعدها في ذلك الولايات المتحدة الامريكية ، وبدأت المناطق الشرقية والجنوبية في السودان تشهد ابتداء من اواخر عام ١٩٧٧ نشاطات خفية تساهم فيها منظمات دولية اتخذت من مساعدة اللاجئين ستارا لأهدافها الحقيقية التي كانت تتمثل في نقل اكبر عدد من يهود الفلاشا إلى اسرائيل ، واستقبلت السودان في أواخر السبعينات عشرات من هؤلاء الذين اختاروا مدينة القضارف ، احدى مدن الاقليم الشرقي ، مسرحا لاعمالهم نظرا لوجود اكبر عدد من معسكرات اللاجئين الاثيوبيين حولها .

وبدأ نشاط هذه المنظمات كما لو كانت اشباحا تتحرك في الظلام ..

○ ○ ○

الفصل الثاني

أشباح في الظلام

« القضارف » .. مدينة هادئة تقع في ارض زراعية خصبة من الاقليم الشرقي في السودان ، تحيط بها جبال وتلال مثل جبل تاواوا ، معظم سكانها من قبيلة الشكرية وهى واحدة من القبائل السودانية ذات الاصول العربية ، تبعد عن مدينة الخرطوم بمسافة تزيد عن خمسمائة كيلو متر ، تقطعها السيارات في نحو ثماني ساعات على طريق مرصوف ، أو بالطائرة في نحو ساعة ونصف ، أو بالقطار ، تقترب من الحدود الاثيوبية بنحو ستين كيلو مترا ولذلك فقد انتشرت حولها معسكرات اللاجئين مثل ود الحلبو ، معسكر ام راكوبة ، تاواوا ، ام جلجا ، قلع النخل وخشم القربة ، وهى معسكرات تستقبل اللاجئين الاثيوبيين الذين بدأ تدفقهم على السودان بسبب الهجرة من العمليات العسكرية التي يتعرض لها الاريتربون من القبائل الاثيوبية التيجراى ورومو وجالا ، أو هؤلاء الهاربون بحثا عن مأوى ومأكل بسبب الجفاف والمجاعة التي تعرضت لها منطقة الساحل الافريقي وهى ٢٤ دولة افريقية ، وكانت اثيوبيا واحدة من هذه الدول مما اضطر سكان هذه المناطق إلى التدفق على الحدود السودانية منذ عام ١٩٧٥ وبلغ عدد هؤلاء اللاجئين ٤٤٠ ألف شخص عام ١٩٨٣ وصل عام ١٩٨٥ إلى ٧٨٤ ألف شخص حسب ارقام مفوضية شئون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ، وقد انشأت السودان منظمة خاصة لهذا الغرض ، سميت مفوضية شئون اللاجئين يرأسه احد السفراء ويتبع مباشرة لوزارة الشئون الداخلية ، وتتركز مهمته في اعداد معسكرات استقبال اللاجئين ودراسة اوضاعهم واجراء الاتصالات مع المنظمات الدولية التي تقوم برعاية شئون اللاجئين وتقدم الدعم للسودان لهذا الغرض ، وقد بلغ متوسط ماتقدمه الأمم المتحدة للسودان سنويا نحو ٣٥ مليون دولار ، وتلقت السودان عونا غذائيا لتوزيعه على اللاجئين من دول العالم نحو مليون طن من الحبوب ، وقد تزايدت الاغاثة الدولية ومعظمها منظمات تطوعية ودينية من كندا وامريكا وعدد من الدول الغربية واتخذت لها مراكز في مناطق الحدود بين السودان واثيوبيا ووسط معسكرات اللاجئين واختلطت اهداف هذه المنظمات الانسانية مع الاهداف السياسية وغير السياسية الاخرى وهى أهداف غير مرئية ، وجدت في هذا العمل الانساني ستارا لتحقيق تلك الأهداف ، ولم يتوقف احد في أول الأمر حول هذا الجانب من نشاط بعض هذه المنظمات والهيئات .. كان الترحيب حار بما تقدمه هذه المنظمات والهيئات من مساعدات سميت تطوعية لاغاثة هؤلاء اللاجئين .

استمر الحال على هذا النحو فترة من الوقت إلى أن بدأ سكان مدينة القضارف يشعرون بشيء غير مفهوم يحدث في المعسكرات القريبة من المدينة وبالذات في معسكر تواوا ومعسكر أم راكوبة اللذين يستقبلان اللاجئين القادمين من منطقة جوندار في الأراضي الاثيوبية ، وهى المنطقة المتاخمة لمنطقة القضارف ذات المنافذ التي تؤدي إلى الحدود الاثيوبية عبر الجبال والتلال .

كان ذلك في أحد ليالي ربيع عام ١٩٨٠ عندما احس سكان المدينة أن شيئا غير مفهوم يحدث في معسكر أم راكوبة أحد معسكرات اللاجئين الاثيوبيين ، وأن هذا الشيء لايحدث إلا ليلا .. حيث تتسلل عربات اللواري إلى المعسكر وتقف هناك حلف الحبل في منطقة تصدر منها اشارات ضوئية وفي الصباح يكتشف سكان المدينة وجود أعداد من اللاجئين الاثيوبيين الذين لهم صفات خاصة تميزهم من غيرهم وقد اقاموا في منازل مؤجرة ، بينما يكتشف المسئولون عن معسكر اللاجئين في أم راكوبة اختفاء أعداد كبيرة من هؤلاء اللاجئين ، ولم تكد تمضي ايام حتى تعود اللواري ليلا مرة أخرى مطفأة الانوار لتنقل هؤلاء اللاجئين إلى مناطق بعيدة حيث تكون في انتظارهم طائرات أو سيارات تنقلهم .

في هذا الوقت كانت معلومات قد خرجت من السفارة السودانية في واشنطن إلى جهاز أمن الدولة تفيد بوجود منظمة يهودية امريكية مهمتها رعاية شئون اليهود الاثيوبيين المعروفين باسم الفلاشا وذلك بترحيلهم من معسكرات اللاجئين الى اسرائيل عن طريق اثينا وان هناك نحو ثلاثة آلاف من هؤلاء اليهود الاثيوبيين تسعى هذه المنظمة لترحيلهم .. على الفور خرجت البرقية أمر (١) رقم ٧٧٩ في ١٨ مارس ١٩٨١ من أمن الخرطوم إلى أمن القضارف تطلب منهم متابعة تحركات هؤلاء اليهود الاثيوبيين وبالتعاون مع سلطات شئون اللاجئين والافادة بأى تحركات مشبوهة في أوساط هؤلاء اللاجئين .. لم تمض خمسة أيام من تلقي أمن الخرطوم برقية رقم ١٤٧ تحمل أول خيوط الضوء على مايحدث في الظلام ، وأن هذه المعلومات التي جاءت من واشنطن عن طريق السفارة السودانية لم تكن خافية على هؤلاء الذين يعملون ويعيشون في مدينة القضارف وفي رعاية شئون اللاجئين . داخل المعسكرات المتناثرة حول المدينة ، لقد اتضح أن هؤلاء العاملين في أمن القضارف ، البعيدين عن العاصمة وخباياها على علم بما يدور منذ مارس ١٩٨٠ وانهم ظلوا يرسلون ببرقياتهم إلى أمن الخرطوم وإلى مدير ادارة أمن المحافظات والحدود .

ولأول مرة بدأت تظهر اسماء اجنبية متل جوبليك وهو بريطاني الجنسية يعمل في

منظمة « اوبريش لايف لاين » الكندية التي تقوم بعملية ترحيل اليهود الاثيوبيين و« برهاني نقده » وهو اثيوبي يعمل في الصليب الأحمر بالخرطوم وقد تم احتجازه بالقضارف ، كتشفت الحقائق أن جوبلبك هذا قد حضر إلى القضارف بحجة اختبار بعض اللاجئين ليجد لهم فرصة اعادة توطين بكندا ، والواقع ، كما أكد احد اللاجئين الاثيوبيين من قبيلة التيجراى مان جوبليك هذا كان نشاطه ينحصر في اختيار اليهود الفلاشا من منطقة حوندار في الأراضي الاثيوبية ويدفع بهم إلى الحدود السودانية بعد أن يقوم باقناعهم بأنهم ذاهبون إلى ارض الميعاد التي وعد الله بها نبيهم موسى ، والغريب أن هؤلاء اللاجئين اليهود الفلاشا لم يخفوا مقاصدهم عن موظفي شئون اللاجئين الذين يقومون بتسجيل البيانات التي تشتمل على الاسم والسن ، والجنس والمهنة ، والدين ، واسباب اللجوء والاتجاهات المستقبلية ولايخفون هؤلاء وهم يملأون البيانات انهم فلاشا وديانتهم هى اليهودية ، وانهم في طريقهم إلى اسرائيل ، لقد لاحظ اسماعيل ابراهيم مساعد معتمد اللاجئين بمدينة القضارف

أن هؤلاء اللاجئين كانوا يتسللون ليلا وباعداد كبيرة للهروب من المعسكر بمساعدة آخرين رغم أن اللوائح تنص على عدم خروج أى لاجىء من المعسكرات إلا بأذن من مدير المعسكر .. وكان من السهل هروبهم من المعسكر ، فالمعسكر غير مغلق ومن الصعب التحكم في حركة المقيمين فيه ، كان ادراك مساعد معتمد اللاجئين لهذه الظاهرة مبكرا ، منذ عام ١٩٧٩ ولم يخف ذلك في تقاريره التي كان يرسلها إلى رؤسائه بالخرطوم واورد أن هناك محاولات لاستدراج اليهود الفلاشا من اثيوبيا إلى السودان وقد ذكر له هؤلاء في أول لقاءاته معهم انهم لم يحضروا من أجل البقاء في السودان فهم ذاهبون إلى « ارض الميعاد » وهم يؤمنون باقوال نبيهم موسى : « بأن ابناء يعقوب سيعذبون في الأرض إلى أن يعودوا إلى أرض الميعاد » .

لم يتجاوز رد فعل احهزة الأمن السودانية رصد ومتابعة هذه التحركات ، حتى أن قصة دانيال لونجير بدت كما لو كانت قصة عادية لمستثمر امريكي جاء إلى السودان ينشيء مشروعا استثماريا ، حدث ذلك في مايو ١٩٨١ عندما وصل إلى الخرطوم على أنه مدير شركة سياحية تتخذ من جنيف مقرا لها والتقى بالمسئولين في هيئة السياحة والفنادق وابدى رغبة شركته في تأجير قرية عروس الواقعة شمال ميناء بورسودان على مرفأ جيجا السوداني وكان العمل قد توقف فيها كقرية سياحية منذ عامين ، وبنى فيها فندق سياحي ، بعد مفاوضات وافق المسئولون بهيئة السياحة والفنادق على تأجير الفندق لهذه الشركة لاغراض

سياحية ولمدة ثلاث سنوات مقابل مبلغ ٤٠ ألف دولار عن السنة الأولى و٧٥ ألف دولار عن السنة الثانية تزاد إلى ١٢٥ ألف دولار عن السنة الثالثة ، وقد تم تحرير عقد الايجار ووقع عليه من الجانب السوداني محمد محجوب امين مدير شركة السياحة العالمية ودانيا لونجبر عن الشركة التي تتخذ جنيف مقرا لها ، وقد اتضح أن هذه الشركة ليس لها فرع أو وكيل في السودان ، ولم تكن مسجلة لدى مسجل الشركات ، ولم يتم استشارة النائب العام بشأنها ورغم ذلك استمرت الشركة في عملها ، وكان لها تقليد في عملها وهو أن تستبدل موظفيها الاجانب كل شهرين لتأتي بغيرهم ، ولها طائرات وسيارات . وكانت هذه الطائرات تهبط في مطار « كرساجو » ، ومطار كرساجو هذا عبارة عن ارض فضاء مسطحة طوله نحو ٣ كم وعرضة ٢ كم ويقع على بعد ١٧ كم شرقي القضارف ، وقد بدأ الأمر يثير شكوك السكان العاديين في المنطقة وهم اناس بسطاء يعملون في الزراعة والرعي لم يتعودوا على مشاهدة هذه الطائرات حتى عندما كانت القرية السياحية في قمة نشاطها منذ عامين .

تقع قرية عروس على بعد ٥٠ كم شمال بورسودان على مرفأ جيجا بالبحر الأحمر ، الطريق اليها وعر ولابد من ركوب البحر للوصول اليها ، بها فندق يتكون من ٣٠ غرفة ، وقد بدأت فكرة انشاء هذه القرية كمشروع سياحي عام ١٩٧٣ وتم افتتاحها رسميا في ٢٩ مايو ١٩٧٥ ، وهى احدى قريتين سياحيتين الاخرى هى قرية « جمبزة » باقليم الاستوائية مخصصة للصيد وقد بدأ استخدام هذه القرية كستار تدار فيها عملية نقل اليهود الفلاشا بدون علم السلطات السودانية عندما استأجرتها شركة سويسرية تدعى نايكوافيشن « شركة نايكو للملاحة الجوية » في ١٩ نوفمبر ١٩٨١ .

لاحظت اجهزة الأمن السودانية أن نشاط الشركة قد ازداد في شهر مايو عام ١٩٨٢ وذلك بهبوط طائرة مجهولة الهوية في مطار كرساجو في أوقات منتظمة خلال هذا الشهر وبالتحديد مساء كل يوم خميس .

لم يكن أحد يعرف أصل هذه الطائرة ولا من اين جاءت . وماهى اهدافها وفي مثل هذا الجو وهذه الظروف حيث مشاكل الحدود بين السودان واثيوبيا والمنظمات الاريترية المعادية للنظام الاثيوبي يمكن أن تثور إلى الاذهان أكثر من أى احتمال آخر ، وكان لابد من متابعة الموقف فتحرك فريق من شرطة البحر الأحمر وأمن الدولة وامين شرطة هو محمود ابراهيم ابو محمد ونقيب شرطة هو محمد أحمد على ابراهيم وقاموا بمعاينة ارض الهبوط فشاهدا آثار هبوط طائرة وآثار عربتين كبيرتين ، وآثار اقدام ، ولفت انتباههم آثار شخص كان يرقد في

الناحية الجنوبية للمطار متخذا وضع الاستعداد العسكري لضرب النار ، كما عثروا على علبة فارغة من مشروب البيبسي كولا وعلبة عود ثقاب مكتوب عليها فندق هيلتون الخرطوم ، وبطاريات اضاءة صنعت في امريكا ، كما عثروا على ملابس رجالية ونسائية واطفال واحذية من النوع الذي يرتديه الاحباش ، واربعة صفائح ماء اثنان منها مليئة بالمياه واثنان منها فارغة ، وعلبة سجاير مارلبورو ، وبمعاينة ماتخلفه الطائرة من آثار على ارض الهبوط المرصوفة اتضح أنها هبطت اربع مرات في هذه المنطقة وأن هذه الطائرة عسكرية طراز **C130** ولوحظ أن الاشجار الصغيرة التي نمت بمرور الزمن قد تمزقت وتناثرت على الجهة اليمنى للمطار بفعل حركة الطائرة .. وباستجواب الأهالي الموجودين في المنطقة تأكد أن الطائرة نزلت في هذا المكان ليلا واكثر من مرة وأن احد الاجانب الذي كان يتحدث اللغة العربية شوهد وهو يقوم بعملية تنظيف « الران واى » نهارا ، ثم تأتي عربات كبيرة ليلا حيث تقوم باضاءة ارض المطار .

أمام هذه الشواهد تقرر أن يقوم صف من القوات المسلحة بعمل كمين للطائرة في أحد أيام الخميس ، وفي الموعد المحدد حضرت الطائرة بالفعل ولكن يبدو انها كشفت الكمين فلم تهبط وعادت ادراجها في الاتجاه الشرقي .

لقد تكررت المشاهد عندما قام محمد أحمد على ابراهيم وآخرون من رجال الشرطة والأمن بالمرور على القرية السياحية بحجة انهم بعثة تعليمية في طريقها إلى حلايب هناك عثروا على نفس الاشياء التي تكشف عن الطائرة عثروا على علبة بيبسي كولا وعلبة شاي ليبتون وكبريت هيلتون الخرطوم وخبز مغلف وتوصلوا إلى قناعة بأن هذه الأشياء تتطابق تماما مع المخلفات التي كانوا قد عثروا عليها في مطار كرساجو .

هذه الاشياء الصغيرة علبة الكبريت وعلبة البيبسي كولا قضت على الاحتمال الذي يقول إنهم ربما كانوا جماعة يقومون بعمليات عسكرية من المنظمات الاريترية أو الجيش الاثيوبي ، وتوجهت الانظار إلى احتمال آخر بدا أكثر غموضا . ولم يتضح ملامحه ، وبدأ البحث يدور حول هؤلاء الاجانب الذين يعملون في قرية عروس السياحية ، أن آثارهم هى نفس الآثار التي كانت في مطار كرساجو ، بل إنه اتضح أن القرية يوجد بها سيارتان لوري وعربتان لاندكروزر من ذلك النوع الذي بدت آثاره عند المطار ، وبدأت الصورة الغامضة تزداد وضوحا ويتبدد الضباب من حول ذلك الشخص الذي يدعى دانيال لونجيير

فهو الذي يدخن سجائر المارلبورو وينزل بفندق هيلتون عندما يكون بالخرطوم ، أما الشخص الاجنبي الذي يتحدث اللغة العربية ويقوم بتنظيف المطار نهار فهو الماني الجنسية ويدعى « سيرل » ويشغل منصب ممثل المندوب السامي للاجئين في بورسودان .

وهكذا اتضحت أول الخيوط بوجود علاقة بين هؤلاء المقيمين في قرية عروس وحركة الطائرة العسكرية ليلا كل يوم خميس في مطار كرساجو . أصبح هناك حقيقة أن هؤلاء الاجانب الذين اتخذوا من مشروع سياحي ستارا لنشاطهم الحقيقي وهو نقل اليهود الفلاشا إلى خارج السودان ، وليس من المستبعد أن يكون دانيال لونجير هذا ضابط بالمخابرات الاسرائيلية تخفى فى شخصية مستثمر امريكي .

كشفت التحقيقات والتحريات فيما بعد أن هذا المشروع السياحي الذي حمل اسم قرية عروس كان ستارا لعملية ترحيل اليهود الفلاشا التي كانت تشرف عليها السفارة الامريكية في الخرطوم وموظفون بمكتب شئون اللاجئين التابع للأمم المتحدة ولقد ظل هؤلاء الاجانب يعملون بها حتى قيام الانتفاضة الشعبية في ١٦ ابريل (نيسان) عام ١٩٨٥ ، وعدد هؤلاء الاجانب ستة اشخاص يتزعمهم شخص يدعى « تسكر » كان معهم بالاضافة إلى السيارات الأربعة جهاز لاسلكي بعيد المدى وتسعة عوامات غطس كاملة ومنظم اوكسجين ، وحتى هذا التاريخ فإن القرية رأت العدي من المشاهد الغامضة والتي كان ابطالها شخصيات سياسية امريكية ، وتسجل وقائع هذه الفترة تلك الزيارة التي قام الفريد اثرتون السفير الامريكي بالقاهرة ومعه الملحق العسكري بالسفارة الامريكية بالخرطوم .. ففي يوم ١٣ فبراير ١٩٨٣ وصل دانيال إلى بورسودان قادما من الخرطوم يحمل معه خطابا من وزارة السياحة يتضمن رغبة سفيري امريكا في القاهرة والخرطوم والملحقين العسكريين وزوجاتهم للحضور إلى قرية عروس في يوم ٢٥ فبراير ومغادرتهما في اليوم التالي . لقد زادت هذه الزيارة حدة الشكوك ، فهل من المعقول أن يأتي وفد على هذا المستوى وبهذه الصفة الاجتماعية من القاهرة والخرطوم للسياحة في هذه المنطقة النائية ولمدة يوم واحد خاصة وقد احيط بها اهتمام من قبل المسئولين ، على أى حال فإن مدير شركة السياحة السودانية كتب مذكرة بهذه الزيارة إلى محجوب محمد على نائب وزير السياحة . وجاء في المذكرة : « أن ضابط العلاقات العامة بالسفارة الامريكية اتصل به وطلب الحجز ليوم وليلة في قرية عروس السياحية لوفد على مستوى عال بهدف الراحة والاستجمام والاستمتاع والوقوف على نشاطات القرية مع استعدادهم لدفع جميع التكاليف » .

في صباح يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٩٨٣ هبطت مطار بورسودان طائرة حربية خاصة تقل الوفد الامريكي .. سفيران واربعة عسكريين وزوجاتهم . هذه الزيارة الغامضة لفتت نظر العقيد حسن عثمان بوحدة أمن بورسودان ، وأمر بتشكيل فريق مراقبة من العميد بحري نور الدين أحمد فتح وشخص مدني يجيد الغطس ويعمل بالبحر واستعمل الثلاثة أحد اللنشات المؤجرة لمراقبة حركة الوفد الامريكي من مرفأ جيجا المواجه للقرية حيث استمرت المراقبة طوال اليوم والليلة التي امضاها الوفد الامريكي .. وقد كتب العقيد حسن عثمان في تقريره إلى رئاسته بالخرطوم اورد فيه ماتوصل اليه من نتائج بعد المراقبة قائلا : « إن الزيارة لم تكن بقصد الترفيه وإنما بقصد العمل لأن الزوار الامريكان لم يتحركوا إلى البحر اطلاقا وإنما ظلوا بداخل مباني القرية .. واقترح في برقيته ضرورة رصد هذا النشاط من الخرطوم وحتى بورسودان ذلك أن اجهزة الأمن في المنطقة توصلت إلى قناعة وهو قيام هذه المجموعة الاجنبية بعمل غير مشروع لم تتمكن من تحديده .

وفي شهر مايو ١٩٨٤ وصلت برقيات من أمن القضارف إلى أمن بورسودان ، ومن قائد الاستخبارات العسكرية بالخرطوم إلى بورسودان تتضمن معلومات بشأن ترحيل بعض افراد الفلاشا اليهود الاثيوبيين عن طريق البحر الاحمر .

وفيما يلي نص احدى هذه البرقيات بتاريخ ٥ يوليو ١٩٨٤ تحمل رقم ٤٥٠ موجهة من أمن القضارف إلى أمن بورسودان :

« مقرر (١) » ــ الرئاسة عمليات

داخلي

مقرر دائرة الأمن ٤٥٧ بتاريخ ٨ مايو ١٩٨٤ (٣ ب) ورود معلومات مؤكدة بوجود شبكة تعمل على ترحيل الفلاشا باعداد كبيرة إلى اسرائيل حتى يتم نقلهم بواسطة الشاحنات من القضارف حتى منطقة سواكن ، ثم بالسنابك عبر البحر حيث تنتظرهم البواخر .

كذلك وردت معلومات مماثلة في برقيات اخرى احداها بتاريخ ١٦ مايو ١٩٨٤ والاخرى بتاريخ ٢ يونيو ١٩٨٤ وكلاهما من قائد استخبارات الخرطوم إلى قيادة بورسودان واضافت البرقية الاخيرة أن هذه العمليات تقوم بها شبكة تعمل داخل السودان ولابد من وضع خطة محلية للقبض على افراد هذه الشبكة .

وماحدث بعد ذلك إنه لم يتم القبض على هذه الشبكة ، بل ظلت تعمل حتى قيام الانتفاضة الشعبية في مارس ــ ابريل ١٩٨٥ وتمكنت من الهرب في ١٦ ابريل واتضح أن عددهم ستة اشخاص ، حيث غادروا قرية عروس بعربتين لاندروفر ستيشن وبيك آب ، واخذوا معهم اجهزة الاتصال التي كانت في حوزتهم ، وكان رئيس هذه المجموعة « تسكر » قد تعرض في يوم ١٩ ابريل لحادث بالبحر ادى إلى اصابة رجله بكسور ونقل إلى مدينة بورسودان حيث وضعت رجله في الجبس .

واكتشف هروب هذه المجموعة بعد يوم ١٦ ابريل وازاء هذا تم تشكيل فريق من قيادة منطقة بورسودان برئاسة النقيب أحمد محمد عبد الرحمن وقاموا بمسح المنطقة الشمالية حتى الحدود الغربية وانضم اليهم بعد ذلك افراد من الدفاع الجوي وبعد بحث مرهق تمكنوا من الحصول على معلومات من بعض الأهالي في المنطقة التي مروا بها افادت بهبوط طائرة بالمنطقة في ليلة ١٦ ابريل ١٩٨٥ ، وسبق هبوطها وجود اجانب يفترشون الأرض وبجوارهم عربتان تحمل نفس اوصاف العربتين اللتين هربنا من قرية عروس .. هذه المنطقة بها مجموعة قرى .. وقام فريق البحث باستجواب عمد هذه القرى ومن بين هؤلاء عمدة قرية تدعى « حوناب » ذكر لهم أن طائرة بحجم كبير تساندها طائرة اخرى تعمل كاستطلاع هبطت واقلعت من مطار (عبوده) الواقع في هذه المنطقة .. قام الفريق بمعاينة أرض المطار فشاهدوا آثار بداية نزول الطائرة وآثار الوقوف وقدرت المسافة بين النقطتين نحو كيلو متر ، وقد ساعدت الأرض غير المرصوفة على ذلك ، وتم قياس المسافة بين آثار الاطارات الخلفية للطائرة وكانت اربعة امتار وسمك الاطار كان ٤٠ سم وكانت هذه الأوصاف تدل على أن الطائرة التي هبطت طائرة كبيرة ــ طراز ١٣٠ سي . كما وجدت آثار العربتين وهى تدخل الطائرة ، وعثر كذلك على عصا ضوئية كالتي تستعمل للاضاءة الليلية .

ويذكر واحد من هؤلاء الذين قاموا باستطلاع الحقائق عن هؤلاء الاجانب يقول إنه في شهر يوليو عام ١٩٨٥ قام بزيارة فندق اركويت وطلب مراجعة سجل النزلاء فعثر على اسم « سبيرل » الالماني الذي ضمن المجموعة واكتشف أنه وصل المنطقة أربعة مرات خلال شهري ابريل ومايو عام ١٩٨٢ ، وأنه في كل مرة كان يقضي يومين يكون احدهما يوم الخميس وهو اليوم الذي كانت تقلع فيه الطائرة محملة باليهود الفلاشا إما إلى مواقع بحرية أو إلى عواصم افريقية ثم تنقل إلى اسرائيل .

لقد كانت قوى أمن المنطقة ترصد نشاط السيد سبيرل عندما كان يصل إلى

اركويت خاصة عندما تزامن موعد وصوله مع هبوط الطائرة وفي احدى المرات انتهز رجال الأمن فرصة عودته إلى الخرطوم وقاموا بتفتيش غرفته فلم يعثروا إلا على كراسة لتعليم لغة السكرنجبة الاثيوبية ، ويبدو أنه شعر بعملية التفتيش بعد عودته حيث نقل بعد هذه الواقعة بأيام إلى جيف .

أما في قرية عروس فقد جاء من فرقة التحري التي شكلت لكشف كافة التفاصيل عن هذه العملية بعد انتفاضة ابريل ١٩٨٥ أنها عثرت في غرفة مدير القرية على عصا ضوئية لم تستعمل بعد من تلك التي كانت تستعمل ليلا للانارة للطائرات ، وكذلك عثر على موصل لجهاز الارسال بعيد المدى الذي اخذته المجموعة الهاربة معها وعثر ايضا على عربة لوري وسيارتين لاندكروز تم الحجز عليها .

دلت التحريات أن مجموعة من الاجانب في هذه القرية كان لهم تحركات مريبة بالليل حيث يخرجون بعربات لواري عادية بعد الثانية صباحا . وفي سبتمبر ١٩٨٤ كتبت وحدة الأمن تقريرا إلى الرئاسة بالخرطوم ذكر فيه أن نشاط الاجانب في هذه القرية غير عادي وانهم يقومون بعمل مريب واوصى بعدم تجديد عقد القرية . والواقع أن الشركة الاجنبية المعروفة باسم « نابكوافيشن » كانت مسئولة مسئولية مباشرة عن حلب السياح للقرية والاشراف على راحتهم وتقديم الطعام والشراب لهم وكان يفد اليها كثير من اعضاء السفارات والهيئات الاجنبية ويقضون اربعة أيام أو اسبوعا وخاصة في اعياد رأس السنة .. وقد هرب ممثلو الشركة في ١٦ ابريل ١٩٨٥ أى بعد الانتفاضة الشعبية بعشرة أيام وهم ينتمون إلى جنسيات بريطانية وفرنسية والمانية وارجنتينية وقد تم هروبهم بواسطة طائرة مجهولة ٣٠ / سي واتضح أنهم كانوا ينزلون في غرف ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ وقد تركوا في غرفهم ملابس واحذية كما لو كانوا تركوا المكان فجأة .

عندما يدخل اللاجىء الأراضي السودانية تتولى الاشراف عليه سلطات أمن الدولة والمخابرات العسكرية والشرطة ، يعطى في أول الأمر تصريح ويذهب إلى معسكر الاستقبال حيث يتم تسجيله بعد أن يتم ملء استمارة بها بيانات تتضمن معلومات اساسية مثل الاسم ، العمر ، الجنس ، الدين ، اللغة اسباب النزوح ، الاتجاهات المستقبلية التي تعني إما العودة التطوعية أو اعادة توطينه ، وعندما يتم ملء هذه الاستمارة يعطى كارت وتتخذ الاجراءات لاستقباله لتقديم الرعاية الصحية والغذائية وتأمين الخدمات العامة . وعلى سبيل المثال فإن الاستمارة التي تحمل رقم ٧٥٣٠ في معسكر تواوا يدعى صاحبها مولوناركو (١٧

سنة) من منطقة غوندار الاثيوبية وسبب حضوره هو اعادة التوطين ومستوى تعليمه الصف الرابع الابتدائي وديانته يهودي ولغته الامهرية ، أما اتجاهاته المستقبلية الذهاب إلى اسرائيل ولكن يبدو أن مسئولي المعسكر لم يأخذوا الأمر على محمل الجد فلم يفعلوا شيئا أكثر من كتابة التقارير الادارية وكذلك لم تفعل وحدات الأمن شيئا سوى مراقبة الاجانب في قرية عروس واركوبت والاشارة إلى انهم يقومون بعمل غير عادي ومريب ، وهكذا يبدو الأمر أن عملية تهريب اليهود الفلاشا لم تكن غائبة منذ بدايتها على اجهزة الأمن ، كانت هذه الاحهزة تشعر بأن هناك اشياء ما تحوم من حولها في الظلام لكنها فيما يبدو لم تكن قادرة على الامساك بها إما لاعتبارات سياسية تفوق قدرتها أو اعتبارات امنية تتحدى امكانياتها ، وفي نعض الحالات فإنه كان لقوى الأمن أن تمسك بهذه الاشباح لكن سرعان ما يتلاشى منها تحت ضغوط اقوى ، حدث ذلك عندما القت السلطات الامنية على عربة لاندروفر في منطقة القضارف بها ٢٣ شخص من اليهود الفلاشا يرافقهم اثنان احدهما اثيوبي يدعى « ايمانويل وآخر اوروبي يدعى توني » يعملان بمكتب شئون اللاجئين التابع للأمم المتحدة يومها نقل قسم المخابرات بالقضارف لجهاز أمن الدولة برقية إلى مركز الرئاسة بالخرطوم تتضمن معلومات تقول إن هناك اجانب يقومون بترحيل الفلاشا والقى القبض عليهم لكن سرعان ماجاءت تعليمات بالافراج عنهم وعدم التعرض لهم .

وما حدث في شرق السودان حدث في حنوبه فقد ظلت اجهزة الأمن ترقب وتتابع مايجري حتى وصل بها الأمر إلى مدينة جوبا عاصمة اقليم الاستوائية جنوب السودان بعد أن اتضح أن هناك اجانب يقومون بقل اليهود الفلاشا إلى جوبا ومن جوبا يتم نقلهم بالطائرات إلى نيروبي وكشفت التحريات أن هذه المهمة يقوم بها مجموعة مس الامريكيين ونجحت احهزة الأمن في القاء القبض على اثنين مهم في سبتمبر ١٩٨٣ وهما « توم روك » و« ستيفن جويليك » . وقد تدخلت السفارة الامريكية لدى السلطات السودانية للافراج عنهما وعرضت طائرة خاصة لنقلهما من جوبا إلى الخرطوم . وقد استدعى اللواء عمر محمد الطيب وقتها السفير الامريكي هيوم اليكندر هوران وابلغه استياء الحكومة من تصرفات هذين الشخصين وقد وعده السفير الامريكي بأن متل هذا العمل لن يتكرر ، وقد ظل هدان الامريكيان معتقلين في الحرطوم إلى أن افرج عنهما في نوفمبر ١٩٨٣ بسبب زيارة كان الرئيس السابق جعفر نميري يعتزم القيام بها إلى الولايات المتحدة الامريكية واقترحت السفارة السودانية في واشنطن الافراج عن الامريكيين حتى يكون ذلك سببا في انجاح زيارة الرئيس

وحصول السودان على المساعدات الامريكية التي تحصل عليها سنويا والتي تقدر بنحو ١٥٠ مليون دولار .

هكذا تكشفت الخبايا ولم تعد الاشباح التي تحوم في معسكرات اللاجئين حول مدينة القضارف اطيافا هائمة تسرح في الظلام وكان ذلك على الأقل معروفا لدى قيادة اجهزة الأمن في الخرطوم والمسئولين في مفوضية شئون اللاجئين ، وبدا لهؤلاء أن النشاط الذي يدور اكبر من مقدرتهم ، سواء ذلك الذي يحدث في القضارف عبر طائرات الليل أو عبر البحر الأحمر من مطار كرساحو إلى سواكن وبروسودان وقرية عروس أو ذلك الذي يتحدث من مطار حوبا إلى نيروبي ، كانت هناك شبكات منظمة تتحرك بطائرات وبواخر وسيارات في مناطق الحدود الاثيوبية السودانية تقوم بفرز افراد الفلاشا من بين معسكرات اللاجئين لنقلهم في سيارات اللواري وتنقلهم إلى الطائرات أو البواخر ، ولم يكن أمام السلطات السودانية سوى رصد هذا النشاط والشعور بعدم القدرة على مواجهته أو منعه ، لم يكن أمامها سوى اعتقال افراد قلائل من الاجانب الذين بدا لهم أنه يمكن أن يتحركوا بحرية طالما أنهم يعرفون أن عملية النقل متشعبة ومستمرة ، وحتى هؤلاء الافراد سرعان ماتأتي التعليمات باطلاق سراحهم .

استمر الحال على هذا النحو خلال عامى ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ وترصد مستندات جهاز الأمن عمليات ترحيل اليهود الفلاشا ، ومن هده المستندات البرقية رقم ٤٥٠ بتاريخ ٥ يوليو ١٩٨٤ التي تتحدث عن ورود معلومات مؤكدة بوجود شبكة اجنبية تعمل على ترحيل الفلاشا باعداد كبيرة إلى اسرائيل وجاء في البرقية « إنه يتم نقلهم بواسطة الشاحنات من القضارف حتى منطقة سواكن ثم بالسنابك إلى عرض البحر حيث تنتظرهم البواخر » .

وفي سبتمبر ١٩٨٤ تلقى جهاز أمن الدولة تقريرا اعده اسماعيل ابراهيم اسماعيل مساعد معتمد اللاجئين في القضارف كان قد رفعه إلى معتمد شئون اللاجئين عبد الماجد بشير الاحمدي الذي عين سفيرا للسودان بعد ذلك في ليبيا ، وقد تضمن هذا التقرير معلومات عن الفلاشا وتاريخهم ومناطق تواجدهم داخل اثيوبيا ، وذكر أن العدد الموجود داخل المعسكرات يتراوح بين سبعة وثمانية آلاف وانهم يسببون مضايقات داخل المعسكر واقترح منع دخولهم إلى الحدود السودانية والسماح لهم بالخروج للدول التي يرغبون السفر اليها .

وقد جاء هدا التقرير في وقت كانت تجرى فيه اتصالات سرية بين الولايات المتحدة والسلطات السوداية لوصع خطة تتضمن نقل عشرة آلاف مں اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل بعد أن تبت للوكالة اليهودية الامريكية واسرائيل أن عملية نقل اليهود الفلاشا لاتتم بالصورة المرضية التي تسهل الآلاف من هؤلاء وأن ذلك يحتاج إلى خطة مع الحكومة السودانية ، وقد اشار الكاتب البريطاني تيودور بارفيت في كتابه « عملية موسى » عندما قال : « كان دور الرئيس نميري في عملية الفلاشا دورا مستترا وكان يدرك حطورة نتائحها على السودان نحكم علاقته مع العالم العربي وربما كان يصله مں تقارير من مفوضية شئون اللاحئيں خاصة أنه منذ عام ١٩٧٧ بدأ افراد من الفلاشا يصلون السودان بشكل منتظم ، وفي خلال ثلاث سنوات بلغ عدد الدين احتازوا الحدود إلى السودان عدة مئات جاءوا مع اللاجئين الهاربين مں المعارك الدائرة بين الاريتريين واثيوبيا ، ومند عام ١٩٨٠ بدأ الموساد (حهاز المحابرات الاسرائيلي) يتولي عملية نقل الفلاشا بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية والمنظمات اليهودية في اوروبا وامريكا التي اتخذت من المنظمات التطوعية والحكومية لاغاثة اللاحئين ستارا لها .

يواصل الكاتب البريطاني روايته :

« قام الموساد بمبادرة دبلوماسية مع امريكا لاقناع نميري بغض الطرف عن نقل اليهود الفلاشا عبر السودان ونتيجة لذلك تورط جهاز أمنه المعروف باسم جهاز أمں الدولة الدى غض الطرف بدوره عں عملية نقل اليهود الفلاشا وقامت الموساد بتنسيق العمل داخل السودان ، وفي اوائل عام ١٩٨٠ سرت شائعات في السودان بأن الرجل الثاني في الموساد الاسرائيلي رار الخرطوم ليضع برنامج عمل مع عاصر في جهاز امن الدولة السوداني ، وفي نفس الوقت تسلل رجل ابيض داخل المفوضية السودانية لشئون اللاجئين اختار أن يكون مع مجموعة من العملا في معسكرات اللاحئين بالقضارف لتحرير عقود عمل لهم في شركة كينية ونجح في تسفير اربعمائة شخص ، لوم يكن هذا الرجل الابيض إلا عضوا في الموساد ، ولم يكن هؤلاء العمال إلا افرادا من اليهود الفلاشا تم تسفيرهم إلى اسرائيل عں طريق كينيا ، وبعد أن غادر السودان واكتشف أنه لم يكن عضوا في منظمات الاغاثة وقيل إنه كان يعمل في مفوضية شئون اللاجئين التابعة للامم المتحدة كتمويه على الاشاعة التي سرت في الخرطوم .

ويذكر الدكتور ثيودور بارفيت أن الأموال تدفقت على عدد من المسئولين في السودان

منهم من يقوم باصدار جوازات سفر مزيفة أو تأشيرات خروج جماعية أو تأمين خروجهم وأكثر من ذلك فإن الاموال كانت ضرورية لتشجيع رجال الأمن السوداني والمسئولين كى يغضوا الطرف عما يحدث ، ولم تسبب دخول الاموال إلى السودان أى مشكلة خاصة فقد كان هناك عدد من الامريكيين والاوروبيين اليهود من رجال الاعمال الذين لهم مصالح في السودان ويتعاطفون مع قضية الفلاشا يسهلون ادخال الاموال إلى السودان .

وفي الفترة من عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٨٤ وزعت ملايين الدولارات في السودان لتسهيل مرور الفلاشا من معسكرات اللاجئين القريبة من القضارف إلى الخرطوم ومنها إلى عواصم اخرى قبل أن يصلوا إلى اسرائيل . لقد كانت هذه الاموال صادرة مباشرة من جهاز الموساد ولم تكن هذه هى المرة الأولى التي يستخدم فيها المال لشراء اليهود . حدث ذلك بعد الحرب العالمية الثانية في بولندا ورومانيا وغيرها لتهجير اليهود إلى اسرائيل ، وقد احتاج الموساد مع هذا الوضع الجديد إلى رجال كثيرين يعملون مابين اثيوبيا والسودان ليسهلوا خروج اليهود الفلاشا من اثيوبيا ثم ينقلونهم بعد ذلك من السودان وقد ساعدت ظروف الحرب في اقليمي ارتيريا وتبجراى وكذلك ظاهرة الجفاف رجال الموساد في تحقيق اهدافهم.

هذا ما يقوله الكاتب البريطاني الدكتور ثيودور بارفيت في كتابه « عملية موسى » وهو ليس يهوديا ولكنه يتعاطف مع اسرائيل واليهود وزار اسرائيل ومكث بها عدة سنوات للدراسة كما زار المجتمعات اليهودية في كافة أرجاء العالم بما فيها الدول العربية والكتلة الشرقية وزار مواقع الفلاشا في معسكراتهم قبل نقلهم إلى اسرائيل .

هكذا تستمر عملية نقل اليهود الفلاشا بطرق خفية كان جهاز أمن الدولة السوداني على علم بها لكنه اغمض عينيه عنها وآثر أن يتظاهر بعدم معرفته بما يحدث ، وعندما كانت التقارير تأتي إلى الرئاسة بالخرطوم من وحدات الأمن في القضارف أو بورسودان أو جوبا وكسلا وكافة المناطق التي كان ينقل منها اليهود الفلاشا كانت التعليمات تأتي متضاربة منها من يأمر برصد الظاهرة وتتبعها والقاء القبض على القائمين بها ، ومنها مايأتي بعدم التعرض لهم على اساس انهم اجانب يعملون في برامج ومشروعات اغاثة اللاجئين واعادة توطينهم ..

ويستمر الوضع على هذا النحو إلى أن يتلقى مكتب رئيس جهاز أمن الدولة التقرير الذي اعده اسماعيل ابراهيم نائب المفوض العام لشئون اللاجئين السوداني رفعه إلى المفوض العام بشير الأحمدي في سبتمبر ١٩٨٤ يتضمن التقرير وصفا كاملا ليهود الفلاشا

واوضاعهم والمناطق التي يأتون منها والمواقع التي يسكنون فيها بعد وصولهم إلى الاراضي السودانية ، ويذكر الاخطار التي تهدد السودان بوصولهم اليها ويضع أمام المفوض العام اقتراحين لحل هذه المشكلة الأول هو غلق الحدود السودانية أمامهم وعدم استقبالهم والثاني فتح الباب امامهم للهجرة من السودان إلى أى بلد يريدون السفر اليها لتخفيف العبء عن السودان .

لقد كان هذا التقرير نقطة تحول في عملية نقل اليهود الفلاشا من السودان . إذ أنه فيما يبدو التقى مع خطة كان جهاز أمن الدولة ينوي تنفيذها بعد أن استجاب الرئيس نميري لمطالب الولايات المتحدة الامريكية بغض الطرف عن عملية نقل اليهود الفلاشا ولقى الاقتراح الخاص بفتح الباب أمام اليهود الاثيوبيين بالهجرة من السودان إلى أى بلد يريدون السفر اليه ارتياحا لدى قيادة جهاز أمن الدولة لأنه على الاقل سيكون مبررا للدخول في عمليات أكثر اتساعا وانتظاما . ولم تمض اسابيع قليلة من هذا التقرير حتى تطورت الاحداث ، ولم تعد الاشباح الغريبة وحدها تتحرك في الظلام .. ودخل جهاز امن الدولة اللعبة وصار بعد ذلك طرفا من الاشباح التي تتحرك في الظلام .

○ ○ ○

الفصل الثالث

في داخل جهاز الأمن السوداني

لم يكن ضباط جهاز أمن الدولة السوداني قد وضعوا في حساباتهم عندما اختاروا العمل في الجهاز أنه سيكون من بين مهام عدد منهم تسهيل عمليات نقل آلاف اليهود الاثيوبيين المعروفين باسم « الفلاشا » من السودان ، وغض الطرف عن نشاط جماعات اجنبية تتولى هذه المهمة بشكل غير معلن ، ذلك أن ضباط الأمن قد ادوا القسم والتزموا بقانون اجهزة الأمن عام ١٩٧٤ ، وقانون جهاز أمن الدولة عام ١٩٧٨ « بمحاربة الامبريالية والاستعمار والصهيونية » ويبدو أن هذه العبارة مع مرور السنين قد تآكلت ، ولم يعد هناك أحد من المسئولين أو الذين وضعوها في القانون يتوقف عندها أمام تداعيات الأحداث وصدور آلاف التعليمات والأوامر من القيادة العليا التي على الضباط أن يقوموا بتنفيذها . فالأوامر تأتي من « الرئيس جعفر نميري » حتى مارس ١٩٨٥ إلى نائبه الأول عمر محمد الطيب الذي كان رئيسا لجهاز أمن الدولة ، والرئيس ونائبه يكلفان من يقوم بأى عملية دون علم بقية افراد الجهاز وحتى دون أن يكون هناك قرار سياسي ، وعلى الضباط السمع والطاعة طالما انهم يحصلون على امتيازات تتمثل في حصولهم على سكن خاص وسيارة ومرتب يزيد كثيرا عن زملائهم في الادارات الاخرى ، ومنصب ينتظرهم في الخارج كقنصل في عاصمة اوروبية أو افريقية ، بالاضافة إلى كل ذلك سلطة يحيط نفسه بها كأنها في اصبعه خاتم سليمان تفتح له الابواب الموصدة في مجتمع لايزال يفسح الطريق لرجل الأمن خوفا منه أو تزلفا اليه وابتغاء رضائه وهو شعور موروث في دول العالم الثالث منذ أن جلا عنها الاستعمار وحل مكانه حكومات وطنية لكنها ديكتاتورية تحمي نفسها بسياج من اجهزة الأمن المتعددة الأغراض ، وهذا الجهاز يضم رجالا تتوفر فيهم روح المغامرة والتطلع إلى السلطة وتنفيذ التعليمات التي تصدر اليهم من القيادة العليا وهى عادة ماتكون الحاكم الفرد ، الذي يشار اليه عادة بالزعيم أو الرئيس القائد أو الجنرال ، يحصلون على تدريبات عسكرية معينة ، وتدريبات اخرى في الدول الكبرى التي تحتفظ بعلاقات من نوع خاص مع دول العالم الثالث يفسرها الحاكم الفرد بأنها علاقات صداقة تقوم على الاحترام المتبادل بينما

هي في الواقع علاقة تبعية وعادة ماتكون هذه الدول الكبرى لها مصالح متعددة تتطلب أن يكون لها وجود داخل اجهزة هذه الدول الصغيرة بما فيها اجهزة الامن .

ولقد كان جهاز أمن الدولة السوداني الذي انشأه جعفر نميري حتى مارس ١٩٨٥ نموذجا لاجهزة الأمن في دول العالم الثالث ...

تعود قصة انشاء هدا الجهاز إلى عام ١٩٧٠ أى بعد شهور قليلة من الانقلاب العسكري الذي وقع في ٢٥ مايو ١٩٦٩ وتولى السلطة حفنة من العسكريين على رأسهم العقيد جعفر نميري الدي ظل يمنح نفسه رتبا عسكرية طوال فترة حكمه حتى وصل إلى رتبة المشير . في سنة ١٩٧٠ انشيء جهاز الأمن العام الذي تلقى افراده التدريبات في أول الأمر في الاتحاد السوفيتي ثم انشيء جهاز الأمن القومي عام ١٩٧٤ وفي عام ١٩٧٨ تم دمج الجهازين في جهاز واحد سمى جهاز أمن الدولة واختير اللواء عمر محمد الطيب رئيسا له .

عندما وقعت الانتفاضة الشعبية في ٢٦ مارس ١٩٨٥ وتم حل جهاز أمن الدولة في ٩ ابريل ١٩٨٥ كان عدد العاملين فيه نحو اربعة آلاف شخص معظمهم ضباط برتب مختلفة وبتعاون مع الجهاز من خارجه نحو ٤ ألف آخرون من تجار وسائقي التاكسي وطلاب وصحفيين محليين وقلة من صحفيين عرب وكشفت المستندات بعد ذلك أن الصحفيين الدين تعاونوا مع الجهاز كانت لهم مرتبات ومكافآت شهرية قدرت بآلاف الدولارات وللجهاز ميزانية سرية وميزانية معلنة ، أما الميزانية المعلنة فقدرها ٣٥ مليون جنيها سنويا ، وتعد الميزانية عن طريق لجنة يرأسها نائب رئيس الجهاز ويشترك في عضويتها مديرو الادارات والهيئات ومدير الشئون المالية ، وترفع الميزانية لرئيس الجهاز الذي يناقشها بدوره مع وزير المالية للموافقة عليها ، ثم ترفع لرئيس الجمهورية للتصديق عليها .

وبموجب قانون انشاء الجهاز عام ١٩٧٨ فإنه يتبع رئيس الجمهورية مباشرة ، الذي يعين رئيس الجهاز ، والجهاز مؤسسة عسكرية مستقلة عن التنظيمات العسكرية الاخرى .

أما اختيار ضباط الجهاز فإنه ليس شرطا أن يكونوا من رجال القوات المسلحة أو الشرطة ، أن الشرط الاساسي هو الولاء الكامل للحاكم وأن يكون على قدر من الذكاء والثقافة والمهارات المختلفة وأن يخضع في أول الأمر لاختبارات معينة تكون نتيجتها إما أن يصبح عضوا دائما بالجهاز أو يستغنى عنه ، وفي حالة قبوله يبدأ سلسلة دورات تدريبية عسكرية وفنية ثم

يوفد في بعثات إلى الدول الكبرى « الصديقة » ويمنح رتبة عسكرية يظل يترقى فيها حتى درجة « لواء أمن » . ومن هؤلاء لواء أمن عثمان السيد الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الجهاز ، والتحق بجهاز الأمن عام ١٩٧٠ بعد أن عمل بمعهد تدريب المعلمات الاوسط في ام درمان ثم التحق بجهاز الرقابة الادارية ، وعندما التحق بجهاز أمن الدولة اشترك في دورات تدريبية في المانيا وامريكا ومصر وبريطانيا .

عقيد الفاتح عروة ، خريج الكلية الحربية عام ١٩٧٠ وقبلها تخرج من قسم الدراسات الاقتصادية بجامعة الخرطوم والتحق بالدفاع الجوي وانضم للجهاز عام ١٩٧٥ وحصل على دراسات تدريبية في موسكو وعمل قنصلا في موسكو ثم اثيوبيا . مقدم دانيال دينج لوال ملازم شرطة انضم للجهاز عام ١٩٧٤ عمل في اقليم بحر الغزال الذي ينتمي اليه ـــ وهو من قبيلة الدينكا ـــ ثم نقل لوحدات الأمن بالاقليم الشرقي في كسلا والقضارف .

عميد موسى اسماعيل سعيد ، تخرج من كلية الاداب جامعة الخرطوم عام ١٩٦٩ والتحق بالأمن القومي عام ١٩٧٠ وحصل على تدريب عسكري وتدرب في الاتحاد السوفيتي وفرنسا ، وعمل قنصلا بالسفارة السودانية في لندن ثم بقسم المخابرات الخارجية .

وغير هؤلاء اللواء الفاتح الجيلي واللواء كمال حسن أحمد نائبا مدير الجهاز وعمر سراج الدين وعبد الله عبد القيوم وحسن بيومي وهى من الاسماء التي ترددت في قضية الفلاشا سواء التي شارك في نقلهم أو التي حذرت من عواقب هذه المهمة وهذا يعني أن العاملين بالجهاز هم على مستوى جيد من الثقافة والمهارات الشخصية ، والقدرة على التصرف ، وهم في نفس الوقت لا يعصون لقياداتهم امرا فإن الطاعة واجبة دون ابداء الاسباب .. ولهذا فإن التسلسل القيادي مسألة هامة ولا يستطيع ضابط أمن أن يتجاوز رئيسه إلى رئيس اعلى إلا إذا كان مكلفا في عملية خاصة من الرئيس الأعلى . ومن مبادىء العمل في الجهاز « المعرفة بقدر الحاجة » وهي ان يعطي ضابط الأمن من المعلومات مايمكنه فقط من تنفيذ المهمة المكلف بها دون الخوض في النتائج .

وينعكس أهمية التسلسل القيادي حتى في الاشكال الادارية فتوقيعات رئيس الجهاز تكتب بقلم غير اقلام النواب ومديري الادارات :

فالقلم الأخضر لرئيس الجهاز
والأحمر للمديرين

والازرق لمن هم دون ذلك ..

كان جهاز أمن الدولة السوداني ينقسم إلى هيئات وادارات وفروع ومن هذه الهيئات هى هيئة العمليات التي تعتبر الادارة الفعلية في تحقيق التنسيق بين الادارات .

أما الادارات فهى ادارة الأمن الخارجي وادارة الأمن الداخلي ، وادارة أمن العاصمة ، وادارة أمن الاقاليم ، وكل ادارة تنقسم إلى فروع وشعب فإذا اخذنا ادارة الأمن الخارجي كمثال نجدها تنقسم إلى الفروع التالية :

١ ــ فرع المخابرات الخارجية ، ومهمتها متابعة النشاط الخارجي المعادي للسودان في الدول الاجنبية من وجهة نظر النظام بطبيعة الحال .

٢ ــ فرع المخابرات المضادة : وهو مسئول عن انشطة التجسس ونشاط السفارات والهيئات الاجنبية والرعايا الاجانب بشكل عام .

٣ ــ فرع حركات التحرر واللاجئين وهو مسئول عن تحركات اللاجئين والانشطة السياسية التي تقوم بها الجهات المعادية ، كما أنه مسئول عن المنظمات السياسية التي بها مكاتب في السودان مثل المنظمات الاريترية والتشادية وغيرها ..

٤ ــ فرع الأمن الاستراتيجي : ويتولى جمع المعلومات الاستراتيجية في المجالات السياسية والعسكرية عن الدول المجاورة .

٥ ــ فرع الاتصال الخارجي : ويتولى التنسيق مع ممثلي الاجهزة الصديقة .

٦ ــ فرع التنفيذ والمتابعة : وتقع على هذا الفرع مسئولية الفروع المختلفة بالاضافة إلى مباشرة عمليات معينة في مجالات مختلفة مع اجهزة صديقة في السودان .

وتقوم هذه الفروع برفع تقارير بصفة منتظمة لمدير الامن الخارجي الذي يقوم بدوره بتحويل ما يراه ضروريا لاطلاع رئيس الجهاز عليه مثل التقرير اليومي الذي يعده فرع المخابرات الخارجية استنادا إلى مايذكره المندوب بالخارج ، وكذلك تقرير فرع المخابرات الاجنبية في السفارات ونشاطاتهم ، وكذلك نشاط المنظمات الاجنبية ، كذلك يصل تقرير اسبوعي من فرع حركات التحرير واللاجئين عن انشطة اللاجئين والجهات التي تعمل في المجالات السياسية .

أما ادارة الأمن الداخلي فهى مسئولة عن رصد النشاطات السياسية والمهنية والنقابية والدينية والقبلية ورصد اتجاهات الرأى العام من خلال التقارير التي تصل من الفروع المختلفة والادارات الاخرى كى تساعدها لمعرفة مايحدث في الدولة ورصد هذه الاحداث في

تقرير يرفع إلى رئاسة الجهاز ، وكانت ادارة الأمن الداخلي ترفع تقريرا يوميا لرئيس الجمهورية ورئيس الجهاز ووزير الدفاع ووزير الخارجية ومفتش عام الشرطة بالاضافة إلى بعض الادارات داخل الجهاز لتنسيق عملية تبادل المعلومات التي يرى مدير ادارة الأمن الداخلي اطلاع الادارات الأخرى عليها .

وتعتبر ادارة الاقاليم ادارة مستقلة ، ذلك أن حاكم الاقليم يقوم مقام رئيس الجهاز في اقليمه ، ولها ادارات فرعية وتقوم هذه الادارة بتنسيق المعلومات التي تهمها مع ادارة الامن الداخلي وهيئة العمليات .

لرئيس الجهاز ثلاثة نواب برتبة لواء وكلهم بدرجة وزير دولة وكان هؤلاء الثلاثة عند حل الجهازفي شهر ابريل ١٩٨٥ هم : كمال حسن أحمد ، والفاتح الجبلي ، وعثمان السيد .

تتحدد اختصاصات حهاز أمن الدولة فيما يلي :

١ ـــ البحث والتحري بهدف اكتشاف أى نشاط داخلي أو خارجي ضد الدولة .
٢ ـــ مكافحة أى نشاط ضد الدولة داخل السودان ورصد أى نشاط في ذلك .
٣ ـــ اتخاذ الاجراءات المناسبة .
٤ ـــ يجوز لرئيس الجمهورية أن يكلف الجهاز بالقيام باعمال لم ينص عليها في ١ ،٢

أما اختصاصات رئيس الجهاز فهى ثلاث واجبات اساسية كما يلي :

(١) أن يتولى سلطة الاشراف الفني والاداري عن أعمال الجهاز واعضائه ويصدر القرارات اللازمة لتنظيم الجهاز وسير العمل .

(٢) رئيس الجهاز مسئول أمام مجلس الأمن القومي ، ويعمل على تأمين نشاط الجهاز والمحافظة على مايحصل عليه من معلومات سرية عن وسائل الحصول على تلك المعلومات ومصادرها ، لايجوز له الادلاء بمعلومات عن تلك المصادر إلا لمصلحة العمل وباذن من رئيس مجلس الامن القومي أو رئيس الجمهورية .

(٣) يقدم تقريرا دوريا لرئيس الجمهورية يوضح فيه الانجازات والمتطلبات والاوضاع الامنية .

ويجب على رئيس الجهاز أن يتصل مباشرة برئيس الجمهورية لتنويره وابلاغه بما يحدث .

ويقول عمر محمد الطيب رئيس الجهاز إنه بتكوين هذا الجهاز عام ١٩٧٨ كان لابد

من وضع استراتيجية امنية جديدة للسودان ، وكانت تنحصر في مجالات خمسة سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا وامنيا ، ولوضع هذه الاستراتيجية موضع التنفيذ كان لابد من إعادة تنظيم الجهاز فاعيد تنظيمه باوامر مستديمة ، اصبحت هياكله الاساسية هى رئاسة الجهاز ثم هيئات تتبع رئاسة الجهاز ثم ادارات في شكل فروع أو شعب ، وكانت هناك ادارات أمن في الاقاليم تتبع رأسا حاكم الاقليم وتعمل ضمن مجلس الامن الفرعي أى أنه كان هناك مجلسى أمن فرعى في كل اقليم بالاضافة إلى وجود ادارة أمنية للعاصمة القومية .

كان اسلوب العمل في الجهاز اسلوبا لامركزيا ، تأتي المكاتبات باسم رئيس الجهاز ثم توزع على الادارات والهيئات والفروع والشعب ، وتتخذ فيها كل الاجراءات المناسبة ، ويمكن رفع بعض الاجراءات التي تكون أكبر من صلاحيتهم لرئيس الجهاز ويلاحظ أنه يوجد ربط بين الادارات والهيئات ورئيس الجهاز عن طريق التقارير اليومية والاسبوعية .

واحيانا يدعو رئيس الجهاز اعضاء من القيادات للتنوير والتوجيه وليس لبحث خطة معينة وتنفيذها فذلك مهمة الجهة المعنية التي كلفت بها ، وإذا تلقى رئيس الجهاز قرارا سياسيا يقوم فقط بابلاغه للشخص المسئول المكلف بالقيام به ، طبقا لمبدأ « المعرفة على قدر الحاجة » ، وعندما تكلف اى وحدة بمهمة تقوم باعداد خطتها وتعرضها على الجهة التي اصدرت التكليف فإذا وافقت عليها يتم التنفيذ وتقوم باخطار الجهة المسئولة بهذا الشأن .

ولا يقتصر عمل الجهاز على اداراته وفروعه فقط وإنما يرتبط بعلاقات مع الاجهزة الاجنبية في مجالات محدودة مثل تبادل معلومات في موضوع معين ، ويقول كمال حسن أحمد إنه في هذا الصدد جرى العرف أن يكون العمل في هذا النوع من التعاون على أعلى مستوى تحسبا لاقتران الجهاز بأى وسيلة وهو تعاون يحتاج إلى قدر كبير من الحذر .

وقد دلت الاحداث على أن هذا الجهاز كانت مهمته الاساسية هى حماية النظام الذي سقط يوم ٦ ابريل ١٩٨٥ ، ولم تكن اهتماماته تزيد عن مطاردة الشخصيات السياسية المعارضة للنظام ورصد الانشطة التي تقوم بها الدول المجاورة حتى لو كانت دولة صديقة ووصلت انشطتها إلى حد متابعة المواطنين في حياتهم الخاصة وتقديم تقارير يومية عنهم إلى الرئيس القائد واصبح اعضاؤه لهم حرية التصرف ضد المواطنين وفق معايير اهواء شخصية مثل الاستيلاء على منازل المواطنين وضمها للجهاز والاستيلاء على اموال مكاتب

الصيارفة قبل ساعات من اعلان قانون يعيد تنظيم عمل هذه المكاتب ، حدث هذا عام ١٩٨٤ واغلق ٣٢ مكتبا للصيارفة بعد أن استولى ضباط الجهاز على نحو ١٥ مليون دولار .. وقد قدم مصطفى محمد على رئيس مدير الادارة الاقتصادية في الجهاز إلى المحاكمة بعد ثبوت اتهامات ضده لاساءة استخدام سلطته بتشجيع من رئيس الجهاز والاستيلاء على اموال ومنازل المواطنين .

ومن الاشياء الغريبة أن السودان كدولة من دول العالم الثالث تقع عليها اعباء ديون قدرها ٩ بليون دولار كان هم جهاز أمن الدولة فيها ارسال وفود برسائل إلى المسئولين في عدد من الدول العربية الغنية للحصول على مساعدات قدرها ٢٥ مليون دولار ليس من أجل مشروع تنموي أو انشاء مطار تحتاج اليه او جامعة تشكو عجزا ماليا وإنما لانشاء مبنى جديد لجهاز أمن الدولة قدرت تكاليفة بـ ٢٠٠ مليون جنيه و٢٥ مليون دولار ظل رئيس الجهاز عدة سنوات يعتبره املا وهو يضع نموذجا لهذا المبنى في مكتبه وخصصت رسوم البطاقة الشخصية التي تجمع من المواطنين لحساب هذا المبنى ، والغريب أن المبنى صمم على غرار مبنى وكالة المخابرات المركزية الامريكية في واشنطن .

برغم أن مهمة جهاز الأمن داخل اوساط اللاجئين هى متابعة نشاطات اللاجئين السياسية والأمنية إلا أن كبار ضباط الجهاز اعلنوا أنهم لم يعرفوا بعملية تهريب افراد من اليهود الاثيوبيين « الفلاشا » إلا ابتداء من عام ٨٠ ، ومعنى ذلك أن نائب معتمد شئون اللاجئين اسماعيل ابراهيم سبقهم في ذلك حيث قال « إن معرفته بعملية تهريب الفلاشا بدأت منذ عام ١٩٧٩ عندما احس بوجود عناصر اجنبية تعمل وسط اللاجئين وتقوم بنقل انواع معينة من اللاجئين لم يشك في أنهم من اليهود الاثيوبيين الذين ينقلون إلى خارج السودان ثم إلى اسرائيل بعد ذلك » .

وحقيقة الأمر فإن عملية تهريب اليهود الاثيوبيين من معسكرات اللاجئين على الحدود الاثيوبية السودانية بدأت في نهاية ١٩٧٧ حيث لجأت اعداد قليلة منهم إلى السودان ضمن آلاف المسيحيين الذين لجأوا إلى الحدود السودانية ، ووصلت اعداد قليلة منهم إلى اسرائيل وقد اعطى وصول هذا العدد القليل إلى اسرائيل دافعا لآلاف اليهود الاثيوبيين للهجرة بعد ذلك .

والغريب أن جهاز الأمن السوداني بدأ يتعرف على موضوع تهريب الفلاشا من الاثيوبيين عام ١٩٨٠ ..

يقول اللواء عثمان السيد نائب رئيس الجهاز « بدأ موضوع الفلاشا يتردد داخل الجهاز لأول مرة عام ١٩٨٠ .. ففي يناير من هذا العام سافرت مع النائب الأول عمر محمد الطيب رئيس الجهاز في زيارة سرية إلى اثيوبيا في اطار تحرك بدأه السفير السوداني ميرغني سليمان لتحسين العلاقات مع اثيوبيا ، وكان من الضروري أن يمر هذا التطور في العلاقات عبر اجهزة الأمن في البلدين .. وجرى احتماع مع الرئيس مانجستو هيلا ماريام ، ووزير الأمن الاثيوبي موحاسي هايتي ماريام وتم تشكيل لجنة فرعية اثيوبية سودانية لبحث جوانب الامن يرأسها من الجانب السوداني اللواء عمر محمد الطيب ومن الجانب الاثيوبي موحاسي هايتي ، وفي الاجتماع الأول ابلغنا الجانب الاثيوبي أن لديهم معلومات بأن هناك اعدادا من الفلاشا يتم تهريبهم من الأراضي السودانية إلى اوروبا ومنها إلى اسرائيل » .

يواصل اللواء عثمان السيد روايته « ومرة اخرى فتح الجانب الاثيوبي الموضوع في احتماع عقد باديس ابابا في مارس عام ١٩٨٠ حيث سافرت ضمن وفد يرأسه عبد الماجد حامد خليل النائب الأول آنذاك وتشكلت ثلاث لجان عسكرية وسياسية وأمنية » وظل الاثيوبيون يكررون هذا الموضوع في كافة الاجتماعات المشتركة السبع بين اديس ابابا والخرطوم في الفترة من مارس ١٩٨٠ و ١٩٨٢ .

في أحد هذه الاجتماعات التي جرت في الخرطوم في ابريل عام ١٩٨٠ بين وفد سوداني يرأسه اللواء عمر محمد الطيب ووفد اثيوبي برئاسة العقيد تصفاى مسئول الأمن الاثيوبي طلب الجانب الاثيوبي أن تقوم السودان بوقف هذه العمليات من أجل تحسين العلاقات . وكان رد اللواء عمر محمد الطيب في هذا الاجتماع إنه ليس هناك تأكيدات لدى السودان بتهجير يهود اثيوبيين من السودان إلى اسرائيل ولا يوجد اصلا علاقات بين السودان واسرائيل أو حتى تنسيق سياسي أو أمني حتى يحدث ذلك بالاضافة إلى موقف السودان المعلن بالتزامها جانب القضية العربية بوصفها طرف عربي في حالة عداء مع اسرائيل ولها موقف واضح مؤيد للقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في عودته إلى اراضيه ، واضاف اللواء عمر الطيب يومها :

ــ ونحن كجهاز أمن فإن احدى اولوياتنا متابعة النشاط الاسرائيلي وخاصة في افريقيا ..

لقد بدأ جهاز الأمن السوداني على أية حال يتنبه إلى ظاهرة تهريب الفلاشا ، وبدأت التقارير تفد اليه من القنصلية السودانية في نيروبي وواشنطن تؤكد ماقاله الاثيوبيون في الاجتماعات السرية المغلقة سواء في اديس ابابا أو الخرطوم واعطيت التعليمات إلى وحدات

الأمن في معسكرات اللاجئين بالاقليم الشرقي لمتابعة الموضوع ، ومنذ عام ١٩٨١ بدأت الوثائق الأولى توضع في ملف تهريب الفلاشا بادارة الأمن الخارجي بجهاز أمن الدولة السوداني ، ففي ٢٦ ابريل ١٩٨١ تلقى الجهاز تقريرا بوصول اعداد منهم إلى القضارف ، وقد علق العميد سراج الدين مدير فرع حركات التحرير واللاجئين بخط ازرق على هذا التقرير قائلا : « للآن لم نعرف الرأى النهائي بخصوص هذه المجموعات التي تنتمي لقبيلة الفلاشا وللعلم فإن المعلومات تشير إلى أنهم يحاولون الهرب إلى اسرائيل وطبعا لا يعقل أن نساعد في الهجرة إلى اسرائيل ، ونسأل عن التوجيهات » .

وفي ٧ مايو ١٩٨١ علق اللواء عثمان السيد مدير ادارة الأمن الخارجي بخط احمر قائلا : « إذا كانت تعليماتنا السابقة بخصوص هذه المجموعة والعملية التي قمتم بها بالتعاون مع فرع المخابرات المضادة ولم يصلكم الرأى النهائي فهذه مصيبة وعموما الرأى النهائي هو عدم تمكين هذه المجموعة من الهجرة إلى اسرائيل » .

ومنذ ذلك الوقت بدأت وحدات جهاز أمن الدولة السوداني في القضارف وكسلا وبورسودان وفرع المخابرات المضادة وفرع شئون التحرير واللاجئين تنشط في كتابة التقارير والبرقيات إلى رئاسة الجهاز وظلت هذه البرقيات تحمل تأشيرات المديرين وملاحظاتهم وابداء ارائهم حتى اواخر عام ١٩٨٤ عندما بدأت قيادة الجهاز نفسها تنزلق في هذه العملية وتصبح طرفا في عملية نقل اليهود الفلاشا .

راحت وحدات الأمن تتابع وترصد الحركة في قرية عروس السياحية وفي مطار كرساجو ووسط اللاجئين في معسكر تواوا وود الحليو ففي شهر فبراير عام ١٩٨٣ تلقى رئيس هيئة العمليات برقية من وحدة القضارف تحمل رقم ١٤٧٣ جاء فيها « أن طائرتين مجهولتى الهوية هبطتا في منطقة الشوك ويعتقد انهما قامتا بتهريب عدد من اليهود الاثيوبيين (الفلاشا) إلى اسرائيل ، وقد حولت هذه البرقية إلى عمليات الشعبة الثانية ثم تحركت هذه البرقية إلى أكثر من جهة داخل جهاز الأمن وعلق عليها نائب رئيس جهاز الأمن اللواء عثمان السيد بقوله : « اخشى أن تكون الطائرات والسيارات تابعة لبعض المنظمات الخيرية العاملة في الاقليم الشرقي» ، لقد كانت هناك حتى الآن شكوك لدى مسئولى جهاز الأمن حول نشاط هذه الطائرات ووضعت احتمالات متعددة لنشاطها ، إما أنها تقوم بجلب اسلحة لاحداث عمليات تخريب لصالح المعارضة السودانية أو أنها تابعة لجبهات اتيوبية واريترية معادية للنظام الاثيوبي ، ومن بين هذه الاحتمالات أن تكون طائرات تابعة لشركات

التنقيب عن البترول العاملة بالسودان تقوم بأعمال التنقيب » .

ثم وقع حادث في مدينة جوبا .. وهو القاء القبض على اثنين من الامريكيين هما توم روك وستيفن ، وتدخلت السفارة الامريكية للافراج عنهما وترحيلهما ، عند ذلك اتضحت ابعاد الصورة كاملة ولم يعد هناك شك لدى قيادات جهاز الأمن بأن هناك عمليات نقل لليهود الفلاشا تتم من وراء ظهر الحكومة السودانية واجهزتها خاصة بعد التقرير الذي بعث به دانيال دينج لوال مدوب الأمن في القضارف حيث جاء في هذا التقرير مايلي :

« في ٢١ فبراير ١٩٨٤ جاءنا بلاغ من أحد المواطنين أن طائرتين نزلتا في منتصف الليل وسجل بلاغ بذلك في قسم البوليس بعدها تقرر تشكيل لجنة من الأمن والشرطة والاستخبارات العسكرية » وقامت اللجنة بعمل معاينة فوجدنا آثار لاطارات عريضة مما جعلنا نتكهن بأن الطائرة من الحجم الكبير ، وعثرنا كذلك على فضلات طعام وبطاقة لطالب اثيوبي ، ولمبة ، وورقة مكتوب عليها كلمات بالعبرية ، وقد جمعنا هذه المخلفات وكتبنا تقرير وتوصلنا لاستنتاجات أن الطائرات نقلت لاجئين اثيوبيين وقد رفعنا تقريرا بذلك من الاقليم الشرقي .

ويضيف التقرير : لقد اتضح لنا أن منظمتى

Intergavernmental catholic for immegration commetter (I.C.M.C)
joint valunteer agency (J.V.A.)

أى « اللجنة الحكومية الكاثوليكية للهجرة ، والوكالة التطوعية المشتركة » لا تقومان بأى عمل مادي لخدمة اللاجئين وإنما يتركز نشاطهم في إعادة اللاجئين ، حيث تقوم المنظمة الثانية باختيار عدد منهم وتحولهم إلى المنظمة الأولى التي تعلمهم اللغة الانجليزية وتستخرج لهم تصاريح مُرور للخرطوم وتقوم باعداد اجراءات سفرهم خارج السودان .

اثار هذا التقرير اهتمام المسئولين في رئاسة جهاز امن الدولة وكتب العميد عثمان السيد مدير الأمن الخارجي يعلق على ماجاء في تقرير مندوب أمن وحدة القضارف وفيما يلي نورد ماكتبه العميد الجعلي :

١ ـــ إن عملية ترحيل الفلاشا قامت بها خلايا بدأت نشاطها في القضارف والخرطوم والجنوب ونيروبي ورصدنا لهم منافذ منظمة وقد وجدنا عندهم شفرة تعمل في تحركاتهم وعند اعتقال اثنين من افرادهم في الجنوب سعت السفارة الامريكية وعلى رأسها السفير

الامريكي للافراج عنهما ، بل ذهبا ابعد من ذلك عندما حاولا الفرار من جوبا وتم القبض عليهما مرة اخرى وعندما تأخر وصولهما إلى الخرطوم عرض القنصل الامريكي احضارهما ولو كلف ذلك دفع ايجار طائرة خاصة الشيء الذي يعكس الامكانيات الضخمة التي وراء عملية الفلاشا .

٢ ـــ اكاد اجزم أن معلومات مندوبنا بالقضارف صحيحة مائة بالمائة ، الشيء الذي جرى في القضارف هو عملية تهريب لجماعة الفلاشا باسلوب مختلف ، ولكنه يعكس جانب المغامرة والسرية .

ورد اللواء عثمان السيد مدير الأمن الخارجي على هذه المذكرة حيث كتب معلقا :

« اتفق مع مدير أمن القضارف في شكه أن هناك منظمات تعمل في مجال اغاثة اللاجئين ضالعة في هذه العملية ، وقد تم نقل ٨٠٠ شخص على هاتين الطائرتين » .

هكذا ، وبعد جهد ومتابعة ورصد لتحركات العناصر الاجنبية لفترة طويلة اتفقت وجهات نظر القيادات العاملة في جهاز أمن الدولة أن هناك منظمات يهودية امريكية تقوم بنقل هؤلاء اليهود الاثيوبيين ، وقد اتضح لهم أكثر من ذلك انهم ينقلون إلى مواني على البحر الأحمر .

ازاء ذلك كتب اللواء الفاتح الجيلي نائب رئيس الجهاز مذكرة إلى اللواء عمر محمد الطيب رئيس الجهاز في ٨ مايو ١٩٨٤ قال فيها :

« افادت المعلومات الواردة من القضارف أنه بمعدل ١٠٠ لاجيء يوميا من اليهود الاثيوبيين يريدون الهجرة إلى اسرائيل يتدفقون على الأراضي السودانية مما يترتب عليه الحاق الضرر بسمعة البلاد وهم يعاملون معاملة اللاجئين ويمكنهم مغادرة البلاد بوثائق اللاجئين متى شاءوا ، ومن ثم يتوجهون إلى اسرائيل حسب رغبتهم . إن شح الامكانيات يحول دون مراقبتهم وبالتالي يتعذر التدقيق المستمر ونظرا لحساسية الأمر نرى تكوين لجنة تضم ممثلين عن جهاز الأمن ووزارة الخارجية والداخلية لدراسة هذه الظاهرة ووضع الاجراءات » .

بقلمه الأخضر كتب اللواء عمر محمد الطيب على هذه المذكرة : « اوافق على تكوين هذه اللجنة ووضع الاجراءات اللازمة وشكرا ، عمر » ، ومؤرخة في ١٣ مايو ١٩٨٤ ، وقد حول اللواء الفاتح هذه المذكرة وعليها تعليق رئيس الجهاز إلى مدير ادارة الامن الخارجي مؤشرا بعبارة « اختيار مندوب والاتصال بالخارجية ، ومعتمد اللاجئين لتعيين

مندوب على أن يعالج الأمر بسرية » ، ثم حولت هده المذكرة إلى فرع المخابرات المضادة ، وتم اختيار الرائد عبد الله عبد القيوم ليكون مندوب جهاز الأمن في هذه اللجنة .

لم تكن اللجنة قد تشكلت إلا على الورق بينما ظلت البرقيات والتقارير تتوالى من وحدة من القضارف ، ففي ٨ مايو ١٩٨٤ وردت برقية تحمل رقم ٤٥٧ صادرة من أمن القضارف إلى أمن بورسودان ، مكرر الخرطوم ، عمليات داحلي ، مكرر كسلا تتضمن مايلي :

« تفيد معلوماتنا عن وجود شبكة تعمل على ترحيل اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل نقلا من السودان خاصة من الاقليم الشرق . نقوم بمتابعة هذه الشبكة وفي سبيلنا لكشف عناصرها . وسيلة ترحيلها عن طريق البحر الأحمر بواسطة البواخر . شاحنات للقضارف حتى سواكن ثم يتم نقلهم بالبواخر . هناك الوكالة التطوعية المشتركة والهيئة الكاثوليكية الحكومية ضمن هذه الشبكة . نشاطها يتم بسرية تامة ودقة تامة . نرجو الافادة . ومايتوفر لكم من معلومات » .

كان رد الفعل لدى رئاسة جهاز الأمن تعليقات وتأشيرات كتبت على البرقية منها مثلا : « حول وجود شبكة تعمل لترحيل اليهود ــ ايجابياتها : تفريغ البلاد منهم ، سلبياتها : نعجز عن كشف الاساليب التي يخرجون بها » .

ومنها : « الموضوع يتطلب معلومات مكثفة في منطقة سواكن بالذات ونرجو المتابعة الدقيقة » ، توقيع حسن بيومي للسيد الوزير ونائب رئيس الجهاز .

ومن هذه التأشيرات ايضا « نرى والرأى لسيادتكم معالجة هذا الأمر والهام والخطير على أمن البلاد » .

أما اللواء الفاتح الجبلي واللواء عثمان السيد فقد رأيا بأن « تحول المعلومات التي وردت بهذا الشأن إلى اللجنة المذكورة وتقدم التوصيات بشأنها » ثم جاء تعليق العميد أحمد الجعلي « ارجو تلخيص مايتوفر لديكم كخلفية لهذا الموضوع الذي اخذ حيزا كبيرا في الفترة السابقة » .

ثم من العميد الجعلي للسيد الوزير ونائب رئيس الجهاز : « ارفق لسيادتكم ملخصا بنشاط الفلاشا ورصد تحركاتهم » .

ولم تتوقف التقارير الواردة من القضارف حيث توجد معسكرات اللاجئين ، وقد

تضمنت التقارير معلومات جديدة منها أن المنظمتين العاملتين في شئون اللاجئين وهما « I.C.M.C » و « J.V.A » قد نقلت مكاتبهم خلال شهرى مايو ويونيو ١٩٨٤ دون أى اخطار بينما مكاتبهم الرئيسية في الخرطوم تواصل عملها .

تم رصد تحركات شخص امريكي يدعى « جيري ويفر » وهو يتحرك وسط اللاجئين لاختيار نوع معين منهم هم اليهود الفلاشا ..

في شهر اغسطس ٨٤ داهمنا منزلا بمعسكر اللاجئين في تواوا اتضح أن احد كبار الفلاشا يسكن فيه ويقوم بتقديم العون والتسهيلات لافراد قبيلته في المنزل عثرنا على ١٩ ألف جنيه مدفونة تحت الأرض ، وفتاتين ، وكشفا يضم اسماء من اليهود الفلاشا وتاريخ وصولهم مكتوبا باللغة الامهرية وبسؤال الفتاتين قالا انهما يعملن خادمتين عند صاحب البيت .

ولقد تم اخطار رئاسة جهاز أمن الدولة بهذه المعلومات ، وهذه المرة لم تتلق وحدة أمن القضارف ردا على ماجاء في هذه التقارير ..

كانت الضغوط السياسية وتدهور الاوضاع الامنية تشغل اهتمام جهاز الأمن والنظام نفسه أكثر من أى شيء آخر ..

يقول اللواء عمر محمد الطيب : « لم يكن موضوع الفلاشا في اولويات اهتمامنا بعد أن تزايدت المشاكل الأمنية في عدة جهات وخاصة في جنوب السودان وانشغالنا بحركات التحرر واللاجئين وكنا نتلقى تهديدات باحداث اغتيالات سياسية حتى لزعماء المعارضة انفسهم ونسف الكبارى والاذاعة ومستودعات البترول وتوقع حدوث عمليات حربية محدودة مفاجئة مثل غزو عام ١٩٧٦ ولهذا فإن موضوع الفلاشا جاء متأخرا في برنامجنا » .

ظل الحال على هذا النحو عدة شهور ، وحدات الأمن في القضارف تواصل ارسال تقاريرها عن زيادة نشاط الاجانب في نقل اليهود الفلاشا وترحيلهم بينما رئاسة الجهاز في الخرطوم ، تلتزم جانب الصمت تجاه هذه التقارير .

إلى أن جاء أحد أيام الاسبوع الأول من عام ١٩٨٤ في هذا اليوم رن جرس التليفون السري في مكتب اللواء عمر الطيب رئيس جهاز أمن الدولة ، ورفع السماعة ليجد في الطرف الآخر « الرئيس القائد » جعفر نميري يبلغه امرا هاما .. يقول له : « لقد ابلغت الحكومة الامريكية اليوم بموافقتي على طلبها في نقل ٢٥ ألف لاجىء اثيوبي إلى كل من اوروبا

وكندا والولايات المتحدة ضمن برنامج اعادة توطين اللاجئين ورأيت أن اكلف الجهاز بالاشراف على هذه العملية لأنها ستكون سرية ..

فوجىء اللواء عمر بما سمعه من الطرف الآخر ، خاصة أن المتحدث هو الرئيس القائد ، واحس أن هؤلاء اللاجئين من نوع خاص .. شعر بالارتباك وادرك أن أمامه مهمة دقيقة .. قال بصوت خافت :

ــ سيادة الرئيس هل تسمح لي أن التقى بك لمزيد من الايضاح .. ؟!

.. وحدد الرئيس له موعدا في اليوم التالي ..

وهكذا وجد جهاز أمن الدولة نفسه طرفا في عملية نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل .

○ ○ ○

الفصـــل الرابع

عملية الشـرق

في اليوم التالي التقى الرئيس مع نائبه ، ودار الحديث في بدايته حول الاوضاع الامنية بشكل عام ثم تطرق الحديث بشكل تفصيلي حول نقل هؤلاء اللاجئين الاثيوبيين .. تحدث الرئيس عن الخطاب الذي تلقاه من الادارة الامريكية بشأن طلب تعاون السودان معها لنقل ٢٥ ألفا من اللاجئين الاثيوبيين إلى كل من اوروبا وكندا والولايات المتحدة الامريكية ، لم يشأ الرئيس أو نائبه أن يشيرا إلى هؤلاء اللاجئين بأنهم الفلاشا لكن كلاهما كان يعلم حقيقة هذا النوع من اللاجئين بالتحديد ، ولا يأبهم في رأيهما إن يذهبوا إلى اسرائيل بعد خروجهما من السودان او لا يذهبوا طالما أن طريقهم إلى اوروبا وامريكا ، لكن الحيطة كانت واجبة خاصة من قبل الرئيس الذي كان حريصا على أن تتم عمليات النقل بكافة وسائل السرية واتفق معه في ذلك نائبه خشية أن توقف الدول التي تقدم العون للاجئين مساعداتها إذا اعلنت السودان صراحة أنها تقوم بترحيل لاجئين وحتى لاتثير اثيوبيا مشاكل جديدة السودان في غنى عنها ، وكذلك لاتغضب الدول العربية وتقاطع السودان إذا اعترف السودان بدورها في هذه العمليات .

مرت فترة صمت اثناء اجتماع الرئيس ونائبه فكر خلالها اللواء عمر الطيب لوهلة كيف ستكون البداية وادرك أن كل شيء قد اعدت له عدته وتذكر عندما ابلغه احد ضباطه في جهاز الأمن وهو العقيد الفاتح عروة منذ شهرين بأن الولايات المتحدة الامريكية ستطلب رسميا من دول اوروبا استقبال عدد من الفلاشا ، قطع الصمت الرئيس وكأنه كان يقرأ مايدور في رأس نائبه ، وقال :

ــ لاتقلق ياعمر ، إن مكتب شئون اللاجئين بالسفارة الامريكية سيتولى الانفاق على هذه العملية ، ولن يتكلف السودان شيئا .. ثم قال كأنه يعطى امرا لنائبه :

ـــ بسق مع السفارة الأمريكية لاتمام هذه المهمة ..

عندما عاد عمر الطيب في منتصف ذلك اليوم إلى مكتبه الذي لايبعد كثيرا عن القصر الجمهوري استدعى اللواء عثمان السيد وهو واحد من النواب الثلاثة لرئيس جهاز أمن الدولة بدرجة وزير لينقل اليه تعليمات رئيس الجمهورية .. لم يكن اللواء عثمان السيد وقتها متفرغا للعمل فقد كان وقته موزعا بين الاكاديمية العسكرية والجهاز ، ومن الواضح لضباط الجهاز أن العلاقة بين رئيس الجهاز ونائبه لم تكن تتسم بالود ولم يرد عمر الطيب أن يشرك نائبه في العملية ، اراد فقط ابلاغه بالعملية نظرا لعلاقته بالامريكيين الذين قد يعرف عنهم كل شيء .. أما اللواء عثمان السيد فإنه بدوره فهم مايهدف إليه رئيسه فاقترح تكليف ضباط آخرين مكتفيا بذلك .. وقد شجع رأيه هذا رئيس الجهاز على أن يحصر المهمة في ضباط اقل رتبة فيهم بعيدا عن نوابه من القيادات العليا ، وعلى الفور كلف العقيد موسى اسماعيل رئيس فرع التحرر واللاجئين بتنفيذ العملية ونظرا لسفر العقيد موسى بعد ايام إلى جنيف لحضور مؤتمر اللاجئين ضمن وفد السودان اقترح أن يكون العقيد الفاتح محمد عروة مساعدا له ليتولى الاشراف على العملية اثناء سفره ، حصل موسى اسماعيل على التوجيهات من اللواء عمر على النحو التالي : « يقوم فرع التحرر واللاجئين بالاشراف على هذه المهمة على أن يقوم بالاتصال للتنسيق مع ذوى الاختصاص وهم وزير شئون الداخلية ومعتمد اللاجئين ومدير الطيران المدني ، ومكتب شئون اللاجئين بالسفارة الامريكية ، ووحدة أمن القضارف وأي جهة أخرى لها صلة بالموضوع ويمكن أخذ رأيها في الاعتبار » .

يقول اللواء عثمان السيد :

ـــ في اواخر اكتوبر ١٩٨٤ اتصل بي الأخ العقيد موسى والفاتح وافاداني أن اللواء عمر اخطرهم أن هناك توجيهات من الرئيس السابق للسماح للامريكيين بترحيل يهود « فلاشا » إلى اوروبا وامريكا ، واذكر ايضا أنه في اطار مسئوليتي عن الاتصال الخارجي مع الامريكان أن اتصل به مستر مليتون مسئول المخابرات الامريكية بالخرطوم في أوائل نوفمبر وذكر لي أنه تقدم بطلب للواء عمر على اساس أن يسمح السودان بترحيل يهود الفلاشا إلى اوروبا وامريكا في اطار برنامج اعادة التوطين .

بطبيعة الحال لم يكن ماسمعه اللواء عثمان السيد من موسى والفاتح امرا سارا بالنسبة له خاصة انهما يعملان تحت امرته كما أنه بحكم عمله مسئول عن التنسيق والاتصال مع

الاجهزة الاجنبية « الصديقة » بما فيها جهاز المخابرات الامريكية .. وبالتالي كان من الطبيعي أن يكلف هو بتنفيذ العملية والاشراف عليها .

لماذا اذن استبعده عمر الطيب وتجاهله وكلف اثنين من مرؤسيه لتنفيذ المهمة ؟ .. كان هذا السؤال مصدر حيرة للواء عثمان السيد الذي ظل يحاول البحث عن اجابة له وهو يقلب الأمر على كل الوجوه واستنتج في النهاية أنه ربما لايريد رئيس الجهاز اشراكه في العملية حتى لايعرف الكثير عن اسرارها وخاصة الجانب المالي الذي لاشك أن رئيس الجهاز حريص عليه أو ربما استبعده لأنه كثيرا ماكان يثير موضوع ترحيل اليهود الفلاشا في الاجتماعات وضرورة معالجة هذه المشكلة في خلال عامى ١٩٨٠ و١٩٨٢ عندما كانت تصله التقارير من القضارف عن وجود شبكات غامضة تقوم بترحيل لاجئين اثيوبيين بعيدا عن اعين السودانيين .. وقد يعترض على هذه المهمة الجديدة إذا كلف بها .

استقر رأى عثمان السيد أن يلتزم جانب الحذر في هذه المهمة ويكتفي منها بدور المتابع دون أن يتدخل فيها .

هكذا اوكلت مهمة التنفيذ إلى العقيد موسى اسماعيل والعقيد الفاتح عروة دون اخذ رأى أو حتى اخطار القيادات والنواب داخل الجهاز .

كان الأمر الأول للعقيد موسى والفاتح أن يتصلا بالسفارة الأمريكية وبالتحديد بشخص يدعى مستر ميلتون هو ممثل المخابرات الامريكية في السفاره لأخذ التعليمات منه وتوجيهها .. ولم يكن الرجل غريبا عليهما ، فاسمه معروف لدى الجهاز وكثيرا ماكان يتردد على مكتب رئيس الجهاز ونائبه اللواء عثمان السيد ، وكان من الشخصيات الأمريكية النشطة في الخرطوم واتخذ من منزله في شارع ٢٥ بمنطقة العمارات بالقرب من مطار الخرطوم مركزا لنشاطه .

بدت العملية مثيرة لكل من موسى والفاتح عندما توجها إلى السفارة الامريكية وطلبا مقابلة مستر ميلتون الذي كان يتوقع وصولهما .. كان دور ميلتون أن يقوم بتقديمهما إلى شخص امريكي آخر يدعى « جيري ويفر » وهو شاب ممتلىء الجسم ، متحمس لعمله كثيرا ، يتحدث بصوت عال ويدخن بشراهة ، يهودي امريكي اوكلت له مهمة ترحيل اليهود الفلاشا واتخذا ساترا لمهمته وهو الاشراف على مكتب شئون اللاجئين بالسفارة الامريكية ، جرى حديث بين ويفر ورجلى الأمن السوداني ، اخرج ويفر ملفا من مكتبه

ووضع تقريرا امامه راح يقرأ منه ، كان التقرير يتضمن معلومات وارقاما عن اللاجئين الموجودين بشرق السودان بمعسكر تواوا وود الحلبو وام راكوبة وودشريفي ومدينة القضارف .. أما عدد اللاجئين الذين قام مكتب شئون اللاجئين بالسفارة الامريكية بحصرهم وقد وصل إلى نحو عشرة آلاف لاجيء .

قال ويفر :

ـــ سنبدأ بالذين تم حصرهم في معسكر تواوا لأن العدد فيه قليل ويمكن أن يكون بعد ذلك مركزا لتجميع بقية اللاجئين من المعسكرات الاخرى ..

كانت الأرقام التي سجلها العقيد موسى اسماعيل تبدو له غير صحيحه فتدخل في الحديث قائلا :

ـــ مستر ويفر يبدو أن هناك خطأ فيما ذكرت من ارقام ، إن الاحصائيات الموجودة عندنا في فرع التحرر واللاجئين تفيد بأن عدد اللاجئين من الفلاشا في هذه المعسكرات تتراوح مابين خمسة وستة آلاف شخص ..

عاد ويفر إلى اوراقه ليؤكد صحة الأرقام التي ذكرها وهي عشرة آلاف شخص ..

بعد أن قرأ التقرير اشعل سيجارة وقال إن المهمة التي يراد تنفيذها هي اتمام ترحيل اللاجئين الفلاشا بطائرات « شارتر » تجارية وأن كافة الترتيبات قد اعدت ورتبت وأنه لامشكلة في فرز الفلاشا عن بقية اللاجئين فهذه مهمة قد انتهى المكتب منها وتحدد عدد كل مجموعة في كل سفريه ..

سأل العقيد الفاتح :

ـــ وماهي مهمتنا نحن بالضبط ؟ ..

اعتدل ويفر في جلسته واشعل سيجارة اخرى .. وقال وهو يحرص على ألا يجعل صوته عاليا كعادته :

ـــ كل مانريده منكم هو تأمين نقل هؤلاء اللاجئين من القضارف إلى مطار الخرطوم بالطريقة التي يرى جهاز الأمن السوداني أن توفر وصولهم آمنين ..

كان ميلتون ممثل جهاز المخابرات الامريكية قد انضم إلى هذا الاجتماع وتناقش معهم في كيفية نقل هؤلاء اللاجئين بالسيارات من القضارف إلى الخرطوم ، وقال إن السفارة الامريكية ستوفر ٤ باصات لنقل الفلاشا .. كما سيحضرون اجهزة اتصال جديدة لتسيير

المهمة وستؤول كل هذه السيارات واجهزة الاتصال إلى جهاز الأمن السوداني بعد الانتهاء من العملية وسيتكفل الامريكيون بأى نفقات ومصروفات ادارية اثناء عملية الترحيل ، وعلى جهاز الأمن السوداني أن يقوم باعداد السائقين وفرق الحراسة والقيام بالاجراءات التي تتطلب تدخل جهة سودانية وخاصة في المسائل التفصيلية .

في نهاية الاجتماع شعر موسى والفاتح أنه لم يعد هناك حواجز في التعامل مع كل من جيري ويفر ومستر ميلتون فقد جرى الاجتماع في جو ودي تخللته بعض التعليقات الضاحكة التي ماكانت تحدث في اللقاءات السابقة ، وذكر موسى إنه التقى بميلتون مرتين في مكتب العقيد الفاتح ذلك أن العلاقة بين ممثل المخابرات الامريكية والفاتح كانت اقوى ، وهاهم الآن يبدون كاصدقاء الأمر الذي جعل كلا من موسى والفاتح يشعران بأن هذه العملية تختلف عن غيرها من العمليات العادية التي قاما بها ..

حمل مندوبا جهاز الأمن السوداني الخطة التي اعدتها السفارة الامريكية وكانت مكتوبة باللغة الانجليزية في شكل مذكرة قام الفاتح بترجمتها وكتابتها ليقدماها معا إلى اللواء عمر الطيب ..

شيء ما سرى داخل نفس موسى اسماعيل وهو ينقل نتائج المقابلة مع الأمريكيين إلى رئيس جهازه ، ولم يشأ أن يترك ماشعر به حبيسا في نفسه فقال :

ــ سعادتك .. عملية نقل هؤلاء اللاجئين حسب الخطة الامريكية قد تسبب حرجا للسودان وتؤكد الحملة التي تشن علينا بأننا نرحل فلاشا إلى اسرائيل ..

قال اللواء عمر بحزم :

ــ أنا لا أريد رأيكم ، ماطلبه الامريكيون علينا أن ننفذه ، وهذا قرار صادر من رئيس الجمهورية والقصد منه تخفيف الحملة الاعلامية الجارية الآن في وسائل الاعلام الامريكية والي تهدف إلى اساءة العلاقات مع السودان وامريكا بعد عملية تطبيق الشريعة الاسلامية ..

التزم العقيد موسى بالأمر وطرد من داخله الاحساس الذي راوده واقنع نفسه بأنه يقوم بتنفيذ تعليمات وراح يناقش الخطة الامريكية مع اللواء عمر .. فقال :

ــ إن عدد الفلاشا الوارد في الخطة الامريكية أكبر من العدد الذي احصيناه واخشى أن تكون هذه الزيادة انهم يريدون جلب مزيد من الفلاشا كى يرحلونهم في هذه العملية ..

قال اللواء عمر بلهجة واثقة :

ـــ سوف ابحث هذا الأمر مع الامريكيين كي لايأتوا بمجموعات أخرى من الفلاشا كي نرحلها في هذه العملية أما أنتم فعليكم التنفيذ ..

انتقل الحديث إلى نقطة اخرى اخذت وقتا طويلا من النقاش وهى كيفية نقل هؤلاء الفلاشا وهل سيتم نقلهم من مطار الخرطوم أم قاعدة وادي سيدنا الجوية ، وماهو الوقت الملائم الذي تتم فيه عملية الترحيل حتى يتم ضمان سريتها .

جرى نقاش اشترك فيه اللواء عمر والعقيدان موسى والفاتح ، ونظرا لأن العملية ستتم بشكل يومي أو كل يومين وستأخذ وقتا قد يمتد إلى عدة اسابيع فإنه كان من الضروروي أن تتم بحيث لاتثير اهتمام أحد أو تلفت الانظار طوال هذه الفترة ، واقترح أن تتم بشكل عادي حتى لاتثير الشكوك ، لكن هذا الاقتراح لم يؤخذ به لأنه على أية حال قد يعرض العملية نفسها للشائعات ويؤكد الحملات ضد السودان وكان من الضروري أن تكون السرية كاملة حتى لو اقتضى الأمر اجراء تغيير في اسلوب العمل اليومي وتجاوز تقاليد يومية مثل كتابة التقارير التي تكتب عادة في كل عملية يكلف بها الجهاز رجاله.. وصل النقاش إلى طبيعة المكان هل يستخدم مطار الخرطوم أم قاعدة « وادي سيدنا » واستبعد العقيد الفاتح استخدام القاعدة الجوية حتى لايسبب ذلك حرجا للقوات المسلحة وحتى يتم ابعاد أى شبهة حول الجيش الذي هو في النهاية مؤسسة عسكرية مستقلة عن جهاز الأمن، وافقه في ذلك العقيد موسى واقنع اللواء عمر بهذا الاقتراح ، وبذلك اتفق على أن يتم ترحيل اليهود الفلاشا من مطار الخرطوم .

سأل اللواء عمر :

ـــ ماذا عن هانجر الحجاج ؟ .. إنه افضل مكان لتجميع اللاجئين خاصة نحن الآن في شهر اكتوبر وليس هذا الوقت موسم حجيج وهو بعيد عن انظار الناس المتواجدين داخل المطار .. ويمكن أن يصعد الفلاشا إلى الطائرة مباشرة دون جوازات سفر أو اجراءات صحية أو جمركية ..

ثم وجه حديثه إلى العقيد الفاتح قائلا :

ـــ يا فاتح عليك أن تتصل بالسر حسن بشير مدير الطيران المدني وتشوف موضوع هانجر الحجاج ..

عاد يقول :

ــ أهم شيء في هذه العملية هو السرية كي لايقول الاثيوبيون أن السودان يرحل لاجئين وحتى لايؤثر ذلك على الاعانات التي تأتي إلى السودان .. ولذلك فإن الوقت المناسب للترحيل هو « الساعات الميتة » وليكن مابعد منتصف الليل ..

التفت اللواء عمر إلى العقيد موسى وقال له :

ــ أما أنت ياموسى فعليك أن تعد اربعة من السائقين على أن يكونوا من سائقى الجهاز وتجهز الحراسة لتأمين وصولهم إلى مطار الخرطوم ..

كان الاجتماع بين رئيس جهاز الأمن والعقيدان موسى والفاتح قد اوشك على نهايته ولم ينس أن يحدد اسما لهذه العملية .. فقال :

ــ والآن ابحثوا عن اسم كودي لهذه العلمية لتستعملوه في أى مكاتبات عاجلة ..

قال العقيد موسى :

ــ اقترح أن نطلق عليها اسم « عملية الشرق » ..

وافق اللواء عمر على الاسم وسجله في ورقة امامه ..

ابلغت نتائج هذا الاجتماع إلى مستر مليتون وجيري ويفر وقرار رئيس الجهاز على أن يتم الترحيل من مطار الخرطوم ..

وبدأت مرحلة التنفيذ ، وتوزعت المهام على عدد من ضباط آخرين ..

استدعى العقيد موسى أحد مرؤسيه الذين يتق فيهم ومشهود لهم بالانضباط وهو الرائد فؤاد بدر وشرح له المهمة الجديدة وكان حريصا على أن يقول له إنها عملية ترحيل لاجئين وليسوا فلاشا خاصة أن اسم الفلاشا كان يتردد داخل الجهاز وكلفه بأن يتولى الاشراف على نقل هؤلاء اللاجئين من القضارف إلى مطار الخرطوم وأن مسئوليته تنحصر في توجيه السائقين وفرق الحراسة ..

كان على العقيد موسى أن يقوم بزيارة إلى جنيف بعد يومين ضمن وفد السودان في مؤتمر اللاجئين الذي تشرف عليه الأمم المتحدة وهو مؤتمر سنوي يعقد لبحث شئون اللاجئين في العالم وتحديد الميزانيةالتي تقدم للدول التي تستضيف هؤلاء اللاجئين والسودان واحدة منها ، وكان الوفد برئاسة على ياسين وزير الداخلية وبشير الأحمدي معتمد شئون اللاجئين والعقيد موسى اسماعيل من جهاز الأمن القومي ، وفي مثل هذا النوع من المهمات فإنه كان عليه أن يلتقى برئيس الجهاز كى يحصل منه على التعليمات والتوجيهات .. ووجد

اللواء عمر هذه المهمة فرصة يقوم خلالها العقيد موسى بابلاغ على ياسين والاحمدي .. وكانت تعليماته بأن يقول لهما كل على حدة بأن امريكا ستقوم بترحيل يهود فلاشا من السودان باشراف جهاز الأمن القومي ، وقد قام بتنفيذ هذه التعليمات .. يقول العقيد موسى إن السيد بشير الأحمدي قال له إنهم ـــ أى معتمدية شئون اللاجئين ـــ عملوا مذكرة في هذا الموضوع وسلموها للواء عمر ، وأنهم علموا أن الامريكان سيأخذون اللاجئين من المعسكرات لاعادة توطينهم بالولايات المتحدة وأن هذه العملية سيشرف عليها جهاز أمن الدولة .

وسافر موسى اسماعيل إلى جنيف ليقضي تسعة أيام تاركا تنفيذ العملية كلها إلى العقيد الفاتح ..

أما العقيد الفاتح فكان أول خطوة قام بها بناء على تعليمات اللواء عمر أن يتوجه إلى القضارف ويجتمع مع رئيس وحدة الأمن هناك وكذلك مع اسماعيل ابراهيم نائب معتمد اللاجئين الذي كان قد رفع تقريرا عن الفلاشا واقترح أن يسمح لهم بالخروج من السودان لأى جهة ، ووصل هذا التقرير إلى اللواء عمر عن طريق بشير الأحمدي في اغسطس من نفس العام قبل شهرين من عملية الترحيل ..

سافر العقيد الفاتح إلى القضارف ولم يكن بمفرده ، اصطحبه في هذه الزيارة جيري ويفر واحد مساعديه يدعى نيكولا وهو يوناني الاصل كان يعمل في مكتب شئون اللاجئين التابع للسفارة الامريكية ومستر تشارلز ممثل منظمة « İ.C.M » وهى واحدة من المنظمات التي ساهمت في ترحيل الفلاشا تحت ستار رعاية شئون اللاجئين ، وهناك استقبلهم المقدم دانيال دينج لوال مسئول وحدة أمن القضارف ..

يتحدث دانيال دينج لوال عن هذه الزيارة فيقول :

ـــ في الاسبوع الأول من نوفمبر ١٩٨٤ حضر لنا في القضارف العقيد الفاتح عروة ومعه آخرون ، وعندما وصل إلى المكتب استفسر عن وجود العقيد « الكتان » رئيس وحدة الأمن ولم يكن موجودا لأنه كان في اجازة استعدادا لنقله إلى الخرطوم ، ثم طلب منى أن اتصل بالسيد اسماعيل ابراهيم مساعد معتمد اللاجئين للحضور إلى اجتماع في المكتب فاستدعيته بالتليفون وحضر على الفور وعقد اجتماعا حضره الرائد حامد النور رئيس وحدة الأمن واسماعيل ابراهيم ودانيال دينج والفاتح عروة والاجانب الذين حضروا معه .. افتتح

العقيد الفاتح الاجتماع قائلا : إن قرارا صدر بالسماح للامريكان باخذ جميع اللاجئين الفلاشا الموجودين بالاقليم الشرقي ضمن برنامج اعادة التوطين إلى اوروبا والولايات المتحدة ، وأن الجهاز سيشرف على هذه العملية بالتنسيق مع الامريكان .

يواصل دانيال دينج روايته قائلا : وبعد ذلك طلب منى العقيد الفاتح اننى بوصفى مسئولا في وحدة تحركات التحرر واللاجئين سأكون مسئولا عن هذه العملية وعلى أن اقدم كل التسهيلات التي يحتاجها الامريكان ولم ينس أن يؤكد له أن هذه العملية يجب أن تحاط بالسرية ولم ينس ايضا أن يذكران السيد رئيس الجهاز هو المشرف العام على هذه العملية .. ثم قال له محذرا :

ــ أى تصرف من جانبكم سيكون مسئوليتكم الشخصية ..

بعد ذلك تحدث جيري ويفر في الاجتماع وطلب أن نساعده في البحث عن منزل للايجار ومخزن يستخدم لتخزين الجازولين وقال إن هناك كميات من الجازولين ستأتى من بورسودان قريبا .. ثم سأل السيد اسماعيل ابراهيم عن صلاحية طريق القضارف ــ أم راكوبه ، فذكر له مساعد معتمد اللاجئين أن الطريق سيىء يحتاج إلى اصلاح فابلغه انهم سيساهمون في اصلاح الطريق بين أم راكوبة والقضارف .

انتهى الاجتماع وقبل أن يخرج المجتمعون التفت جيرى ويفر إلى دانيال دينج وسأله :

ــ هل لديك مشاكل مع منظمة (**I.C.M**) ؟

وكان السؤال مثار دهشة له فلم يعرف كيف يجيبه واكتفى قائلا :

ــ لا توجد أى مشاكل ..

عاد موسى اسماعيل من مهمته في جنيف لحضور مؤتمر اللاجئين التابع للأمم المتحدة وكان قد امضى تسعة أيام بعيدا عن الخرطوم مما جعله يبادر فور وصوله بالاتصال بزميله الفاتح عروة ليعرف كيفية سير العملية ، ابلغه الفاتح بما تم خلال هذه الايام وأنه قام بالاتصال بمدير الطيران المدنى واعد السائقين والحراسة ، وأن جيري ويفر لم يتمكن من شراء الباصات من الخرطوم وطلب شراءهم من الخارج حيث اشترى ٤ لواري شاسيه تعمل بالجازولين ووصلت إلى مطار بورسودان باسم جهاز أمن الدولة ، وكان لابد من انتظار بعض الوقت لتحويل هذه اللواري إلى باصات لذلك رؤى ضرورة استئجار مجموعة باصات ، وقد استدعى ذلك الحصول على موافقة اللواء عمر الطيب فوافق شريطة أن

تحون بلا سائقين أو مساعدين ، وجرى استئجار أربعة باصات بمبلغ ٣١ ألف جنيه قام مكتب اللاجئين بالسفارة الأمريكية بدفعه وقام الفاتح بمقابلة قومسونجى يدعى « حسن » احضر السيارات وقام موسى اسماعيل بدفع المبلغ كـاملاً له وأحضرت الباصات وتم اختيار أربعة سائقين وأربعة حراس من جهاز الأمن ووضعت السيارات المؤجرة فى جراج الجهاز بمنطقة المقرن ..

وهكذا تم تأمين وسيلة النقل البري وحاء الدور على المطار ..

اتصل العقيد الفاتح مع السر حسن بشير الذى احاله الى مدير المطار محمد جميل ورتب المقدم بابكر عبد السيد مسئول الامن بالمطار لقاء بينهما ، وشرح الفاتح لمسئولى المطار أن ماسيقوم به الجهاز هو عملية نقل لاجئين ولابد أن تتم سرا . وطلب أن يتفقد هنجر الحجاج فقيل له إنه غير مستعمل وأنه يوجد هنجر جديد في الجهة الجنوبية من مدخل المطار لايستخدم ، وجرت معاينة له حيث قام السر حسن بشير ومدير المطار بمرافقة العقيد الفاتح الذي طلب أن تقوم هندسة الطيران بعمل اضاءة في هذا المكان ، واقترح كذلك أن تقف الطائرة التي ستنقل اللاجئين الفلاشا في « النايت ستوب » وهى منطقة يمين الطائرة ..

قام العقيد الفاتح بعد ذلك بنقل الصورة التي عاينها في المطار إلى اللواء عمر الطيب واتفق على أن يكون المدخل الجنوبي هو انسب مدخل لدخول الباصات وأن هانجر الحجاج لن يستخدم إلا في الازمات كأن يجرى ابقاء الفلاشا فيه إذا حدث عطل بالطائرة تطلب اصلاحها .

هكذا تم تأمين المطار وتحديد موقع هبوط واقلاع الطائرة البلجيكية التي ستنقل اللاجئين وكيفية دخول الباصات التي ستنقلهم إلى المطار ، وبقى بعد ذلك معاينة الموقف في منطقة المعسكرات في القضارف ، ولهذا الغرض قام العقيد الفاتح وجيري ويفر وكان معه مساعده نيكولا وممثل لمنظمة « **I.C.M** » العاملة في برامج اغاثة اللاجئين بالسفر إلى القضارف ، وكان قد اجرى استئجار منزل كاستراحة للمشرفين على هذه العملية بستة آلاف جنيه لمدة ستة اشهر ومخزن لتخزين الجازولين ، وتم احضار ٣٥ برميل جازولين ومجموعة من البطاطين ، كما تم اصلاح الطريق المؤدي من أم راكوبه إلى القضارف وجرت معاينة المعسكرات والطرق التي ستسير فيها الباصات من معسكر تجميع اللاجئين في تواوا إلى القضارف .. وهكذا تم تنفيذ مراحل العملية كلها واصبح الكل مستعدا للتنفيذ ، وعلى

ضوء هذا حدد جيري ويفر موعد بدء الرحلات يوم ٢١ نوفمبر وطلب ارسال الباصات إلى القضارف مبكرا حتى يجرى لها صيانة هناك إذا تطلب الامر ذلك .

اتفق العقيد موسى والفاتح على ذلك وابلغا اللواء عمر بما تم واوكل إلى الفاتح تأمين الحراسة واعداد سيارة مزودة بجهاز اتصال لاسلكي لتكون في استقبال الباصات عند وصولها إلى منطقة سوبا القريبة من المطار التي تتوقف عندها حتى يعطى لها الاذن بالتحرك نحو الطائرة ..

اباح كل ذلك إلى اللواء عمر الطيب وطلب منهم أن يعدوا له تقريرا مفصلا بعد اتمام الرحلة الأولى ..

في يوم ١٨ نوفمبر وصل إلى القضارف فؤاد بندر المكلف بتأمين السائقين والسيارات التي ستنقل الفلاشا إلى الخرطوم .. واجتمع على الفور مع نيكولا ليبحث معه المسائل الادارية المتعلقة بتنفيذ العملية وتفقد المنزل والمخزن والطرق التي ستمر بها السيارات التي ستنقل الفلاشا وكانت الخطة تقضى بنقل اليهود الفلاشا المتواجدين في معسكر تواوا اولا ثم القضارف وبعد ذلك بقية المعسكرات .

ابلغ فؤاد بندر زميله دانيال بأن العملية ستبدأ بعد اربعة أيام ، وأن حيري ويفر سيقوم بزيارة ثانية للمنطقة ليشرف بنفسه على كافة الاجراءات وسلامة الطرق وقد تمت هذه الزيارة يوم ١٩ نوفمبر أى قبل يومين من تنفيذ العملية .

يروى دانيال دينج كيفية اعداد الفلاشا لترحيلهم .. يقول :

توجهنا إلى معسكر تواوا يوم ٢١ نوفمبر الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر وكان هناك جيرير ويفر ونيكولا وشارلز وافراد مسلحون من جهاز الأمن للحراسة وهناك وجدنا نحو ٢٠٠ شخص من الفلاشا موزعين في اربعة مجموعات خارج المعسكر وقد حدثت فوضى شديدة اثناء ركوبهم الباصات لأن الاسبقية كانت للنساء والمسنين وقد استغرق ذلك خمسة عشر دقيقة ثم تحركت الباصات مباشرة إلى الخرطوم .

ثم يقول :

« في الايام التالية طلب منى الامريكان أن اتوجه معهم إلى ام راكوبه كى يتعرفوا على صف الضباط التابعين لجهاز الأمن حتى لايعترضوا على تحرك هؤلاء اللاجئين وقد ابلغتهم وأنا اقدم لهم نيكولا بأن هذا الشخص مهمته توطين اليهود الفلاشا ونقلهم فلا

تعترضوا طريقه .

كانت عملية النقل تتم كل يومين تأتي الباصات الاربعة من الخرطوم الساعة الرابعة بعد الظهر لتحمل معها افواج اليهود الفلاشا بمعدل ٥٠ شخص في كل باص وتغادر القضارف الساعة الخامسة لتصل مشارف الخرطوم مع منتصف الليل .. وقد قامت منظمة « I.C.M » بارسال ٢٠٠ برميل من الجازولين من بورسودان تم تخزينها في المخزن الذي استؤجر لهذا الغرض وتم تخزينها باسم رئيس وحدة أمن القضارف .

بعد أن تم تأمين وسائل النقل التقى جيري ويفر مع دانيال وتحدث معه في سير العملية ثم قال له :

ــ لقد بلغني أن السيد حسين عثمان مدير مشاريع اسكان اللاجئين بالشوك لم يتم اخطاره بالعملية ولذلك اطلب منك أن تأتي معي الى الشوك لنلتقي مع السيد عثمان ..

في اللقاء بين ويفر وحسين عثمان جرى حوار حول هدف الامريكيين من هذه العملية وسأل المسئول السوداني الرجل الامريكي :

ــ ماهو الضمان بأن هؤلاء الناس لن يذهبوا إلى اسرائيل ؟؟

رد عليه ويفر قائلا :

ــ أرجو ألا يشغلك هذا الأمر كثيرا ياسيد عثمان فمن جانبنا اتخذنا الحيطة حيال هذا الأمر ..

ورد حسين عثمان قائلا :

ــ إذا كانت هذه العملية تمت بقرار سياسي فليس لدينا تعليق ولا نستطيع أن نعدل فيه .

قال ويفر وهو يحاول أن يكسبه إلى صفه :

ــ الواقع ياسيد عثمان أنه كان يجب أن يخطرك معتمد شئون اللاجئين بهذا الامر من البداية ولذلك اعتذر لك من جانبى لعدم اخطارك ، واود أن اطمئنك أن امريكا اتخذت كافة الاحتياطات حتى لايذهب هؤلاء اللاجئون الفلاشا إلى اسرائيل .

كانت هناك مهمات محددة لكل ضابط أمن ، وكان دور فؤاد بندر أن يقوم بمرافقة الباصات حتى المطار واسماعيل موسى والفاتح يتابعان العملية ويتناوبان عليها كل مرة ويقدم كل منهما تقريرا كاملا بكل ما يجري للواء عمر ..

يقول فؤاد بندر :
ـــ قابلت دانيال دينج واطلعته على التعليمات التي لدى وكانت هى نفس التعليمات التي عنده وهى في مجملها أن ننسق العمل مع جيري ويفر الذي كنت قد تعرفت عليه في الخرطوم ، وعندما تحركت إلى المعسكر في اليوم الأول لنقل اليهود الفلاشا في الباصات من معسكر تواوا وجدته هناك ومعه نيكولا ومساعده تشارلز مندوب منظمة (I.C.M) وبعض الاثيوبيين الذين كانوا يساعدونهم في ترتيب جمع اللاجئين ، وتحركت أول رحلة من القضارف الساعة الخامسة ووصلت الخرطوم الساعة ١٢ ليلا يوم ٣١ نوفمبر ١٩٨٤ ، وفي هذه الرحلة رافقني جيري ويفر ليطمئن على سلامة وأمن الطريق ..

يضيف فؤاد بندر
ـــ في الطريق مابين القضارف والخرطوم توجد عدة نقاط للتفتيش هى « خيارى ، مدنى ، حنتوب ، سوبا وفي الأمور العادية فإن المتبع أن يتم ايقاف السيارات القادمة من الاقليم الشرقي وتفتيشها عند هذه النقاط للتأكد من سلامة الاجراءات القانونية لكن هذه الباصات لم يتم تفتيشها بموجب تصريح مختوم من جهاز أمن الدولة يحمله فؤاد بندر .

كانت الخطة هى أن يتوقف موكب الباصات عند نقطة سوبا في ارض فسيحة متوارية عن الانظار حتى تصله التعليمات عبر جهاز اللاسلكي الذي يحمله بالتحرك إلى المطار ..

يواصل فؤاد بندر روايته فيقول :
ـــ في الايام الخمسة الأولى اعطونا عربة مزودة بجهاز اتصال لاسلكي لم نستخدمها كثيرا لأنها لم تكن بحالة جيدة واستخدم بدلا منها جهاز ارسال يحمل ارقاما شفرية ، وكان رقمة السري « ح ر تبتل ٥ » ومن خلال هذا الجهاز يعطى اذن التحرك إلى المطار في وقت تكون الطائرة فيه على استعداد للاقلاع .

في الرحلة الأولى تحركت الباصات الى بوابة المطار من الجهة الجنوبية وهى منطقة نائية عن المدخل الرئيسى للمطار الذ يتوجه اليه المسافرون العاديون ، وكانت هذه البوابة هى مدخل الحجاج ، كانت الباصات تدخل بهدوء وهى مطفأة الانوار إلا من ضوء خافت إلى أن تصل بالقرب من الطائرة واحدا بعد الآخر يهبط منها اللاجئون ويركبون الطائرة مباشرة وكان يقف عند الطائرة الفتح عروة وموسى اسماعيل وجيري ويفر الذي كان يساعد اللاجئين للنزول من الاتوبيس وصعود سلم الطائرة ، وكان هناك نحو خمسة عشر شخصا مسلحين

بالكلاشنوف من رحال الامن يقومون بمراقبة المنطقة ومنع اى شخص غريب من الاقتراب من الطائرة .

وقد حدث ذات مرة أن اقترب مندوب شركة الطيران البلغارية من موقع هبوط الطائرة البلجيكية التي تنقل اليهود الفلاشا واحتج على أن طائرة شركته تقف في نفس المكان عندما اعترض طريقه أحد الحراس ليمنعه من الاقتراب فتم احتجازه للتحقيق بحجة أن ليس معه تصريحا لدخول المطار وعندما اعترض على أنه جاء بسيارة دبلوماسية طلب العقيد عروة تفتيش سيارته بحثا عن خمور فيها وذلك بهدف ارباكه وتلفيق أى اتهام له ، ومن سوء حظه عثر على زجاجة ويسكى في حقيبة السيارة في وقت كان كل من يقتنى أى نوع من الخمور تجرى محاكمته ويجلد بحجة مايسمى بقوانين الشريعة الاسلامية .. فتم تحرير محضر ضده وابعد من السودان .

لم يكن مسموحا لأى أحد بالاقتراب من مكان هانجر الحجاج إلا مندوبي جهاز الأمن المشرفين على العملية والعمال الذين يقومون بتقديم الخدمات الارضية وكان يقوم على حراسة الطائرة نحو اثنا عشر جنديا من جهاز الامن مسلحين بمدافع رشاشة يلتفون حول الطائرة في شكل نصف دائرة على مسافة خمسة امتار ، وكان العقيد موسى اسماعيل والعقيد الفاتح عروة يتناوبون الاشراف على كل رحلة ، وفي احدى المرات حضر السفير الامريكي الكسندر هوران للاشراف بنفسه على نقل اللاجئين ، ولم تكن هناك اجراءات للجوازات أو الجمارك أو أى قوائم باسماء الراكبين ، كانت الباصات تقف على بعد اربعة امتار من الطائرة ليهبط منها اليهود الفلاشا ويصعدون مباشرة نحو الطائرة .

أما الطائرة وهى من طراز ٧٠٧ ، تابعة لشركة الخطوط الجوية الاوروبية وهى شركة بلجيكية خاصة يمتلكها شخص يهودي يدعى « جوبليك » يقوم بتقديم خدمات خاصة لجهاز الموساد الاسرائيلي وكان طاقم الطائرة ينام ليلة في فندق الصداقة بالخرطوم بحرى وقد منع عليهم ألا يتحدثوا مع أحد ، وأطلق على الطائرة اسم « طائرة البلح » لتكون مميزة عن الطائرات الاخرى واعطيت التعليمات للمسئولين بالطيران المدنى بألا يتعرضوا لها لانها تقوم برحلات خاصة إلى اوروبا .

استمرت الرحلات كل يومين يقوم بعدها المشرف على الرحلة سواء كان العقيد موسى أو الفاتح بتقديم تقرير شفهي عنها إلى رئيس جهاز الأمن اللواء عمر الطيب ثم تحولت إلى رحلات يومية بناء على طلب جيري ويفر .

مضت أيام على هذا النحو ، عمليات الترحيل لليهود الفلاشا تجرى يوميا في جنح الظلام ، في الساعات التي تنتصف الوقت بين منتصف الليل والفجر الباصات تدخل المطار من البوابة الجنوبية عندها نجر الحجاج بعيدا عن صالات الركاب العادية وقد أطفأت أنوارها ، ثم تقف بالقرب من الطائرة ليصعد منها اللاجئون الفلاشا مباشرة إلى الطائرة .

ثم كان يوم الخامس من يناير ١٩٨٥ .. وبالتحديد الساعة السابعة مساء عندما اذاع راديو لندن أن جماعات اليهود الفلاشا وصلت إلى اسرائيل قادمة من السودان عبر رحلات جوية تتم على طائرة بلجيكية تنقل اللاجئين من اليهود الفلاشا إلى بروكسل ومنها إلى اسرائيل ، أحدث النبأ ذعرا بين ضباط الأمن السوداني ثم تأكد في النشرة التفصيلية بعد ساعة وكان العقيد موسى اسماعيل قد سمع بالنبأ كما سمعه فؤاد بندر من راديو الباص الذي يستقله وهو قادم من القضارف برفقة اللاجئين ضمن اطار مهمته المكلف بها ..

والمهمة السرية انكشفت ، ومن الذي كشفها .. شخص يدعى دومينيز وهو رئيس الوكالة اليهودية ويذيعها راديو لندن . كان ذلك مصدر قلق للعقيد موسى الذي كان عليه الدور في الاشراف على نقل اليهود الفلاشا في الرحلة الثانية والعشرين .. بدا في المطار مكفهر الوجه ، ثائر الأعصاب بينما كان جيري ويفر على عادته هادىء الأعصاب يؤدي عمله بهمة ونشاط وهو يساعد على نقل أفراد الفلاشا من الباص إلى الطائرة فجأة اقترب منه العقيد موسى قائلا ستكون هذه آخر رحلة يامستر ويفر .. لايمكن أن تستمر بعد ماأذاعه راديو لندن الليلة .

قال ويفر

ـــ نعم استمعت إلى ما أذاعة راديو لندن ولكن ليس هناك قرار يوقف الرحلات

قال العقيد موسى :

ـــ أنا الذي أصدر القرار الآن ولن يكون هناك رحلات أخرى في الليلة التالية وعليك أن تتصرف على هذا الاساس

قال ويفر مندهشا :

ـــ لكن رئيسك اللواء عمر لم يبلغني بذلك

رد العقيد موسى

ـــ اعتقد أنه سيبلغك

في صباح اليوم التالي كان أول شيء فعله العقيد موسى أن ذهب إلى مكتب اللواء

عمر في الساعة السابعة صباحا ليقدم له التقرير الشفهي عن سير العملية . وبعد أن قام بواجبه المعتاد قال للواء عمر :

ـــ سعادتك .. هل استمعت إلى ماأذاعه راديو لندن الليلة الماضية

رد اللواء عمر في أسى :

ـــ نعم سمعت .. لا أدري لماذا فعلوا ذلك .. إنهم يريدون احراجنا ..

قال العقيد موسى :

ـــ على أى حال لقد ابلغت جيري ويفر بأننا قد اوقفنا العمليات

قال اللواء عمر على الفور

ـــ حسنا فعلت ، هذا ماكنت سأفعله وعلى أى حال سأتصل بالرئيس لابلغه بهذا القرار واعتقد أنه سيوافق عليه .. علينا الآن أن نعالج الموقف .

كان النبأ قد سرى داخل اوساط جهاز الأمن ، وماكان سرا أصبح حكاية معلنةلا تتناقلها الألسن وتزيد الروايات من وقائعها ، وبدا لضباط الأمن أن مصائب سوف تحدث لكن أحدا لم يعرف كيف ومتى ستكون ردود الفعل داخل السودان

○ ○ ○

الفصل الخامس

الضوء الأخضر في حفل الشاى

في اليوم التالي خرج من مكتب رئيس جهاز الأمن والنائب الأول تقريران الأول تقرير إلى رئيس الجمهورية يتضمن التفاصيل الكاملة لعملية نقل اليهود الفلاشا عبر مطار الخرطوم إلى أن تم ايقافها ، والتقرير الآخر إلى هاشم عثمان وزير الخارجية يتضمن نفيا لما أذاعه راديو لندن ويقترح على وزير الخارجية أن يستدعى الصحفيين ورؤساء البعثات الدبلوماسية العربية والافريقية ليؤكد نفى الحكومة للنبأ الذي اذيع بأن السودان تعمل على ترحيل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل كما يتضمن التقرير معلومات حول الدور الاثيوبي في نقل اليهود الفلاشا وهى في الواقع معلومات قديمة كانت قد جرت عام ١٩٨٠ تقول إن الحكومة الاثيوبية ساهمت في نقل الفلاشا إلى اسرائيل مقابل حصولها على معدات واسلحة حربية .

حمل العقيد الفتح عروة هذا التقرير وتوجه به إلى وزارة الخارجية .

اذاعت وزارة الخارجية البيان واجتمع وزير الخارجية مع سفراء الدول الافريقية

لكن ذلك لم يقنع الرأى العام أو الدول العربية ببراءة الحكومة السودانية . وتعرضت السودان لحملة اعلامية مضادة شجعتها قوى المعارضة ضد نظام نميري في داخل السودان وخارجه ، وفي مواجهة ذلك اكتفى الرئيس بالرد على بيان وزير الخارجية الاثيوبي ، وكان الرد السوداني يقوم على التمويه ومغالطة للحقائق إذ قال إن السودان لاتفرق بين اللاجئين من

ناحية الجنس أو اللون آو الدين وأنها تسمح لهم بالخروج لان السودان ليس سحنا للاجئين .

كان النبأ قد اصبح حدثا تتناقله الالسنة سرا بين ضباط جهاز أمن الدولة وراحت الاتهامات تشير إلى موسى اسماعيل والفاتح ، وكان الصباط يشيرون إلى موسى باسم موشى ديان ، وفي هذا الاثناء استطاع الرائد عبد الله عبد القيوم أن يغادر الخرطوم ومعه الوثائق التي تدين الحكومة السودانية وتؤكد دورها في عملية نقل الفلاشا إلى اسرائيل ، وكان هدفه التوجه إلى تونس لتقديم هذه الوثائق إلى جامعة الدولة العربية ولكن امكن اعادته إلى الخرطوم واعتقاله .

ولمواجهة حملة الشائعات داخل الجهاز وترهيب الضباط بعد محاولة سفر الرائد عبد الله عبد القيوم دعا اللواء عمر ضباط الجهاز إلى احتماع حيث نفى فيه كل مايقال عن تورط العقيد موسى والعقيد الفاتح وكانت لهجته تحمل روح التهديد والوعيد ضد هؤلاء الذين يروجون مثل هذه الاشاعات وقال :

ــ هناك ضابط كان يحاول الهروب إلى ليبيا عن طريق الخطوط التونسية وقد استعدناه .. وأنا احذركم أن من يريد أن يفعل هذا سأحضره اينما كانت وجهته .. ثم قال :

ــ إن لى صداقات في كل انحاء العالم سوف تساعدني على ذلك ..

رغم كل ذلك لم يعد الرأى العام داخل ضباط جهاز الأمن في حاجة إلى دليل على أن عملية نقل اليهود الفلاشا تمت بالفعل وبدأ يتكون داخل الجهاز تنظيم سرى ضد نظام نميري وفي هذا "'"اء كانت العلاقة بين النظام وجماعة الاخوان المسلمين بدأت تدحل مرحلة متوترة وخاصة في اعقاب المؤتمر الاسلامي الأول في سبتمبر ١٩٨٤ الذي كشف عن وجود صراع بين الرئيس وه' الجماعة الأمر الذي ادى إلى اعتقال عدد منهم من بينهم بعض اقارب العقيد الفاتح عروة ، وقد حدث أن عقد الاخوان المسلمون مؤتمرا في منطقة « الصافية » وهى حى من احياء مدينة الخرطوم بحرى على النيل الازرق ، وفي هذا المؤتمر وتعبيرا عن العداء بينهم وبين النظام اتهموا النظام بانه متورط في عملية تهريب اليهود الفلاشا وتسرب العقيد الفاتح معلومات بأن الرئيس نفسه هو الذي امر بتنفيذ هذه العملية مقابل اموال قبضها من المخابرات الامريكية وأن اللواء عمر ليس له دخل في هذه العملية . وصلت انباء هذا الاجتماع وما قاله الفاتح الى رئيس الجهاز فاظهر غضبه تجاهه وقاطعه ولم يشأ أن يعاقبه لانه نسب العملية كلها للرئيس ولم يزج باسمه فيها ، ولعل الفاتح كان في هذه الفترة

يشعر باحباط بسبب اعتقال عدد من اقاربه بتهمة انتمائهم لجماعة الاخوان المسلمين الذين كانوا على خلاف مع النظام ، وهناك دافع شخصى آخر وهو أنه كان يسعى للسفر إلى الخارج سواء إلى بون أو امريكا شخصى آخر وهو إنه كان يسعى للسفر إلى الخارج سواء إلى بون أو امريكا للحصول على « كورس » في الكمبيوتر واستصدار رخصة طيران .. والواقع أنه كان يسعى للهروب من المأزق الدي وجد نفسه فيه بعد ماكشفت الاذاعات والصحف العالمية اسرار عملية نقل اليهود الفلاشا من الاراضي السودانية إلى اسرائيل .

ولم تكد تمضى ايام حتى استدعاه اللواء عمر ليصالحه بعد هذه القطيعة خاصة أن هناك ترتيبا يتم اعداده بين الخرطوم وواشنطن لاستئناف عملية نقل الفلاشا رغم كل ماحدث .. قال اللواء عمر الفاتح :

ــ لايصح أن تكرر ماقلته في مؤتمر الصافية حتى لايقال إنك تروج اقاويل ضد الرئيس ..

قال الفاتح :

ــ وإذا سألنى أى شخص ماذا اقول له ؟

قال اللواء عمر :

ــ رغم أنك دافعت عنى لكن ماكان يجب أن يصدر منك ماحدث في مؤتمر « الصافية » خاصة انك تعلم أن من تحدثت معهم هم من جماعة الاخوان .

ورغم الروح الودية التي سادت هذا اللقاء بين اللواء عمر والعقيد الفاتح إلا أن الفاتح لم تتغير مشاعره بسبب استمرار اعتقال اقاربه .

كما احدث اذاعة نقل اليهود الفلاشا من السودان إلى اسرائيل قلقا داخل جهاز أمن الدولة السوداني ، أحدث ايضا انعكاسات في الصحافة العربية والعالمية ، وتسابقت الصحف في الكشف عن تفاصيل عملية نقل اليهود الفلاشا من السودان إلى اسرائيل ، كل صحيفة تكتب حسب رؤيتها فالصحف الغربية الموالية للصهيونية تكتب مدافعة عنها ومشيدة بدور الموساد الاسرائيلي ودور الولايات المتحدة الامريكية واطلقت على هذه العملية اسم « عملية موسى » وهو الاسم الحركي الذي اختارته الوكالة اليهودية بيما استخدم جهاز الأمن السوداني اسم « عملية الشرق » .. وراحت هذه الصحف تكتب القصص التاريخية وغير التاريخية عن قبيلة الفلاشا اليهودية ، ولكن احدا لم يذكر السودان بكلمة خير وثارت عليه الصحف العربية ورسمت صحيفة الرأى الاردنية الرئيس السوداني نميري وقد تحولت العمامة السودانية التقليدية إلى افعى صهيونية تلتف حول رأسه ، وتكررت مثل هذه

الرسومات التي تعبر عن ادانة الرأى العام العربي لتورط الحكومة السودانية في هذه العملية في نفس الوقت الذي خرجت فيه تصريحات المسئولين السودانيين تنفي كدبا دور السودان في هذه العملية .

وبلغ عدد المقالات التي كتبت في اعقاب هذه العملية خلال شهرى يناير وفبراير فـي مختلف الصحف العربية والاجنبية نحو ٥٦ مقالا ووصفت مجلة التايم في ٧ يناير ١٩٨٥ العملية أنها انتصار لاسرائيل تشبه إلى حد كبير عملية « عنتيبي » وهى العملية الشهيرة التي قام فيها رجال الموساد الاسرائيلي بهجوم خاطف على مطار عنتيبي الاوغندي لتحرير طائرة اسرائيلية مخطوفة .

وقالت الصحيفة إن نحو ١٢ ألف من الفلاشا يوجدون في اسرائيل وآلاف آخرون في طريقهم ، وأن عددهم في اثيوبيا يصل إلى ٢٨ ألف وأن خمسة آلاف منهم قد هاجروا إلى اسرائيل منذ عام ١٩٧٤ حتى بداية العملية في شهر نوفمبر .

وكشفت هذه المقالات عن وحود صحفيين غربين يعملون لخدمة المخابرات الاسرائيلية كانوا يتابعون العملية في زياراتهم المتعددة للسودان بحجة انهم جاءوا اليها كى يكتبوا عن اللاجئين والمجاعة ، ويدلل على ذلك الكاتب البريطاني بارفيت بقوله « إن صحفيين ورجال اعمال استخدموا في هذه العملية وأن اسرائيل لعبت دورا ماديا هاما داحل السودان واثيوبيا وأن عددا من منظمات الاغاثة الدولية العاملة في السودان كانت غطاء لهذه العملية » .

وقالت صحيفة واشنطن بوست لقد توقفت عملية ترحيل اليهود الفلاشا من السودان في الاسبوع الماضي بسبب تسلل اخبارها وخشية السودان من أن تتعرض لموجه من هجوم الدول العربية واثيوبيا بعد أن سمحت لهم بالعبور إلى حدودها تمهيدا لنقلهم إلى دول اوروبية ومنها إلى اسرائيل .

كما قالت الصحيفة إن عمدة القدس تيدي كوليك طلب أن يتوسط القس الامريكي جاكسون لدى حكومتى السودان واثيوبيا للسماح باجلاء بقية اليهود الفلاشا الموجودين هنا بحجة وحود دوافع انسانية كما فعل جاكسون للتوسط لدى الحكومة السورية للافراج عن الضابط الامريكي المعتقل في لبنان ..

وشيئا فشيئا راحت المعلومات تتدفق حول مخطط نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل لتكشف عن دور الولايات المتحدة ومنظمات اوروبية متل شركة الطيران السلجيكية المعروفة

باسم (TRANS EUROPIUN AIRLINES) حيث كتب ريتشارد برنشتاين في صحيفة نيويورك تايمز الصادرة في ١٠ يناير ١٩٨٥ ، أى بعد توقف عملية نقل اليهود الفلاشا من مطار الخرطوم بخمسة ايام قائلا : « اوقفت شركة الطيران البلجيكية نقل اعداد من اليهود الفلاشا الاثيوبيين من السودان إلى اسرائيل نتيجة ضغط من السودان ، ونقلت عن مسئول الشركة بول ديجايتر قوله : « نحن لسنا المسئولين عن ايقاف هذه العملية ، إننا لم نتلق تعليمات محددة من السلطات السودانية بوقف العملية لكنه لم يعد مسموحا لطائرات الشركة بالهبوط في مطار الخرطوم » .

وقالت الشركة في بيان لها إنه تم نقل نحو سبعة آلاف من اليهود الاثيوبيين بهذه الطريقة إلى اسرائيل بعد توقف قصير في اوروبا الغربية .

وكشفت الصحيفة عن علاقة الشركة باسرائيل منذ عام ١٩٧٠ من خلال صاحبها حورج جوتلمان وهو يهودي ، وكانت الشركة قد قامت بنقل العديد من المسلمين السودانيين إلى مكة في موسم الحج وهذا هو السبب الذي أدى إلى أن يقع عليها الاختيار لنقل اليهود الاثيوبيين من « هنجر » الحجاج بمطار الخرطوم إلى اسرائيل .

وكشفت نيويورك تايمز في ٤ يناير ١٩٨٥ عملية نقل اليهود الاثيوبيين ووصفتها أنها عملية انسانية من أجل انقاذهم من المجاعة التي تعم اثيوبيا وذكرت أن عملية نقلهم ظلت تتم في طى الكتمان .

وقال موشى جيولوبا مدير قسم شئون يهود العالم في وزارة الخارجية الاسرائيلية أن خطة الحكومة تقوم على نقل آلاف اليهود الذين يعيشون في اثيوبيا لانقاذهم من الاضطهاد والمجاعة التي يعانون منها ، وقال حاييم هارون رئيس الوكالة اليهودية للهجرة « إنه من الأهمية أن نرى كيف يبدو منظرهم عند وصولهم وكيف يتغيرون بعد أيام من وصولهم ، ولم يكن موجودا في اسرائيل منهم سوى ٢٠٠ شخص » . وقال إن العملية بدأت منذ عام ١٩٧٧ تحت اشراف مناحم بيجن رئيس الوزراء شخصيا وانهم يحصلون على حق المواطنة بمجرد وصولهم طبقا لقانون العودة .

لم تكشف الصحيفة سر العملية وإن كانت قد اشارت إلى أن هناك شيئا مايجري لنقل يهود اثيوبيا إلى اسرائيل ، أما الصحف الاخرى فقد كشفت العملية على لسان مسئول في الوكالة اليهودية في اسرائيل يدعى « يهودا دومنيبتر » تحدث إلى صحيفة مغمورة يصدرها المستوطنون اليهود في الضفة الغربية عندما قال إن عملية اعادة الاخوة اليهود إلى ارض الميعاد

اصبحت على وشك الانتهاء .

وقالت مجلة « جين افريك » في تقرير لها بعددها ١٢٥٤ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٨٥ إن العملية تمت بتخطيط اسرائيلي وأن ديفيد كسلر رئيس منظمة رعاية الفلاشا البريطانيين المعروفة باسم (.F.W.A) والتي انشئت عام ١٩٦٨ اوفدت للخرطوم مبعوثين ليحصل على تعهد من السلطات السودانية في مارس ١٩٨٤ إلا أن احدا لم يعرهما أى اهتمام ونتيجة لذلك قامت المنظمة الامريكية ليهود اثيوبيا التي انشئت عام ١٩٦٠ والتي يرأسها جبتوم بيرحر بارسال مبعوث الى السودان من اعضائها كان قد ولد في الخرطوم وعاش فيها فترة ليست بقصيرة ومرة اخرى التزمت السلطات السودانية تجاهه جانب الحذر لكن البعثة نجحت في اقناع المسئولين السودانيين بفكرة تخفيف العبء عن السودان بالمساهمة في ترحيل اعداد من هؤلاء اللاجئين ، وبعد مفاوضات مطولة وافق نميري في النهاية على قبول عملية نقل اليهود الاثيوبيين من السودان ، وتقول مجلة جين افريك إنه طبقا لمصادر غربية حصلت السودان مقابل ذلك على اسلحة و ٢٠٠ مليون دولار جمعت من المنظمات اليهودية الامريكية والانجليزية والكندية ولم يكن لنميري بعد ذلك سوى شرطين الأول ألا ينقل هؤلاء اليهود الاثيوبيين مباشرة من السودان إلى تل ابيب والثانى ألا يتم الكشف عن هذه العملية وتظل في طى الكتمان .

هكذا ظلت الصحافة العالمية تكشف اسرار عملية نقل اليهود الفلاشا من السودان إلى اسرائيل بعد افتضاح امرها واذاعته باللغة العربية من اذاعة لندن التي تسمع جيدا في الخرطوم والتى سببت الذعر للقائمين على تنفيذ العملية من ضباط جهاز الأمن السوداني مما حدا بهم إلى ايقافها من جانبهم من قبل أن يصدر الرئيس أو نائبه قرارا بذلك .

لكن هذا الايقاف لم يؤثر في الخطط الاسرائيلية التي خططت لنقل هؤلاء اليهود اليها فلم تكد تمضى ايام على اعلان توقف العملية حتى سارع شيمون بيريز رئيس الوزراء الاسرائيلي باعلان أن حكومته مصرة على مواصلة عملية نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل رغم جميع الصعوبات ، وكان اذاعة اسرار العملية قد اثار انقساما داخل البرلمان الاسرائيلي وقدم عضوان اقتراحا بسحب الثقة من الحكومة احتجاجا على نشر انباء العملية .

وقال بيريز « إنه لا الصعوبات الاقتصادية ولا المسافات الجغرافية ولا العقبات السياسية ستحول دون مواصلة هجرة يهود اثيوبيا وأن الحكومة الاسرائيلية ستستكمل عملية نقلهم إلى أن يعود آخر يهودي اثيوبي إلى وطنه » .

ثم قال : « إن اشقاءنا يهود اثيوبيا ينتظرون الهجرة إلى اسرائيل منذ ٢١٠٠ عاما » .

ولم يشأ بيريز أن يكذب العملية وكأن الاعلان عنها كان هدفا تسعى اليه الحكومة الاسرائيلية إذ قال « إنه أعطى الاذن شخصيا إلى المكتب الصحفي للحكومة كي يؤكد رسميا وجود هذه العملية بعدما اذاعته اجهزة الاعلام في العالم » وقال « لقد بادرت إلى ذلك لكى اضع الامور في نصابها » .

وكان عدد من يهود الفلاشا الذين استقروا فى اسرائيل قد سيروا مظاهرة من مقر الوكالة اليهودية حتى الكنيست وتركزت مطالبهم في معاقبة الاسرائيليين الذين تسببوا في الاعلان عن عملية نقل اليهود الاثيوبيين من السودان إلى اسرائيل مما ادى إلى توقفها وطالبوا الحكومة الاسرائيلية ببذل كافة الجهود لنقل ١٢ ألف آخرين من اليهود الفلاشا الذين لازالوا في اثيوبيا .

وسرعان مانشط الاتصال بين تل ابيب وواشنطن ، ثم بين واشنطن والخرطوم ..

من الواضح أن هذه الانصالات اثمرت لدى الرئيس السوداني الذي راح يصرح في شهر مارس أى بعد شهرين من وقف عملية موسى بأن امريكا اذا ارادت أن تأتي لتحمل بقية اللاجئين فليس لديه مانع ، ونشرت صحيفة امريكية تصريح الرئيس السوداني . ومعنى ذلك أن الباب اصبح مفتوحا لعملية ثانية لنقل بقية اليهود الفلاشا من السودان وكأن الحملة الاعلامية التي نشبت على السودان لم يكن لها اى تأثير لدى الرئيس السوداني .

حمل مستر ميلتون مندوب المخابرات الامريكية تصريح الرئيس السوداني المنشور في الصحيفة الامريكية والتقى باللواء عثمان السيد نائب رئيس جهاز الأمن القومي الذي ظل عازلا نفسه عن تطورات هذه القضية ، يرقبها من بعيد ويمتنع عن المشاركة فيها ، تحدث مستر ميلتون مع اللواء عثمان السيد وابلغه أن السفير الامريكي سيلتقى بالرئيس نميري كى يطلع على الترتيبات الجديدة الخاصة بنقل بقية اللاجئين الاثيوبيين ، فرد عليه اللواء عثمان في اقتضاب أنه من الافضل أن يبحث هذا الموضوع مع الرئيس نفسه أو اللواء عمر مؤثرا أن يظل بعيدا طالما أن رئيس الجهاز احتكر لنفسه حق التصرف في هذا الموضوع وهو يدرك أنه قد يجر كثيرا من المشاكل على السودان وخاصة من الدول العربية ..

ويبدو أن الفاتح عروة بدأ يستشعر الخطر خاصة عد حديثه في الاجتماع الذي عقده

جماعة الاخوان المسلمين بحى الصافية وآتر هو الآحر أن يبتعد ومن الافضل له أن يبتعد حتى عن الخرطوم نفسها ، لذلك وجد نفسه يتحدث مع اللواء عثمان بعد خروج كل من مستر ميلتون وجيري ويفر قائلا له : إن اللواء عمر ورّطنا في العملية التي انتهت في الرابع من يناير الماضي ويبدو أن الرئيس يريد أن ننفذ له عملية ثانية .. ثم قال بحدة :

ــ أنا شخصيا لست مستعدا لذلك . وعليهم أن يبحثوا عن ضباط آخرين حتى لو اقتضى الأمر أن يشتروهم من السوق .. حتى الضباط الذين معي سامنعهم بعد المأزق الذي وضعنا انفسنا فيه .

ظل اللواء عثمان يستمع إلى الفاتح وهو لايكاد يصدقه رغم الانفعال الذي كان باديا عليه ثم قال له :

ــ ادن ماذا تريد يافاتح ..؟

ــ أريد أن اسافر إلى بون أو امريكا .. إن اعصابي مضطربة ومنذ سنين لم احصل على اجازة .. اليس من حقي أن احصل على اجازة ..

قال اللواء عثمان :

ــ سأتحدث مع اللواء عمر في ذلك ..

لم تهدأ تحركات ميلتون وجيري ويفر من أجل حث جهاز الأمن السوداني على الاسراع في وضع الترتيبات لتنفيذ العملية الثانية وقد اعطى لقاء الرئيس نميري مع السفير الامريكي الكسندر هوران دافعا لهما في تنفيذ العملية . في هذا اللقاء وافق الرئيس على الاستمرار في نقل اليهود الفلاشا من السودان شريطة أن يتم ذلك بطائرات امريكية ، ويبدو أن الرئيس ابدى موافقته للجانب الامريكي لكنه لم يكن قد اعطى تعليماته بعد لجهاز الأمن للبدء في التنفيذ لاسباب يقدرها ربما تكون بمثابة ضغط على الجانب الامريكي لدفع مزيد من الاموال إذ أن الاتصالات التي بدلها كل من ميلتون وجيري ويفر مع اللواء عمر الطيب والدكتور بهاء الدين ادريس لم تسفر عن شيء .

كان الدكتور بهاء الدين يطمئن كل من ميلتون وويفر بأنه ابلغ اللواء عمر بعمل كافة الترتيبات لتسهيل نقل اليهود الفلاشا وعندما يتصل باللواء عمر يجد معاناة في التنفيذ الأمر الذي جعل جيري ويفر يفقد اعصابه ذات يوم عندما حضر إلى اللواء عثمان غاضبا يطلب منه أن يبلغ اللواء عمر بأن الدكتور بهاء يماطل معهم بهدف الحصول على أموال لحسابه

الشخصى واكتفى اللواء عثمان بقوله إن هذا الموضوع يجب أن يحسمه مع الرئيس أو اللواء عمر .

وازاء ذلك بدأ الجانب الامريكي يعيد حساباته ، لماذا المماطلة في التنفيذ من جانب جهاز الأمن طالما أن الرئيس ابدى موافقته على العملية الثانية ، وراح كل من ميلتون وجيري ويفر يحللان الاسباب واخيرا اهتديا إلى مجموعة اعتبارات نقلاها إلى الفاتح ، فالرئيس من وجهة نظرهما كان ذكيا عندما طلب نقل اليهود الفلاشا على طائرات امريكية حتى يبعد عن نفسه شبهة المشاركة في هذه العملية ، والدكتور بهاء « يريد أن يأكل » — على حد تعبير ويفر للفاتح — أى يريد الثمن ، أما اللواء عمر فإنه لم يكن قد تسلم بعد مبلغ المائتى مليون دولار الأمر الذي جعل مندوب المخابرات الامريكية يتصل بجنيف طالبا الاسراع في تحويل المبلغ إلى الحساب الخاص « بمشروع النيل الأزرق » في لندن .. وعندما سأل الفاتح ولماذا جنيف ، لماذا لم يتصل مباشرة بواشنطن لتحويل المبلغ .. رد عليه قائلا : إن المبلغ ستدفعه المنظمات اليهودية وليس الحكومة الامريكية ..

من جانب آخر فإن المعدات التي كان جهاز الأمن السوداني قد طلبها من مندوب المخابرات الامريكية لم تكن قد وصلت ، وهذه المعدات عبارة عن اجهزة اتصالات بعيدة المدى للعمل بها في مناطق غرب السودان وعشرة اجهزة اتصال من طراز « هيري » ذات الذبذبة العالية ، والعالية حدا ، وعشرة اجهزة صغيرة بنفس التردد تحمل في اليد ، وبالفعل وصلت هذه المعدات بالاضافة إلى اربعة اجهزة اخرى من طراز « موتوريللا » ذات تردد عال ..

استمر الحال على هذا النحو حتى يوم ٤ مارس عندما وصل جورج بوش نائب الرئيس الامريكي في زيارة للسودان ضمن جولة زار خلالها دولا افريقية اخرى ، وكان مضيفه بطبيعة الحال اللواء عمر الطيب الذي استقبله في المطار وفي المطار القى كلمة وصف فيها الرئيس نميري بالصديق القديم لامريكا واشاد بدور منظمات الاغاثة التطوعية في ايواء اللاجئين ومساعدتهم ، كان مع بوش وفد مكون من ١٣ شخصا ، واكثر من ١٥٠ شخصا آخر من رجال الامن الامريكي ، ومعه وصلت اربعة طائرات من طراز (**C. 130**) في اليوم التالي للزيارة التقى بالرئيس نميري وسلمه رسالة من الرئيس ريجان يشكره فيها على التعاون ويطالب بتكملة برنامج ترحيل اليهود الفلاشا لأن العدد كبير وهو ٢٥ ألف ولم يتم ترحيل سوى ٦ آلاف منهم ، وعرض بوش امكانية استخدام طائرات الاغاثة في نقل اليهود الفلاشا .

سافر بوش مع الوفد المرافق له لمنطقة القصارف وتفقد مواقع اللاحئين تحت ستار انساني حيث حشد معه مصورو محطات التلفزيون الامريكي والاوروبي وحرص على أن يبرز الدور الانساني للزيارة .. كان معه في هذه الزيارة جيري ويفر وميلتون . وبدأ حيري ويفر أمام الصحفيين كأنه مسئول عن مشروع امريكي في شرق السودان ، إذ عقد مؤتمرا صحفيا في قاعة مطار كسلا عاصمة الاقليم الشرقي ، وقد حضرت هدا المؤتمر الدي راح يجيب فيه على الاسئلة الخاصة باوضاع اللاجئين وظروفهم ، وعندما سئل عن امكانية سفر هؤلاء اللاجئين إلى دولة اخرى قال نعم يمكن دلك وقد حدث أن سافر لاجئون إلى دول عربية ، ويقوم مكتب الامم المتحدة باعطائهم وثائق السفر وتأشيرات الدخول من سفارات الدول التي يرغبون السفر اليها . وعندما طرح أحد الصحفيين موضوع ترحيل اليهود الفلاتسا من معسكرات اللاحئين نفى أن يكون ذلك صحيحا وقال إن موضوع نقل اليهود الفلاشا قصة لا أساس لها في الواقع وهى من اختراع حيال الصحفيين ، حتى حورج بوش رفض الاجابة على سؤال الصحميين حول موضوع الفلاشا مرتين الاولى في المؤتمر الصحفي الذي عقده بمطار كسلا قبل مغادرته عائدا إلى الخرطوم ، والثانية في المؤتمر الصحفي الذي عقده بمقرة بالقصر الجمهوري قبل أن يتوجه لحضور حفل الشاى الذي اعده الرئيس نميري في منزله تكريما له .

كان الرئيس في هذه الفترة قد احاطته الكراهية من كل جانب وخاصة من الحنوبيين ومن اساتذة جامعة الخرطوم الذين سلموا رسائل إلى بوش يقترحون فيها وقف المساعدات التي تقدمها امريكا لنميري بسبب تلك القوانين المجحفة التي سميت بقوانين الشريعة الاسلامية وبسبب تدخله في جنوب السودان على عير رغبة السكان هناك ، وكانت امريكا من جانبها قد ضاقت ذرعا بحكم نميري واعلن متحدث امريكي قبل زيارة بوش إلى السودان تجميد المساعدات التي تقدمها امريكا للسودان وقدرها ١٥٠ مليون دولار ، ولم تفلح زيارة بوش للسودان في ازالة هذا القرار ، ولم يقدم بوش سوى ١٥ مليون دولار لشراء بذور ومواد كيماوية لتحسين المحاصيل الزراعية .

كان الرئيس نميري اذن في حاجة الى تحسين وضعه مع حلفائه الامريكيين لذلك لم يعارض رغبة امريكا الاستئناف بنقل اليهود الفلاشا ، وفي حفل الشاى الذي اقامه لنائب الرئيس الامريكي بمنزله ابلغه بأن من الآن اعطى الضوء الاخضر لمساعديه في اجهزة الأمن لتنفيذ العملية الثانية .

وأمام بوش تحدث الرئيس مع اللواء عمر واعطاه التعليمات بالبدء في تنفيذ العملية ، واقترح بوش أن يقوم اللواء عمر بزيارة سريعة للولايات المتحدة تحت غطاء الحصول على مساعدات غذائية للاحئين ، وهناك يستطيع أن يضع اللمسات الاخيرة على خطة استئناف نقل اليهود الفلاشا .

لم يكن الأمر غامضا بالنسبة للواء عمر الطيب ، بل أن الخطة كانت تقتضي بأن تقوم طائرات عسكرية امريكية بنقل هؤلاء اليهود من مطار العزازة وهو عبارة عن ارض فضاء لايصلح لهبوط الطائرات وصعودها بالقرب من معسكرات اللاجئين .. كانت الخطة أن عشر طائرات من طراز « **C.130** » ستصل إلى المنطقة محملة بمواد الاغاثة ثم تقوم بحمل اليهود الاثيوبيين معها .. دون أن يعرف أحد حقيقة المهمة التي تبدو في مظهرها مهمة انسانية واعطيت التعليمات إلى قيادة القوات المسلحة بأن هناك طائرات امريكية عسكرية ستصل مطار العزازة محملة بمواد الاغاثة وأن على سلاح الجو السوداني والقوات المسلحة الا تتعرض لها وأن عملها سيكون تحت اشراف جهاز الأمن ..

وبعد مغادرة جورج بوش الخرطوم اعدت الترتيبات لسفر اللواء عمر محمد الطيب إلى امريكا لمراجعة الخطة مع جهاز المخابرات الامريكية بعد أن اعطى الرئيس الضوء الاخضر لتنفيذ العملية في حفل الشاى الذي اقامه في منزله لجورج بوش .

○ ○ ○

الفصـــل السادس

في مقر رئاسة المخابرات المركزية الامريكية

غادر جورج بوش نائب الرئيس الامريكي الخرطوم صبيحة السابع من مارس ١٩٨٥ مطمئنا إلى أن الاعداد المتبقية من اليهود الاثيوبيين والموجودين في معسكرات اللاجئين شرق السودان سيتم ترحيلهم كالسابقين إلى اسرائيل . وكان الرئيس السابق جعفر نميري قد اعطى الاوامر لجهاز أمنه بتنفيذ العملية اثناء زيارة بوش وشرطه الوحيد أن يتم نقلهم على طائرات امريكية . ورغم أن الخطة كانت معدة من قبل إلا أنه اتفق على أن يقوم اللواء عمر الطيب بزيارة خاطفة إلى واشنطن للمشاركة في وضع اللمسات الاخيرة عليها ، وطلب المزيد من العون المالي .. وكان هناك تفسير يمكن أن يقال حول هذه الزيارة وهو أنه سافر إلى واشطن لترتيب الزيارة التي سيقوم بها الرئيس إلى امريكا يوم ٢٧ مارس رغم أنها كانت زيارة خاصه ، وهذا ما اعلنته وسائل الاعلام السودانية حول الزيارة الخاطفة لرئيس جهاز الأمن السوداني ..

الواقع أن اللواء عمر قام بدور مع كل من مستر ميلتون مندوب المخابرات الامريكية وزميله جيري ويفر لتسهيل العملية الثانية لترحيل اليهود الاثيوبيين حيث نصحهم بأن من الافضل أن يحصلا من الرئيس على موافقة اثناء حفل الشاى الذي سيقيمه لجورج بوش وقد نجحوا في ذلك .

كانت الخطة أن تتم العملية الثانية بطائرات عسكرية امريكية من مطار العزازة في القضارف وافقت الحكومة الامريكية على ذلك كما تم الاتفاق على أن يقوم اللواء عمر بزيارة إلى امريكا لمقابلة مستر وليم كيس مدير المخابرات المركزية الامريكية للاتفاق على الترتيبات النهائية .

التقى جيري ويفر مع موسى اسماعيل بعد مغادرة جورج بوش وشرح له ماحدث في حفل الشاى واعرب موسى عن دهشته لسفر اللواء عمر لأن كل شيء متفق عليه بمافي ذلك تفاصيل خطة الترحيل واقنعه ويفر بأهمية الزيارة وذكر له أن الامور تسير حسب الخطة ..

ثم قال له : واكثر من هذا فإنك ياموسى قد وقع عليك الاختيار لترافق اللواء عمر في هذه الزيارة وسيسافر معكم مستر ميلتون وأن العملية ستتم في نهاية الاسبوع الثالث من شهر مارس بالتحديد يوم ٢٢ مارس ، وأن كل شيء اصبح جاهزا الآن ولم يبق إلا نقطة واحدة وهى هل ستمون هذه الطائرات بالوقود من مطار الخرطوم أم من مكان آخر .

لم ينس جيرى ويفر أنه يتحدث مع موسى في موضوع يشغل بال اللواء عمر وهو يعرف تماما بحكم خبرته في مثل هذا النوع من العمل أن مايقوله سيصل إلى اللواء عمر

مباشرة .. خاصة إذا كان الموضوع يتعلق بالمال ، فقبل أن يهم بالانصراف عاود الحديث مع موسى قائلا :

ـــ أود أن أبلغك قبل أن انصرف أن كل الترتيبات اتخذت مع جنيف لتوريد مبلغ الاثنين مليون دولار لحساب اللواء عمر في لندن .

ـــ جنيف ! .. سويسرا ، ولماذا لم تحول من امريكا ..

هكذا جاء رد فعل موسى مندهشا واكمل متسائلا :

ـــ هل تحتفظ الحكومة الامريكية بحساباتها هي الاخرى في سويسرا .. ؟

ابتسم جيري ويفر وقال :

ـــ هذه المبالغ لم تدفعها امريكا وإنما دفعتها المنظمات اليهودية التي تعمل في برنامج اعادة توطين اليهود .

اصبح كل شيء إذن ممهدا للجولة الثانية لترحيل اليهود الفلاشا ، وبدأ اللواء عمر يستعد للسفر إلى الولايات المتحدة الامريكية .

لكن ماتحدث به الفاتح عروة لجماعة الاخوان المسلمين في مؤتمر الصافية اصبح يقلقه .. شيء ما في داخله جعله يخشى من الفاتح وتوصل في نهاية الأمر إلى حسم هذا القلق بأن يسعى إلى كسب هذا الضابط الشاب إلى صفه ويبعده عن العملية الثانية فاصدر تعليماته بالسماح لسفر الفاتح إلى بون وامريكا ليحصل على تدريب في الكمبيوتر ورخصة الطيران من أمريكا حسب رغبته في ذلك . واكثر من ذلك طلب من اللواء عثمان السيد أن يرسل له الفاتح في بيته كي يهدىء من خاطره .. وبالفعل توجه الفاتح إلى منزل اللواء عمر للقائه مرة ثانية .. يقول الفاتح عن هذا اللقاء :

« قابلت اللواء عمر وصليت معه المغرب ، وفي هذا اللقاء قال لي لعلك تعرف أن سيرة الاخوان ليست طيبة ، واولاد عمك هؤلاء ابنائي ولابد أن يعاملوا كغيرهم وكرر لي القول بإنه ماكان يجب أن اتحدث عن موضوع الفلاشا في مؤتمر الصافية رغم أنك دافعت عني ..

وفي هذا اللقاء أبلغه الفاتح عروة رغبته في السفر إلى بون ، ووافق على اعطائه تذاكر السفر مس حساب جهاز الأمن .

جرى هذا اللقاء قبل سفر اللواء عمر إلى امريكا بيوم واحد ، وكان الفاتح عروة يعلم بأن هناك عملية ثانية ستتم لنقل مابين ٨٠٠و٩٠٠ شخص من اليهود الفلاشا من مطار

العزازة بالقضارف بواسطة طائرات حربية امريكية .. كانت المتسكلة الوحيدة التي يعرفها هل سيتم تموين هذه الطائرات من مطار الخرطوم المدني أو مطار وادي سيدنا العسكري يذكر أنه التقى بزميله العقيد موسى اسماعيل الذي اخبره بأن مسألة تموين الطائرات وجد لها حل واتخذت كل الترتيبات بشأنها ، وابلغه أنه متردد في السفر مع اللواء عمر إلى امريكا ويريد أن يعتذر عن هذه المهمة فنصحه الفاتح قائلا « لاتدخل مع هؤلاء الناس في مشاكل فإن عليك أن تنفذ التعليمات » ..

في يوم ١٨ مارس غادر اللواء عمر الخرطوم إلى واشنطن في طائرة عسكرية امريكية خاصة بناء على طلبه ، كان معه وفد يضم العقيد موسى اسماعيل والعقيد صلاح دفع الله مدير مكتبه ومستر ميلتون مندوب المخابرات الامريكية في الخرطوم .

امضى اللواء عمر نحو ٣٦ ساعة فقط في واشنطن التقى خلالها بمفرده مع مستر كيسى مدير المخابرات الامريكية لمدة عشر دقائق في الوقت الذي كان يجلس فيه الوفد في مكتب السكرتيرة ، ثم عقد اجتماع مع الوفد وعدد من الطيارين العسكريين الامريكيين في غرفة خاصة داخل مبنى جهاز المخابرات الامريكية المركزية ..

عند دخول الوفد إلى المبنى اتخذت بعض الاجراءات .. دخلت السيارة التي يستقلها عمر الطيب في ممر تحت الأرض طوله نحو كم واحد لتقف أمام مصعد إلى الدور الثاني حيث يوجد مقر مستر كيسى ، وضعت على صدور اعضاء الوفد شارة تحمل اسم « زائر **Visitor** » أما مستر ميلتون فقد وضع على كتفه اشارة « **C.I.A** » وهى عبارة عن رقمه وصورته .

لم يكن المكان غريبا على عمر الطيب فقد سبق أن زاره اكثر من مرة ولم يكن غريبا على العقيد موسى حيث سبق أن زاره مرتين الاولى عام ١٩٨١ والثانية عام ١٩٨٤ لتلقى التدريب مع محاضرات وتدريب في عمل المحطات السرية الخارجية ومكافحة النشاط الارهابي ..

اقترح اللواء عمر تأجيل العملية اسبوعا لكن الجانب الامريكي رفض هذا الاقتراح لانهم اتخذوا كافة الاجراءات ، وأن هذه الفكرة يمكن بحثها مع مستر كيسى في اجتماعه معه ..

في اليوم التالي جاء مستر ميلتون في الصباح وقال سوف نذهب إلى رئاسة « السي آى ايه » وأن اللواء عمر سيلتقي مع مستر كيسى وسيعقد اجتماع تنويري .

بعد تناول الافطار خرج الجميع عمر الطيب وميلتون وموسى اسماعيل وصلاح دفع الله وركبوا سيارة واحدة إلى رئاسة الـ C.I.A وعندما وصلت السيارة إلى مقر المبنى اختفت في مدخل هو عبارة عن نفق تحت الأرض .. وهو المدخل المخصص لدخول مدير الجهاز فقط ، وانبهر به عمر الطيب وطلب أن يصمم مبنى جهاز الأمن السوداني الجديد هكذا .. وكان عمر الطيب قد قال بناء على اقوال العقيد موسى إنه سيطلب مساعدة امريكية لبناء الجهاز الجديد مقابل التسهيلات التي قدمها لهم في عملية نقل اليهود الفلاشا .

يتحدث العقيد موسى اسماعيل عن هذه الزيارة المثيرة فيقول :

« نزلت السيارة في نفق تحت الأرض ، نزلنا من السيارة ودخلنا المصعد الذي يستخدم فقط لمستر كيسى ، طول النفق من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ متر ، صعدنا ودخلنا احدى المكاتب واعطونا اشارات مكتوب عليها **Visitor** أى (زائر) ، أما ميلتون فمعه اشارة مختلفة عبارة عن صورته ورقمه وعلقها على صدره اخبرهم ميلتون بأن اللواء عمر سيقابل مستر كيسى بمفرده ، أما بقية اعضاء الوفد فدخلوا مكتبا جانبيا فيه سكرتيرة وتركهم ميلتون وخرج ، ثم عاد ليخبرهم أن هناك اجتماعا تنويريا سيعقد .. استغرق الاجتماع نصف ساعة .. دخلنا غرفة كان موجودا بها عدد كبير من ضباط سلاح الطيران الامريكي ومعهم نفس الشخص الذي استقبلنا في المطار ، وعدما وصلنا المكتب وقعت أعيننا على خريطة مصورة يبدو أنها ملتقطة من الجو مكتوب عليها اسم « القضارف » ثم قدم الرجل الذي قابلناه في المطار اللواء عمر الطيب وجلسنا في شكل اجتماع ، أخرج اللواء عمر تقريرا من حيبه مكتوبا باللغة الانجليزية وراح يقرأ منه ، وكان عبارة عن مشروع خطة لنقل اليهود الفلاشا من مطار بورسودان أو مطار الخرطوم ، والثالث عن طريق مطار العزازة بالقضارف ، ورجحت الخطة أن يتم النقل عن مطار العزازة وقال :

الطائرات العشر المقترح وصولها أرى أن تأتي مع أول ضوء في الصباح وأن يكون الفاصل الزمني بين كل طائرة وطائرة نصف ساعة ..

ثم انتقل الحديث حول طريقه تموين الطائرات ووحدوا لها حلا وهى أن تمون في مطار الخرطوم باشراف السفارة الامريكية .

لم يكن هناك مناقشة طويلة ، كان اللواء عمر يتحدث وهم يسألون ، واستغرق ذلك نحو ربع ساعة .. وكان عدد الضباط في الاجتماع ٦ ضباط أعمارهم فوق الاربعين وهذا يعنى أنهم ضباط كبار وعلى اكتافهم نجمة واحدة أو نجمتين ، كانوا جنرالات .

في مساء نفس اليوم كان فيه دعوة عشاء من وزير الدفاع وفي اليوم الثاني كان مدعوا للافطار مع بوش بمفرده وغادروا واشنطن في نفس اليوم بطائرة حربية امريكية من طراز « C.140 » داخلها كانت توجد كبسولة من التي تخصص لكبار الشخصيات « V.I.P- والكبسولة تدخل الطائرة مثل « كونتيبر » ، وهي ايضا لا يستعملها إلا رئيس الجهاز وهي عبارة عن قسمين قسم به اللواء عمر والثاني لبقية الوفد وهي نفس الطائرة التي جاءا فيها ، نزلت الطائرة في قاعدة جوية ، في اوروبا ، ووصلوا الخرطوم يوم الاربعاء ٢٠ مارس .

في الصباح استدعى اللواء عمر الطيب العقيد موسى وبينما كان ينتظر الاذن بالسماح له بالدخول كان مستر ميلتون مجتمعا مع اللواء عمر وعندما خرج التقى بالعقيد موسى فحياه وطلب منه أن يقابله فيما بعد .

في هذا اللقاء اخبر اللواء عمر العقيد موسى بأن الطائرات الامريكية ستصل غدا الخميس إلى مطار العزازة بالقضارف محملة بمواد تموينية للتمويه ستنزلها لتقل الفلاشا ، وكان ميلتون قد ابلغه أن العدد الذي تم حصره هو ٤٥٠ شخصا من اليهود الفلاشا ، كما ابلغ العقيد موسى بأن الجانب الامريكي اعد كل شيء في مطار العزازة وأنه اتصل بوزير الدفاع والقائد العام الفريق عبد الرحمن سوار الذهب واخبره بأن طائرات من طراز (C.130) ستصل غدا القضارف تحمل موادا تموينية وسيكون جهاز الأمن مسئولا عنها وطلب منه أن يبلغ قائد منطقة القضارف ، ثم قال للعقيد موسى :

ــ عليك الآن ياموسى أن تتصل بوحدة أمن القضارف كي يقوموا بتأمين مطار العزازة واعداد الباصات لينقلوا جماعات الفلاشا من المعسكرات إلى المطار بناء على طلب الامريكيين ، عليك إذن أن تعد سائقين مهرة يقودون هذه الباصات وتكون معهم مجموعات للحراسة بكل مجموعة احد الضباط ، أما أنت فاذهب إلى القضارف مع مستر ميلتون الذي سيتوجه إلى هناك بعد الظهر بطائرة الجهاز .

انتهى اللواء عمر من اصدار تعليماته ثم اردف قائلا :

ــ عليك ألا تنسى ياموسى أن هذه العملية تتم بناء على تعليمات الرئيس ولعلك تذكر تصريح الرئيس الذي قال فيه اى دوله تريد ان تنقل اليهود الفلاشا فلتأتي لتنقلهم .

في نهاية اللقاء لم ينس اللواء عمر أن يوجه تعليماته إلى العقيد موسى بأن عليه بمجرد

عودته مس القضارف بعد اتمام العملية أن يمر عليه في المنزل مهما كان الوقت متأخر ليعرف منه كيف سارت العملية .

بعد ذلك جرى لقاء بين العقيد موسى ومستر ميلتون اتفقا فيه على أن يلتقيا في مقر جهازالأمن السوداني الساعة الثانية والنصف غدا ليتوجها بطائرة خاصة إلى القضارف في الساعة الثالثة وطلب منه أن تكون الباصات على اهبة الاستعداد ابتداء من الساعة الثانية عشرة مع منتصف الليل .

لم يكن امر هذه العملية سرا على العاملين في جهاز الأمن السوداني خاصة اولئك الذين سبق أن اشتركوا في العملية الثانية مثل الرائد فؤاد بندر والمقدم دانيال وكان الرائد بندر يعرف بالعملية قبل حدوثها .

يقول الرائد فؤاد بندر :

في يوم ١٢ مارس كنت مكلفا بمهمة بالقضارف تتعلق بحركات التحرير وليس اللاحئين ، فذهبت إلى العقيد موسى واخبرته بأني في طريقي إلى القضارف فقال لي إنه ذاهب مع اللواء عمر إلى امريكا واخبرني أنه فهم من الفاتح عروة أن الغرض من الزيارة هو عملية خاصة باستكمال نقل اليهود الفلاشا من مطار العزازة بطائرات امريكية واخبرني العقيد موسى إنه ليس متحمسا للسفر في هذه المهمة ، ثم اخذت منه الاذن بالتحرك يوم السبت إلى القضارف للمهمة التي كنت مكلفا بها ثم تأجل سفري يومين فسافرت يوم الاثنين ١٧ مارس وهناك التقيت بالمقدم دانيال ورددت له ماسمعته بأن هناك عملية اخرى ستتم وفوجئت بدانيال يقول لي :

ـــ لقد سمعت هذا من قبل .. فقد ابلغني نيكولا الذي يعمل مع جيري ويفر بأمر هذه العملية .

لم يكن أمر هذه العملية التي عرفت بعملية « سبأ » غريبا اذن على العاملين في وحدة أمن القضارف أو مكتب شئون اللاجئين بالسفارة الامريكية ، وسرعان ماجاءت البرقيات إلى القضارف من الخرطوم تعلن عن وصول العقيد موسى إلى مطار العزازة في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس ، وكان على كل من الرائد بندر والمقدم دانيال أن يتحركا إلى المطار ليكونا في استقبال العقيد موسى بعد ظهر يوم الخميس ، وفي المطار فوجئنا بشيء لم يكن لهما به علم وكان الأمر غريبا عليهما إل حد انهما شعرا بانهما غريبان في منطقة عملهما إذ وجدوا نحو عشرة رجال من الاجانب يقومون بتركيب اجهزة اتصال وهوائي

(ايريال) .

سأل دانيال نيكولا الذي كان معهما بالمطار ينتظران وصول العقيد موسى :

ـــ كيف جاء هؤلاء الناس هنا ..

قال نيكولا :

ـــ هؤلاء وصلوا في الساعة الحادية عشرة صباح اليوم على دفعتين في طائرة صغيرة ..

لم يفعل كل من الرائد بندر ودانيال شيئا ازاء هذه المفاجأة وإنما راحا يرقبان هؤلاء الاجانب وهم يقومون بعملهم في تركيب اجهزة الاتصال إلى أن وصلت طائرة جهاز الأمن السوداني في الساعة الرابعة والربع ونزل منها العقيد موسى ومعه بعض الاجانب لم يعرف منهم إلا مستر ميلتون ..

اجتمع العقيد موسى بهما وشرح لهما المهمة قائلا :

هناك طائرات ستصل في الساعة السادسة صباحا تحمل مؤنا وستنقل بقية مجموعات الفلاشا الموجودين في معسكر تواوا وأن الباصات ستصل الساعة الحادية عشرة لتنقل اليهود الفلاشا من المعسكر إلى المطار في الساعة الثانية عشر ليلا .

كان العقيد موسى قد قام ببعض الاجراءات قبل وصوله إلى القضارف اتصل بالمقدم دانيال وطلب منه أن تقوم وحدة الأمن بتأمين المطار تم توجه للواء كريم رئيس هيئة الادارة وطلب منه أن يقوم باعداد الباصات التي سبق أن اشتريت لنقل اليهود الفلاشا من القضارف إلى الخرطوم في العملية الأولى وطلب تزويدها بالحارولين ثم اشرف على اعداد سائقين من فرع التحرر واللاجئين الذي يرأسه وكلف ضابطا صغيرا يدعى اسامه بأن يرافق الباصات والحرس ويتحرك بها في الساعة الخامسة لتصل إلى القضارف مع منتصف الليل ، ثم التقى بمستر ميلتون في نفس الموعد المحدد الساعة التانية والنصف واستقل معه طائرة جهاز الأمن إلى مطار العزازة بالقضارف وعدما وصل هناك وجد دانيال ونيكولا في استقباله كما وجد عددا من الضباط والفنيين من سلاح الطيران الامريكي بزيهم الرسمي يقومون بتركيب اجهزة الاتصال وكان معهم ثلاثة من السفارة الامريكية . وتعرف عليهم عن طريق مستر ميلتون وكان واحدا منهم برتبة عقيد (كولونيل) قدمه له مستر ميلتون على أنه مسئول عن ادارة العملية ..

هكذا كانت تتم الترتيبات بعيدا عن القوات المسلحة التي كان يتم ابلاغها بأن هذه الطائرات تقوم فقط بنقل مواد الاغاثة للاجئين ، ولم تتلق قيادة الجيش أى معلومات رسمية تفيد بنقل يهود الفلاشا وكان الفريق أول عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب قد عين في شهر مارس عام ١٩٨٥ قائدا عاما ووزيرا للدفاع ، وفي تلك الفترة كانت عمليات الجنوب العسكرية تتصاعد من قبل الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة العقيد الدكتور جون جارانج . يقول الفريق عبد الرحمن سوار الذهب إنه في ١٦ مارس ١٩٨٥ بعد انتهاء زيارة جورج بوش نائب الرئيس الامريكي وقبل زيارة اللواء عمر الطيب إلى امريكا اتصل به الرئيس السابق نميري تليفونيا مستفسرا عن تطور العمليات في الجنوب وكانت القيادة المسلحة تبلغ الرئيس كل يوم عن هذه التطورات وفي اليوم التالي اتصل به مرة اخرى سائلا عن احداث الجنوب لكن هذه المرة اضاف الرئيس عبارة جديدة عندما قال ..

ــ إن هناك طائرات امريكية تحمل مواد اغاثة ستصل المنطقة الشرقية « وأن اللواء عمر ورجاله سيتولون امرها » ..

لم يناقش الفريق سوار الذهب الامر وتلقاه كحقيقة مسلم بها وأن عليه أن يبلغ قيادة اللواء الرابع في القضارف بالمنطقة الشرقية بوصول هذه الطائرات التي تنقل مواد اغاثة للعلم فقط حتى لايفاجأوا بها كقوات مسلحة .

ويمضى الفريق سوار الذهب في روايته قائلا : إنه تلقى مكالمة تليفونية من اللواء عمر لم تكن مكالمة عادية ولم يكن صوت اللواء عمر على التليفون هادئا كعادته وهو يقول للقائد العام للقوات المسلحة :

ــ ماذا ستفعل في هذه « البلاوي » التي وقعنا فيها ..

وفوجىء الفريق سوار الذهب وتوقع أنه سيسمع اخبارا مزعجة عن الجنوب فاحتفظ بهدوئه وسأل :

ــ بلاوي ؟ .. ماهى تلك البلاوي ؟ ..

ــ البلاوي الخاصة باللاجئين !

ــ ماذا حدث ؟

قال اللواء عمر :

ــ أليس عندكم خبرا بطائرات قادمة تنقل الفلاشا ..

رد الفريق سوار الذهب :

ـــ والله ماعندنا أى خبر ولا يوجد هناك سبب يدخلنا في هذا الموضوع ..

وانتهت المحادثة التليفونية .. لكن اللواء عمر اتصل به في اليوم التالي ليتحدث في نفس الموضوع قائلا :

ـــ ألم يتحدث معك الرئيس بأن هناك طائرات امريكية قادمة ستحمل لاجئين ؟ رد الفريق سوار الذهب باقتضاب :

ـــ لا .. الرئيس ابلغني أنها طائرات قادمة تحمل معها موادا للاغاثة .

وانتهت المكالمة الثانية التي جرت يوم ١٩ مارس ١٩٨٥ أى بعد وصول اللواء عمر من امريكا مباشرة .

رغم ذلك فإن اللواء عمر ينظر إلى المسألة من زاوية ما سيتحقق من فوائد مادية والحصول على مساعدات امريكية .. سواء كانت هذه المساعدات شخصية أو لحل المشاكل الاقتصادية للسودان ..

« يقول عندما جاء جورج بوش إلى السودان في مارس ١٩٨٥ تفقد احوال المواطنين الذين اصيبوا بالجفاف والتصحر والمجاعة وكذلك احوال اللاجئين وكنت مضيفه بحكم منصبى فسافرت معه إلى معسكر ود شريفى بالقرب من كِسلا حيث يوجد لاجئون اثيوبيون كما سافرت معه إلى الأبيض عاصمة اقليم كردفان .. أحضر بوش معه خطابا من الرئيس الامريكي ريجان إلى الرئيس السابق يشكره ويشيد بالتعاون بين البلدين ويطلب منه أن يستأنف برنامج ترحيل اللاجئين إلى امريكا »

اخبرنى الرئيس بعد ذلك ووافق على ترحيل الدفعة الثانية بشرط أن يرحلوا بطائرات امريكية وتحت المسئولية المباشرة للولايات المتحدة الامريكية للتأكد من سلامة وصول هؤلاء اللاجئين إلى امريكا وليس إلى بلد آخر خاصة اسرائيل ..

يقول اثناء نقاشي مع نائب الرئيس الامريكي تطرقنا إلى الحل الجذري لاعادة المواطنين الذين اصابهم التصحر خاصة في دارفور وايضا احتياجات الاقاليم الاخرى وتمويل مشروع برنامج الانعاش الاقتصادي في ظل حل مشكلة الجنوب وهو مبلغ ٥ مليون دولار يستخدم في برنامج دعم الجنوب اقتصاديا وتلبية احتياجات السودان من الذرة بما قيمته ٥٠ مليون دولار وكنا بحاجة إلى ٤ مليون اخرى وليس لدينا العملة الصعبة .. ذكرت ذلك كله لبوش فقال إن هذه الاشياء تتطلب حضوري شخصيا ليبحثها مع الادارة الامريكية قبل سفر الرئيس السابق .

الفصــل الســابع

طائرات الصباح المبكر

بدأ تنفيذ العملية التي عرفت بعملية سبأ ليلة الجمعة ٢٢ مارس ١٩٨٥ .. وصل العقيد موسى اسماعيل ومعه مستر ميلتون وآخرون إلى القضارف بعد ظهر يوم الخميس على طائرة جهاز الأمن السوداني بينما كان ١٢ شخصا من ضباط الاتصال الامريكيين يقومون باعداد اجهزة الاتصال ليرتبطوا مباشره مع واشنطن وانتظر الجميع وصول الباصات مع منتصف الليل لنقل ٤٥٠ شخصا من اليهود الفلاشا من معسكر تواوا إلى المطار . بينما عاد ميلتون في نفس الليلة إلى الخرطوم وبقى هناك العقيد موسى ومعه المقدم دانيال والرائد فؤاد بندر وموظفى مكتب شئون اللاجئين ومن بينهم نيكولا وامريكيون آخرون . وقد اقضى هؤلاء ليلتهم في المنزل الذي كانت السفارة الامريكية قد استأجرته لتنفيذ العملية الاولى ودفعت ستة اشهر مقدما من ايجاره .

سأل العقيد موسى المقدم دانيال عن حالة الأمن العامة فطمأنه لكنه تذكر شيئا ذلك أنه لاحظ وجود صحفي امريكي موجود في معسكر تواوا ويختلط بافراد الفلاشا وتذكر ايضا أن نيكولا الموظف بمكتب شئون اللاجئين الامريكي ابلغه أنه شاهد هذا الصحفي يذهب إلى المطار مرتين ، وأن وجود هذا الصحفي قد يضر بسرية العملية ..

استمع العقيد موسى بانتباه إلى مايحكيه دانيال عن الصحفي الامريكي فشعر بأن شيئا ثقيلا يجثم على صدره وأن كل شيء سيفتضح امره كما حدث في العملية الأولى فاصدر تعليماته إلى دانيال بأن يتوجه إلى هذا الصحفي اينما كان ويتحفظ عليه إلى أن تنتهي العملية تماما في محاولة لاخفائها عنه تماما ، وهذا ماحدث ، تم التحفظ على الصحفي في احد المكاتب التابعة لجهاز الأمن بالقضارف ولم يفرج عنه إلا قبل ظهر اليوم التالي .

وكان هذا الصحفي هو « شارلز باورز » مندوب صحيفة « لوس انجلوس تايمز »

الذي كان أول من كشف تفاصيل هذه العملية التي عرفت بعملية سبأ ..

اطمأن رحلا الأمن السوداني إلى ذلك فتوجها إلى المطار ثم اصدرا تعليماتهما إلى فؤاد بندر ومعه نيكولا لاصطحاب الباصات والتوجه بها إلى معسكر تواوا لاحضار الفلاشا ..

يقول فؤاد بندر « عندما توجهت الباصات إلى معسكر تواوا وجدت مجموعات الفلاشا في نفس الموقع السابق الذي تجمعوا فيه اثناء تنفيذ العملية الأولى ، وقد جمعوا على شكل مجموعات تضم كل مجموعة نحو ٩٠ فردا ومعهم ثلاثة من الامريكيين يقومون على حراستهم ، ثم قامت الباصات بنقلهم إلى المطار على دفعتين ، وقد اعد الطريق من المعسكر إلى المطار اعدادا جيدا حيث وضعت عليه علامات طريق عبارة عن نقاط مضيئة على جانبي الطريق حتى لاتتوه السيارات في تلك المنطقة المنفرة اثناء الليل ..

عندما اقترب الوقت من الساعة الخامسة قام الامريكيون الثلاثة الذين يرتدون الملابس العسكرية ومعهم نيكولا وقد أمضوا الليل كله بالمطار في تقسيم افراد الفلاشا إلى خمسة مجموعات كل مجموعة تضم ٩٠ فردا ، واستغرقت هذه العملية عدة ساعات وماهى إلا دقائق حتى ظهرت في الجو أول طائرة امريكية عسكرية وعند ظهورها اطلق احد الضباط الامريكيين طلقة مضيئة من مسدسه اشارة للطائرة بالهبوط ولم يكن بالمطار أى نوع من الخدمات الجوية فالمكان اصلا غير معد ليكون مطارا يستقبل الطائرات ولكنه مجرد ارض فراغ في منطقة بالقرب من القضارف اسمها العزازة . هبطت الطائرة واستقرت على الأرض .. طائرة عسكرية من طراز « C.130 نزل منها عدد من الجنود الامريكيين المسلحين بزيهم الرسمي وهو زى قوات الصاعقة ، ثم انزلوا حمولة الطائرة وهى المؤن التي حملوها معهم للاجئين للتمويه وهى عبارة عن صناديق مياه مكتوب عليها « مياه الربيع » واكياس من السكر والدقيق واجهزة اطفاء حريق وقطع غيار للطائرة منها ثلاث عجلات كما انزلوا منها ٢ موتوسيكل ثم قاموا على الفور بعد انزال هذه الاشياء بمساعدة المجموعة الأولى من الفلاشا كى تصعد الطائرة ، ثم اغلقت الطائرة ابوابها وغادرت المكان في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الطائرة الثانية في الجو التي هبطت على ارض المطار لتنزل كميات اخرى من اكياس السكر والدقيق وتحمل مجموعة اخرى من الفلاشا . ولم تكن الطائرات تحمل مؤنا سوى الطائرة الأولى والثانية لم تمض ثلاث ساعات حتى كانت الطائرات الخمس قد حملت ٤٥٠ فردا من اليهود الفلاشا ، أما الطائرة السادسة الاخيرة فقد حملت معها مجموعة العسكريين

الذين وصولوا على الطائرة الاولى والثانية وقطع العيار ، واجهزة اطفاء الحريق ، وفي الساعة التاسعة والنصف بدا المطار خاليا تماما من الامريكيين والطائرات وافراد الفلاشا وعلى ارضه تناثرت اكياس السكر والدقيق وبقايا من زجاجات المياه التي كان افراد الفلاشا قد شربوا كثيرا منها نقلت هذه الاكياس وكان عددها ١٥٠ كيسا إلى مكاتب جهاز الأمن ولم يتم توزيعها على اللاجئين لقلتها فوزعت على السائقين وصغار الموظفين من جهاز الأمن ومكتب شئون اللاجئين .

وهكذا في وقت قصير تم تنفيذ العملية الثانية بنقل ٤٥٠ شخصا من اليهود الفلاشا من مطار العزازة بالقضارف شرقي السودان وهى العملية التي عرفت بعملية سبأ .

كان العقيد موسى اسماعيل قد غادر المطار بعد انتهاء العملية مع الطائرة الاخيرة التي اقلت معها الامريكيين إلى الخرطوم ، وكان عليه أن يتوجه فور وصوله إلى منزل اللواء عمر ليقدم له تقريرا شفهيا بتفاصيل العملية لكنه آثر أن يذهب إلى منزله ويستريح خاصة أن اليوم كان يوم جمعة وهو يوم الاجازة الاسبوعية وإنه لم يكن قد ذاق طعم النوم في الليلة السابقة وغدا السبت يستطيع أن يذهب إلى اللواء عمر .

عندما فتح له الباب استقبله اللواء عمر بعاصفة من اللوم والتأنيب عن سبب تأخره في الاتصال به وسأله :

ـــ لماذا لم تأت إلى مباشرة امس ؟ الم اقل لك أن تأتي إلى البيت وتشرح لى ماحدث ؟

قال العقيد موسى :

ـــ سعادتك .. نحن ساهرون طوال الليل وكان على ان استريح قبل أن آتى اليك .

صاح اللواء عمر محتدا :

ـــ وهل تعتقد انكم كنتم ساهرين الليل بمفردكم ، لقد كنت ساهرا معكم بمسبحتي هذه .

بعد هذه المقابلة العاصفة شرح العقيد موسى للواء عمر كيف تمت العملية بالتفصيل ، وكيف نزلت الطائرات العسكرية الامريكية وعددها وعدد اللاجئين الذين تم نقلهم والمواد التموينية التي احضرت وقال له إنه لم يسلمها إلى معتمد اللاجئين لقلتها فتركها لصغار الموظفين والسائقين كما شرح له قصة الصحفي الامريكي وكيف تم التحفظ عليه حتى اقلعت آخر طائرة .

كان من المقرر في هذا اليوم أن يشهد اللواء عمر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي ، وكانت اخبار الحنوب الدامية وانباء كوارث المجاعة تتوالى على العاصمة

فيقف امامها المسئولون عاجزين يضاف اليها تدهور الاوضاع الاقتصادية وارتفاع الاسعار وازدياد حركة الاعتقالات ضد السياسيين سواء في الجنوب أو الشمال كان الجو العام يحمل نذر الخطر على النظام في السودان ، وكان الرئيس السابق نميري يستعد للسفر إلى امريكا بعد خمسة ايام من نقل يهود الفلاشا التي تمت من مطار العزازة بتخطيط من المخابرات الامريكية وسلاح الجو الامريكي .

لكن وكالات الانباء والاذاعات كشفت أسرار العملية الثانية التي لم يكن قد مضى عليها ثلاثة ايام ، وكان أول من كشف هذه الاسرار الصحفي الامريكي تشارلز باورز الذي كان موجودا في القضارف ليلة تنفيذ العملية وجرى التحفظ عليه من قبل وحدة الأمن السوداني بتعليمات من العقيد موسى اسماعيل ، وقد روى تشارلز باورز بنفسه قصة هذا الاعتقال فقال إنه وضع في احد المكاتب التابعة لجهاز الأمن السوداني تحت حراسة عدد من الجنود ومنع من الخروج حتى صباح اليوم التالي نظرا لأن المكتب كان قريبا من المطار الذي هبطت فيه طائرات سلاح الجو الامريكي لنقل اليهود الفلاشا فإنه استطاع أن يحدد عدد هذه الطائرات وحركتها حيث كان هديرها يصل إلى اسماعه وهو في الغرفة المغلقة منذ الصباح الباكر وكان يستطيع أن يحدد من خلال اصوات الطائرات ماإذا كانت هذه الطائرة تهبط أم تغادر ، وقد تم نقله بعد ذلك إلى الخرطوم حيث سلمته اجهزة الأمن السودانية الى السفارة الامريكية التي قامت بترحيله بعد أن حصل على تفاصيل العملية كاملة كشاهد عيان . ولعله كان على علم مسبق بهذه العملية إذ أنه جاء خصيصا من نيروبي إلى هذا المكان المقفر الذي يخلو من الاخبار المثيرة في الايام العادية ، وقد أكد بنفسه معرفته بالخطة الموضوعة لهذه العملية قبل تنفيذها لذلك جاء من نيروبي إلى السودان ووصل إلى القضارف الذي يبعد حوالي مائتى ميل جنوب شرق الخرطوم واعتقلته سلطات الأمن السودانية في الوقت الذي حطت فيه الطائرات العسكرية الامريكية ١٣٠ سي على الأرض التي سميت مجازا مطارا .

يقول اللواء عثمان السيد :

ـــ في نفس اليوم الذي تمت فيه العملية الثانية التي عرفت باسم عملية سبأ تناولت الاذاعات خبر تفاصيل العملية كما نشرته لوس انجيلوس تايمز نقلا عن مراسلها بالخرطوم تشارلز باورز ، اتصلت بالنائب الأول وابلغته أن الاذاعات اذاعت انباء العملية الثانية وتكاد تكون بالتفصيل فأمر بحظر سفر الصحفي الامريكي باورز ووضع اسمه في قائمة الممنوع

سفرهم بالمطار ، فتوجه إلى السفارة الامريكية ، ثم جاءوا به إلى مكتبى ومعه السكرتير الصحفي بالسفارة وكان معي بالمكتب العقيد موسى اسماعيل وتنفيذا لتعليمات النائب الأول اجرينا معه تحقيقا عن كيفية علمه بهذه العملية فذكر انه مراسل لصحيفته في نيروبي ، وكان زميلا له يرافق مستر بوش عند زيارته للسودان وجاءهم من رئاستهم في امريكا خبرا بأنه تم الاتفاق بين الرئيس السابق نميري واللواء عمر وجورج بوش على ترحيل بقية الفلاشا الموجودين بالسودان وأن عليهم أن يتابعوا الموضوع ، فوصل من نيروبي إلى الخرطوم يوم ١٩ مارس وتوجه يوم الاربعاء — أى قبل العملية بيومين — إلى القضارف ، هناك شاهد حركة غير طبيعية تدل على أن هناك شيئا ما على وشك الحدوث ، وعندما شوهد في المنطقة اعتقله رجال الأمن وامضى ليلة ٢١ مارس معهم ، وفي الصباح الباكر كان يصل إلى سمعه اصوات طائرات تهبط وتصعد في المطار ، وفي الساعة الحادية عشرة تغير رجال الحراسة وجاء غيرهم فسألهم ماذا يحدث في المطار فقالوا له ببساطة طائرات ١٣٠ سي جاءت ونقلت الفلاشا .

احدث اعتقال مراسل الصحيفة الامريكية قلقا لدى السفارة الامريكية خاصة أن رئيس تحرير الصحيفة طلب من السفارة التدخل لدى المسئولين السودانيين للافراج عنه ووافق اللواء عمر على طلبهم وافرج عنه وعاد إلى امريكا .

وفي يوم ٢٠ مارس اى بعد ثلاثة ايام من تنفيذ العملية كتبت لوس انجلوس تايمز مايلي : حاولت الولايات المتحدة اضفاء جو من السرية يوم السبت الماضي على عملية نقل جوى امريكية منظمة استهدفت نقل المجموعة الاخيرة من اليهود الاثيوبيين إلى الكيان الصهيوني وذلك خشية احراج السودان وقال . محرر الصحيفة إن ادارة الرئيس الامريكي ريجان اكدت سرا أن أكثر من ٥٠٠ من الفلاشا قد تم نقلهم من أحد المخيمات في السودان إلى مطار عسكري بالقرب من مدينة عكا في فلسطين المحتلة حيث وضعوا بشكل مؤقت في مركز استيعاب الهجرة وذلك في اطار خطة وضعتها وكالة المخابرات المركزية بالتعاون مع الموساد الاسرائيلي .

وقالت الصحيفة إن سؤالا وجه إلى الرئيس الامريكي حول عملية النقل الجوي التي اتسمت بالسرية المبالغة اثناء احتفال جرى في البيت الابيض يوم السبت الماضي ولكن الرئيس ريجان تردد بعض الوقت ثم قال « لا تعليق » واشار إلى أن وزارة الخارجية الامريكية تتابع هذه القضية .

وكشفت الحقائق بعد ذلك أن مائة عضو من الكونجرس الامريكي بعثوا برسائل شخصية تحت ضغط من اسرائيل إلى الرئيس ريجان في شهر فبراير ١٩٨٥ ليسارع في استئناف نقل اليهود الفلاشا من معسكر اللاجئين شرقي السودان بعد أن توقفت العملية الأولى في شهر يناير واستجاب ريجان لاعضاء الكونجرس حيث مارس ضغطا على الحكومة السودانية باعلان الادارة الامريكية وقف الدعم المالي للسودان وقدره ٥٠ مليون دولار كمقدمة لمفاوضات قام بها جورج بوش اثناء زيارته للسودان للحصول على موافقة الحكومة السودانية للسماح باستئناف نقل اليهود الفلاشا مقابل استمرار الدعم المالي للسودان .

لم تكد تمر ساعات من اذاعة أسرار العملية الثانية في صحيفة لوس انجلوس تايمز حتى تناقلت الاخبار الاذاعات العالمية ووكالات الانباء واذكر انني التقيت مع اللواء عمر الطيب في ردهات البرلمان السوداني بينما كان الكل يتوجه إلى حدائق المبنى لحضور حفل شاى بمناسبة اختتام اجتماعات مؤتمر الاتحاد الاشتراكي وكان الرئيس السابق يستعد للسفر إلى امريكا في اليوم التالي ، كان اللواء عمر مكفهر الوجه يسير في حراسة عدد من رجال الأمن ويبعدون أى قادم غريب نحوه ، يومها بادرته بالسؤال قائلا له إن اجهزة الاعلام العربية والعالمية عادت تتحدث عن عملية جديدة لنقل اليهود الفلاشا فما هو ردك على هذا ؟

وما إن استمع إلى السؤال وهو مكفهر الوجه حتى انفجر صائحا :

ـــ لعن الله العرب ولعن هذه الاذاعات .. إن مشاكلنا الآن كبيرة ولسنا في حاجة لسماع ذلك وليس لدينا وقت نضيعه معهم .. لقد وصل بهم الأمر إلى حد انهم يقولون إننا ندفن النفايات النووية في اراضينا .. نحن لم يتدهور بنا الحال إلى هذا الحد ..

ثم ظل يردد في عصبية بصوت مرتفع :

ـــ ليس صحيحا .. ليس صحيحا ماتبثه هذه الاذاعات .. إنها كلها اذاعات معادية للسودان .

لم تمض ايام قليلة حتى انفجر الشعب السوداني غاضبا ضد حكومته واستمرت الانتفاضة الشعبية العارمة لمدة عشرة ايام تطالب بسقوط النظام ..

وحتى اللحظات الأخيرة كان مستر ميلتون مندوب المخابرات الامريكية لازال موجودا في الخرطوم وكانت العاصمة السودانية قد تحولت إلى غضب شعبى عارم وجهاز الأمن السوداني يحاول أن يتابع مايجرى من خلال لجنة فنية شكلها مجلس الأمن القومي لهذا

الغرض ، وفي الليلة الأخيرة للنظام ، ليلة السادس من ابريل اذاع راديو طرابلس بيانا للعقيد القذافي موجها للشعب السوداني يطلب فيه من العسكريين ألا يتعرضوا للانتفاضة وأن يتركوا الجماهير تتجه إلى الاذاعة للاستيلاء عليها وكذلك الاستيلاء على القصر الجمهوري ومقر مجلس الوزراء ، تابعت لجنة الأمن هذا البيان وسجلته على شريط خاص ونقلته في الساعة الحادية عشر مساء يوم الجمعة إلى اللواء عمر الطيب الذي استمع اليه واعرب لنوابه عن خشيته في أن يكون هذا تمهيدا لتدخل ليبي . ازاء ذلك كلف اللواء عثمان السيد أن يتوجه إلى مستر ميلتون ويبلغه لمعرفة الموقف الامريكي .. توجه اللواء عثمان السيد إلى منزل ميلتون بشارع ٢٥ في حى الامتداد بمنطقة العمارات وابلغه بما اذاعته اذاعة ليبيا فرد عليه مستر ميلتون قائلا :

ـــ لقد سمعنا مثلكم ما اذاعه راديو طرابلس لكن الموضوع انتهى «The game is over» ونأسف للرئيس نميري وللنائب الأول اللواء عمر ..

ثم قال :

ـــ ولحسن الحظ لقد وضعنا مبلغ ٢ مليون دولار في حسابه في لندن

«fortunately we had deposited two million dollars in his account in London»

ولم تمض ساعات حتى كان النظام قد انتهى بالفعل واستولى الجيش بقيادة الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب على السلطة وجرى اعتقال رجال النظام وفي مقدمتهم اللواء عمر محمد الطيب بينما كانت الجماهير تطالب بمحاكمته لمسئوليته عن تهريب الفلاشا إلى اسرائيل .

الجـزء الثاني

المحاكـمة

الفصـــل الثامن

شهادة الفريق أول سوار الذهب

في يوم ٢٦ اكتوبر (تشرين أول) بدأت اولى جلسات محكمة أمن الدولة التي عرفت باسم محكمة الفلاشا ، وهى محكمة شكلها المجلس العسكري الانتقالي بقرار من النائب العام برئاسة القاضي عبد الرحمن عبده . وحرص النائب العام أن تكون جلسات المحاكمة علنية تذاع عبر التلفزيون ووسائل الاعلام المختلفة باستثناء جلسة واحدة حرصت المحكمة على أن تكون سرية وتحولت القاعة التي كانت تخصص لاجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي التي يحضرها الرئيس السابق واللواء عمر الطيب وسط الاستقبالات الرسمية إلى قاعة للمحكمة اصبح فيها الرئيس هو المتهم الأول ونائبه المتهم التاني والعقيد الفاتح عروة متهما ثالثا والعقيد موسى اسماعيل متهما رابعا والمقدم دانيال متهما خامسا والرائد فؤاد بندر المتهم السابع ، جلس هؤلاء في قفص الاتهام باستثناء المتهم الأول ، ومضيت المحكمة في المواجهة جلس القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن ومساعداه عضو اليمين وعضو اليسار ، وعلى يمين المحكمة هيئة الاتهام المكونة من الصادق الشامي وكمال الجزولي ومصطفى عبد القادر وصلاح أبو زيد والمتحرى ضابط الشرطة أمين اسماعيل ، وعلى اليسار هيئة الدفاع عبد العزيز شدو المحامي وأحمد ارباب وآخرون ومن خلفهم قفص الاتهام ومتهمون .

في بداية المحاكمة القى النائب الأول عمر عبد العاطي خطبة الاتهام تعرض للجذور التاريخية للكيان الصهيوني وزرعه وسط الأمة العربية بدعم من الدول الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية ، وكشف دور المخابرات المركزية الامريكية في تقرير ودعم اسرائيل من خلال دورها المكشوف في عملية نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ولم ينس النائب العام أن يضرب مثلا لهذا الدور بالغارة الجوية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس واعتراض الطائرة المصرية المدنية التي كانت تقل مختطفي الباخرة الايطالية بعد أن نجحت مصر في

انقاذ حياة ركاب الباخرة ، وكذلك الدور الامريكي المتعاون مع اسرائيل في احتلال اسرائيل للضفة الغربية عام ١٩٦٧ ، وضرب لبنان في اواخر السبعينات والثمانيات . ثم قال النائب العام : إن السودان يرى أن عدوه الاساسي هو اسرائيل لكن سلطة الفرد جعلت من العمالة ديدنه واستجابت لمطالب الاغراء وشاركت في نقل اليهود الفلاشا من الأراضي السودانية الى اسرائيل .. وقال : إننا كرجال قانون ماكنا نود أن نقف مثل هذا الموقف لتمثل الاتهام ضد مواطن سوداني متهم بالخيانة العظمى .

وتحدث عن تأثير نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل على الموقف العربي حيث انهم وسيلة لتقوية اسرائيل بضمهم إلى الجيش الاسرائيلي وتدريبهم عسكريا مما يشجع الاعتداء على الأمة العربية الأمر الذي يسيء إلى موقف السودان الحربي والدبلوماسي والاقتصادي .. وقال بإن عدد الذين تم نقلهم ٣٠ ألف فرد حيث استغل نميري وعمر الطيب منصبيهما بالتستر على نقل ٢٠ ألف من الفلاشا طوال السنوات السابقة على العمليتين المعروفتين باسم « عملية موسى » وعملية « سبأ » وهذا الرقم يعادل نصف عدد اليهود الذين هاجروا من اسرائيل منذ عام ١٩٨٣ .

وقال إن اللواء عمر الطيب اشرف على اصدار التعليمات وفرض السرية بعلم نميري على نقل اليهود الفلاشا وسمح للسفارة الامريكية في الخرطوم أن تتحول إلى غرفة عمليات بعيدا عن أعين المؤسسات السودانية ، وأنه فى سبيل انجاز العملية الثانية « سبأ » اجتمع مع وليم كيسى رئيس وكالة المخابرات الامريكية وتلقى منه التعليمات المباشرة لتمكين سلاح الجو الامريكي من الهبوط في مطار العزازة السوداني ونقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل مباشرة وأنه سمح لرجال المخابرات الامريكية باستقلال جهاز أمن الدولة السوداني لاستجلاب بعض المعدات والسيارات لتخليصها من بورسودان .. وقال إن اللواء عمر الطيب طلب مقابلا لنفسه ولغيره وتحت يدنا وثائق تثبت أنه حصل على ٢ مليون دولار باسمه كما حصل على مبالغ أخرى ليس لدينا ادلة بشأنها ، كما أنه اصدر للضباط المرءوسين في جهاز أمن الدولة بأن يضعوا انفسهم تحت تصرف وكالة المخابرات المركزية الامريكية في تلك العمليات وادلى بتصريحات صحفية كاذبة تنفي ما تردد عن ترحيل اليهود الفلاشا من الاراضي السودانية إلى اسرائيل بطريق مباشر أو غير مباشر مع علمه بأنه ضالع مع المتهم الرئيسى السابق .

هكذا تحدث النائب العام في الجلسة الأولى للمحاكمة ليأتي دور رئيس المحكمة في توجيه الاتهامات إلى اللواء عمر الطيب عشر اتهامات على النحو التالي :

○ مخالفة المادة ٩٧ مں قانون العقوبات لسنة ٨٣ باستغلال المنصب الرسمي والاعداد والمشاركة والمساعدة والتسهيل والتدخل عمدا في تحريض بعض حنود وضباط جهاز أمن الدولة ــ وهى قوة نظامية ــ بوضع انفسهم في خدمة وكالة المخابرات الامريكية والحكومة الامريكية بهدف خدمة دولة الكيان الصهيوني ووكالة مخابراتها المسماة بالموساد ، والمشاركة والمساعدة والتدخل عمدا في جمع اليهود الفلاشا وترحيلهم بوسائل مختلفة إلى دولة الكيان الصهيوني .

○ مخالفة المادة ٩٧هـ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ وذلك باستغلال المنصب كرئيس لجهاز أمن الدولة وكنائب لرئيس الجمهورية بالاعداد والمشاركة والمساهمة والتحريض والتدخل عمدا في ترحيل اليهود مقابل الحصول لنفسه ولغيره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على اموال وعربات واجهزة مختلفة ومواد غذائية وبضائع احرى مں وكالة المخابرات المركزية وتسبب في اقدام آخرين على عمل يضر بمصلحة البلاد العامة الأمر الذي يشكل حريمة في قانون العقوبات .

○ مخالفة المادة ٩٧ ج من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ أنك ومن خلال مشاركتك ومساعدتك وتسهيلك وتدخلك المتعمد لترحيل يهود الفلاشا قد دخلت في مفاوضات مع وكالة المخابرات الامريكية بحكم منصبك وتعمدت اجراء هذه المفاوصات ضد مصلحة البلاد .

○ مخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات لسنة ٨٣ أنك بقيامك عمدا بالاعداد والتحريض والمشاركة والسماح والتسهيل والتشجيع لترحيل الفلاشا لدولة الكيان الصهيوني عن طريق طائرات « ترانس اوربيان ابروبير T.E.A » والطائرات الأمريكية الحربية .

○ مخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ أنك قمت بالاتصال المباشر وعير المباشر والتآمر مع الحكومة الامريكية والدولة الاسرائيلية وسعيت لديها وساعدت وتخابرت معها للقيام بترحيل العناصر البشرية مں يهود الفلاشا لدولة الكيان الصهيوني لمعارضته لتلك الدولة في عملياتها الحربية ضد الوطن العربي بما فيه بلادنا التي هى في حالة حرب مع اسرائيل مقابل منافع ماذية لك مما يعد عملا عدائيا ضد البلاد والاضرار بمركز السوداني الحربي والدبلوماسي والاقتصادي .

○ مخالفة المادة الثانية من قانون مقاطعة اسرائيل لسنة ١٩٥٨ أنك عقدت بالذات أو الوساطة اتفاقا مع هيئات أو اشخاص يقيمون في اسرائيل ومع هيئات أو اشخاص تعلم

انهم ينتمون بجنسيتهم لاسرائيل أو يعملون معها أو لحسابها لنقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل سواء بطريق مباشر أو غير مباشر مما يعتبر جريمة بموجب قانون مقاطعة اسرائيل .

○ مخالفة المادة ٤٥٧ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ ، بما أنك قمت بالافعال السابقة موضوع الاتهام بالادارة والمشاركة في ادارة شبكة منظمة ومخططة لارتكاب الجرائم موضع الاتهام مما يشكل فسادا للحياة العامة في السودان .

○ مخالفات بموحب قانون الطيران لسنة ١٩٦٠ أنك مستغلا لمصبك الرسمي وخلافا للقانون قد مكنت طائرات حربية امريكية من دخول السودان والنزول في مطار العزازة ومنعت الجهات المختصة من مراقبتها مما يعتبر مخالفة لقانون الطيران وقانون العقوبات .

○ مخالفات بموجب قانون السفر والهجرة لسنة ١٩٦٠ أنك قد مكنت اليهود الفلاشا من السفر خارج السودان عن طريق مطار العزازة وهو عير مطبق لخروج الاجانب مما يعتبر مخالفة للمادة ١٠ مقروءة مع المادة ٤٢ من قانون جوازات السفر والهجرة لسنة ١٩٦٠ مقروءة مع المادة ٨٤ لسنة ١٩٨٣ .

○ أنك دبرت وساعدت وسهلت ليهود الفلاشا دون أن تكون لهم تأشيرات خروج من الجهة المختصة مما يعتبر مخالفة للمادة ١٣ مع المادة ٤٢ من قانون جوازات السفر والهجرة لسنة ١٩٦٠ مقروءة مع المادة ٨٤ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ .

وقد رد اللواء عمر الطيب على هذه الاتهامات بأنه غير مذنب ..

ثم وجه رئيس المحكمة خمسة اتهامات لبقية المتهمين منها أنهم وضعوا انفسهم في خدمة وكالة المخابرات والحكومة الامريكية وشاركوا وساعدوا وسهلوا وتدخلوا في تحريض اجهزة أمن الدولة لخدمة وكالة المخابرات الامريكية كما ساعدوا وسهلوا نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل .

وقد رد المتهمون بأنهم غير مذنبون ..

وقد اتخذت المحكمة قرارا في أول جلساتها بفصل قضية المتهم الأول جعفر نميري عن هذه الاجراءات لوجوده خارج البلاد ولا يعترف القانون السوداني بالمحاكمة الغيابية وقد حاول المحامون تأجيل القضية إلى حين احضار المتهم الأول فرفضت المحكمة ، وكان المحامي عبد العزيز شدو قد حاول أن يطعن في تشكيل المحكمة مما ادى إلى تأجيل اجراءات المحاكمة لمدة اسبوع كسبا للوقت ورفض طلبه .

وبذلك اصبح اللواء عمر الطيب هو المتهم الأول في القضية ثم اصبح هو المتهم الوحيد عندما تحول المتهمون الأربعة الآخرون إلى شهود اتهام ، ولم يكن امام لجنة التحقيق وسيلة للحصول على الادلة والاثباتات إلا باعتراف المتهمين انفسهم الذين تعاهدوا مع النائب العام ليكونوا شهود اتهام مقابل العفو عنهم وقد اعترض محامي المتهم الأول لكن المحكمة رفضت اعتراضه على اساس أنه من اختصاص النائب العام أن يعفو عن أى منهم سواء اثناء نظر القضية أو بعدها وذلك مشروط بايفائهم لتعهدهم الذى لايتضح إلا بعد سير اجراءات الحلسة ، ولذلك اعتبرتهم المحكمة متهمين حتى يتحقق لها من سير الجلسات اىهم اوفوا بتعهداتهم .

وقد استغرقت التحقيقات في هذه القضية ستة اشهر استمعت فيها إلى اكثر من مائة شاهد وزارت لجنة التحقيقات المواقع التي تم منها تهريب الفلاشا وقدمت للمحكمة كافة الوثائق والدلائل في هذه القضية ومنها الباصات الأربعة التي تم بواسطتها نقل اليهود الفلاشا إلى المطارات والاشارات الضوئية التي كانت تستخدم في إنارة الطرق بالليل ومبلغ المائة وخمسين ألف دولار المتبقية من شراء الاجهزة اللاسلكية عن طريق السفارة الامريكية .

وربما كان الجانب السياسي في القضية هو السبب في أن المحكمة عقدت وسط اجراءات أمن مشددة إلى حد أن مبنى الاتحاد الاشتراكي المنحل ، حيث توجد المحكمة ، كان محاطا بعسكريين مدججين بالسلاح ، كما شددت الاجراءات حول وداخل القاعة الاساسية للمحكمة ، وقد سبق عقد المحكمة شائعات راجت في العاصمة السودانية بأن هناك محاولات من قبل دول اجنبية لاختطاف عمر الطيب والهروب به خارج السودان ، وشائعات اخرى بأن هناك محاولات من جهة معادية لاقتحام مقر المحكمة ، فالقضية تمس جهات اجنبية هى امريكا واسرائيل ، وقد تعرض مكتب لجنة الاتهام للاقتحام مرتين حيث جرت محاولة كسر المكتب ، وقدمت هيئة الاتهام بيانا بذلك إلى المحكمة التي قامت بمعاينة المكتب وطالبت بتشديد الحراسة .. كذلك تعرض مكتب المحامي عبد العزيز شدو لمظاهرات معادية بسبب قبوله الدفاع في هذه القضية وهتف المتظاهرون « مكتب شدو .. احنا نهدو » . ذلك أن الرأى العام السوداني كان معبأ بالكراهية والسخط تجاه رموز النظام السابق الذي اسقطه صيحة السادس من ابريل ١٩٨٥ ، ونظر الرأى العام إلى موضوع ترحيل اليهود الفلاشا عبر الأراضي السودانية كواحد من جرائم نظام جعفر نميري الاساسية وساهمت اللجان النقابية للعاملين بمطار الخرطوم في كشف تورط جهاز أمن الدولة في هذه

الجرائم قبل أن تعقد المحكمة جلساتها .. وقد حدد الدفاع في هذه القضية خطته على اساس أن موكله لم يكن يعرف أن هؤلاء اللاجئين هم من الفلاشا اليهود المسافرين إلى اسرائيل وإنما هى تعليمات الرئيس يقوم بتنفيذها في اطار برنامج اعادة توطين اللاجئين الذي تشرف عليه الولايات المتحدة الامريكية كبرنامج انساني . ولهذا فإن اللواء عمر الطيب عندما اعطيت له فرصة حق الدفاع عن نفسه حاول أن ينفي علمه بتفاصيل العملية التي قام بتخطيطها وتنفيذها ضباط الأمن وقال « إن هناك اشياء سمعتها في المحكمة لأول مرة ولا أعرف عنها شيئا ونفى أن يكون للمخابرات الامريكية أى دور فمتل هذه الأمور من عمل مكتب شئون اللاجئين » كما نفى تكليفه لضباط من جهاز الأمن لتنفيذ العملية قائلا « أنا كرئيس للجهاز لاانزل إلى درجة رائد أو مقدم ولا علم لي بكل ماذكر في المحكمة من شراء سيارات واجهزة اتصال ، أما سفري لامريكا يوم ١٨ مارس فكان من أجل الحصول على مساعدات امريكية في اطار برنامج اعادة توطين اللاجئين والمواطنين الذين اصابهم التصحر ونفى أن يكون قد حصل على مبلغ مليونى دولار من الامريكيين لحسابه الشخصى وقال إن هذا المبلغ طلبه للمساعدة في انشاء مبنى جديد لجهاز أمن الدولة وهو مشروع وضع له حسابا خاصا في أحد بنوك بريطانيا وحول له مايعادل ٥ مليون جنيه سوداني هى حصيلة رسوم البطاقات الشخصية بأمر من الرئيس السابق كما كلف اللواء عثمان السيد بحمل رسائل إلى رؤساء اجهزة الأمن في الدول العربية للحصول على مساعدات تبلغ ٢٥ مليون دولار وقد وعدوه خيرا ، ولم يحصل على شىء .

لكن اقوال اللواء عمر الطيب ودفاعه عن نفسه لم يكن مقنعا للمحكمة .. ولم تفرق المحكمة في أن يحصل على اموال لنفسه أو لبناء جهار أمن الدولة طالما أنه حصل عليه مقابل عمل يضر بسمعة ومصلحة البلاد القومية .

حرصت المحكمة على أن يأتي المتهمون من سجن كوبر في حراسة مشددة وخصصت سيارة جيب خاصة حديدة للواء عمر ومعه حارس برتبة عقيد تتقدمه سيارة شرطة وخلفه سيارة عسكرية مسلحة وكان هذا الموكب يخترق شوارع الخرطوم من سجن كوبر حتى موقع المحكمة في كل يوم تعقد فيه حلسة من حلسات المحاكمة ، بينما خصصت سيارة « ستيشن » للمتهمين الباقين أو شهود الملك .

لم يكن يبدو أى قلق على المتهمين اثناء جلوسهم في قفص الاتهام ، احيانا يتبادلون الاحاديث مع المحامين أو يحيون الجالسين من الجمهور ورجال الاعلام ، وفي الايام الاولى من

المحاكمة كانوا يتبادلون الحديث مع اللواء عمر لكن القطيعة حلت بينهم وبينه عندما اصبح هو المتهم الوحيد وهم مجرد شهود اتهام ضده .. أما اللواء عمر فكان يحرص على أن يدخل قفص الاتهام ومعه قلما واوراقا وكأنه سيسجل اقوال الشهود أو ملاحظات ويتحدث بين وقت وآخر مع محاميه ، وفي احدى المرات ضجت قاعة المحكمة بالضحك عندما ذكر العقيد موسى اسماعيل أن اللواء عمر قال له بعد الانتهاء من نقل اليهود الفلاشا بالطائرات الامريكية « إنني كنت اسهر معكم بمسبحتي هذه » .. حتى اللواء عمر نفسه لم يمنع نفسه من الضحك .. وحدث أن انسحب احد المحامين من القضية بحجة أنه لم يطلع على كل وقائعها وتغيب المحامي أحمد دياب مرتين بسبب مرضه وتحول المحامي عبد العزيز شدو إلى نجم تليفزيوني باسلوب طرحه للأسئلة وصوته المميز ، أما قاضى المحكمة فحاز على اعجاب الرأى العام لما يتمتع به من حزم وحيادية في ادارة المحكمة والسيطرة على النزاعات القانونية التي تنشب احيانا بين هيئة الاتهام وهيئة الدفاع . من خلال الاعترافات والاجابة على اسئلة المحكمة واجوبة الشهود كانت الملامح التشخصية للمتهمين تبدو واضحة فاللواء عمر يبدو كأنه بريء تماما وأنه في دهشة مما يسمعه والذي لايعرف عنه شيئا رغم أنه رئيس جهاز أمن الدولة الذي مهمته الاولية أن يكون على علم بكل شيء ، أما العقيد موسى اسماعيل فيبدو نادما من شيء ما ، مستسلما للواقع الذي وجد نفسه فيه ، فغلب على صوته الرتابة والاعياء بينما يبدو العقيد الفاتح عروة مراوغا وذكيا وأكثر حيوية وثقة وخاصة في اجابته على اسئلة محامى المتهم الأول ، أما المقدم دانيال فرغم أنه من الجنوب من اقليم بحر الغزال فإنه يتحدث اللغة العربية بوضوح ويلتزم بالاجابة على قدر السؤال .. وبقى الرائد فؤاد بندر الذي بدأ حياته مدرسا ابتدائيا ثم انضم إلى جهاز الأمن ليجد نفسه متورطا في هذه القضية تنفيذا لتعليمات رؤسائه ، وقد بدا طوال الجلسات ملولا ، ينصرف عن المحكمة بالتأمل حوله ، وقد منع حضوره للمحكمة مرتين بأمر الطبيب لاصابته بالملاريا .

تلك كانت وجوه المتهمين وانعكاساتها وهم في قفص الاتهام ، وقد قبل القاضي بشهادة المتهمين الشهود واعتبرهم قد اوفوا تعهدهم واصدر قراره بالعفو عنهم .

ظلت المحكمة تواصل جلساتها اربع مرات كل اسبوع لمدة خمسة اشهر استمعت خلالها إلى نحو ٤٠ شاهدا بعد أن اختصرت عدد الشهود الذين اعدتهم هيئة الاتهام وعددهم نحو مائة شاهد وكان من بينهم ضباط امن سابقين مثل اللواء عثمان السيد واللواء كمال حسن أحمد واللواء الفاتح الجيلي نواب رئيس جهاز أمن الدولة ووزراء سابقين مثل على

تمو وزير الاعلام وهاشم عثمان وزير الخارجية وعلى يس وزير الداخلية وغيرهم ، وكان ابرز الشهود في هذه القضية الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب رئيس المجلس العسكري الذي ادلى بشهادته أمام المحكمة حول واقعة هبوط الطائرات العسكرية الامريكية في مطار العزازة وقد حاول اللواء عمر الطيب في الجلسات الأولى أن يزج بالقوات المسلحة السودانية في هذه العملية الأمر الذي اثار غضب الفريق سوار الذهب ، لأن اللواء عمر نفسه يعلم أن ذلك ليس صحيحا ، ولهذا فقد سعى الفريق سوار الذهب وهو رئيس المجلس العسكري لدى المحكمة أن يدلى بشهادته ، وبعد أن اقسم على المصحف بأن يقول الحق كل الحق قال إن أول معلومات علم بها حول نقل اليهود الفلاشا عندما كان نائبا للقائد العام وجاءته في معلومات من ضابط الاستخبارات العسكرية بوجود طائرات نزلت بالقرب من منطقة الشوك لتحمل افرادا واستنتج ضابط المخابرات أن يكون هؤلاء الافراد من اليهود الفلاشا ، ثم قدمت له هيئة الاتهام مستندا وهو عبارة عن تقرير رفعته ادارة الاستخبارات اليه بصفته نائبا للقائد العام في أول يناير ١٩٨٥ ومضمونه أن هناك مايدعو للشك بأن عمليات منظمة لنقل اللاجئين في مطار الخرطوم يعتقد انهم فلاشا ، وقال التقرير إن هناك اعتقادا بأن افرادا من جهاز أمن الدولة يقومون بهذا العمل ولابد من رفع الأمر إلى القائد العام ــ يقصد به الرئيس السابق ــ .

يقول الفريق سوار الذهب إنه قدم هذا التقرير إلى الرئيس السابق ودار بينهما حوار حول مضمون التقرير وابلغه الرئيس أن العملية ليست منظمة وانما هم لاجئون عائدون حصلوا على حق اللجوء إلى دول اجنبيه يأتون في شكل اسر تضم كل اسرة من ١٥ إلى ٢٠ فردا ثم يرحلون بالطرق العادية أى يكون معهم تأشيرات دخول لهذه الدول وتأشيرات خروج ومعهم وثائق سفر وجوازات .

وقد علق على ذلك قائلا إنه اقتنع بما قاله الرئيس وطالما الأمر كذلك فهو شيء عادي لأن اللاجئين في السودان من حقهم السفر إلى الخارج طالما انهم يحملون وثائق سفر وتأشيرات خروج ودخول واستبعد اعتقاد ضابط الاستخبارات العسكرية بأن يكون الأمر هو نقل منظم لليهود الفلاشا .

كذلك في العملية الثانية في شهر مارس ١٩٨٥ طلب منه الرئيس أن يعطى تعليماته الى قائد المنطقة العسكرية في القضارف بوصول طائرات عسكرية امريكية تحمل اغاثة لا يتعرضون لها وسيتولى امرها جهاز الأمن ، وعندما حاول اللواء عمر مرتين أن

يستوضح منه عن هذه « البلاوي » ، وكان يقصد اليهود الفلاشا ابلغه بأن الرئيس ابلغه فقط أنها طائرات امريكية قادمة تحمل معها مواد اغاثة للاجئين .

وقد دارت الأسئلة بين القاضي والفريق سوار الذهب على النحو التالي :

هل اوضح لك الرئيس نوعية هذه الطائرات إن هى عسكرية أم مدنية ؟

ــ أبدا .. قال فقط إنها طائرات امريكية معها اغاثة ..

هل كان يشير إلى نقل لاجئين ؟

لا ..

بحكم خبرتك العسكرية طائرات حربية تدخل اراضي دولة اخرى ومعها ناس ترتدي الزى العسكري الرسمي كيف تقيم ذلك عسكريا ؟

لايمكن أن يكون هذا مسموحا به إلا باتفاق مسبق ..

والموقف بالنسبة لاسرائيل ..

بالنسبة لاسرائيل اتصور كما هو معلوم وفي ميثاق الجامعة العربية واتفاقية الدفاع المشترك أن اسرائيل عدو للدول العربية ومن بينها السودان .

وانتهت اسئلة القاضي واعطى الاذن لمحامي المتهم الأول أن يطرح اسئلته على الشاهد ولم يكن لديه اسئلة يطرحها وإنما سجل تقدير هيئة الدفاع لدور الفريق أول سوار الذهب كشاهد لهذه المحكمة .

○ ○ ○

الفصـــل التاســع

المواجـهة

لقد كشفت محاكمة الفلاشا عن دور الولايات المتحدة الامريكية في نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ودور المنظمات الاوروبية التي تتخذ الاعمال الانسانية مثل اغاثة اللاجئين ستارا لها وكان أن خصصت السفارة الامريكية بالخرطوم قسما خاصة بها لهذا الغرض واسمته قسم رعاية شئون اللاجئين وعينت له شخصا من رجال المخابرات الامريكية يهودي الديانة يدعى جيرى ويفر ومعه اعوان آخرون ظل يعمل تحت اشراف مستر ميلتون مدوب المخابرات الامريكية بالسفارة .. كشفت المحاكمة ايضا عن الواقع السياسي والاخلاقي الذي كان يسيطر على ادارة النظام السابق في السودان الذي وجد في التسيب السياسي العام الذي يحكم المنطقة كلها ثغرة ومبررا كى يتعامل مع المخابرات الامريكية والاسرائيلية وخاصة بعد زيارة الرئيس السابق انور السادات إلى القدس واتفاقية كامب ديفيد وكشفت عن الجانب النفسي لضباط الأمن السوداني الذين شاركوا في تنفيذ هذه العملية ودلت على وجود خلافات وصراعات كانت قائمة داخل جهاز الأمن السوداني نفسه ، وقد اخترنا من وقائع المحاكمة جوانب كأمثلة على هذه الحقائق منها الحوار الذي دار بين محامي المتهم الأول والعقيد الفاتح عروة ، والمناورة بين القاضي وعروة ، ورؤية اللواء عثمان السيد نائب رئيس جهاز الأمن السوداني الذي كانت العلاقة بينه وبين اللواء عمر يشوبها نوع من عدم الود ..

ونبدأ بشهادة الفاتح عروة التي جرت يوم ١٠ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٥ على السحو التالي :

محامي اللواء عمر : يافاتح .. في اقوالك قلت إنك ماكنت مقننع انهم ماشين لاوروبا وامريكا .. على أى اساس بنيت عدم اقتناعك ؟ ..

الفاتح : أنا لم اقل عدم اقتناعي قلت عدم ارتياح .. ولم اعرف سببا لعدم ارتياحي هذا .. احيانا يكون الانسان لديه احساس بعدم ارتياح من شيء ما .

المحامي : هل نقلت شعورك هذا لاى مسئول ؟

الفاتح : ابدا ..

المحامي : في اجابة بذلك على سؤال وجهته المحكمة لماذا لم يخطر ببالك أن الموساد شغال في هذه العملية وذكرت أن دور الموساد كان يتم من وراء ظهر السلطات هل عندك علم بأن الموساد شارك في عملية موسى ؟

الفاتح : ابدا ..

المحامى : حسب الاقوال .. هل طلب اللواء عمر مساعدة لنفسه ؟

الفاتح : مانقل لى أن هذه المساعدة لبناء الجهاز وليس لشخصه ..

المحامي : مامدى علمك بالمشروع المتعلق ببناء الحهاز ؟

الفاتح : عن البناء .. اذكر أن حكاية البناء هذه وردت مرتين أو ثلاثة اذكر منهم عندما طلب مني « هاشم » سكرتير اللواء عمر أن اخصص سيارة لخبراء لفحص تربة أرض مبنى الجهاز ، وخلال عام ١٩٨٤ طلب منى اللواء عثمان السيد أن اعد خطابات موجهة لبعض رؤساء اجهزة الأمن في الدول العربية نطلب فيها دعما لبناء الجهاز الذي تقدر تكاليفه بنحو ٣٥ مليون جنيه .

المحامي : متى ذكر لك جيري ويفر موضوع المليونى دولار ؟

الفاتح : في نهاية نوفمبر أو بداية ديسمبر ، يعنى في اوائل العملية ..

المحامي : ذكرت أنه قبل السفرية الاخيرة وهى الرحلة رقم ٢٧ اذاع راديو لندن نبأ وصول الفلاشا إلى اسرائيل ، هل سمعتها انت شخصيا :

الفاتح : شخصيا ما سمعتها .. موسى بلغني ..

المحامي : اين بلغك

الفاتح : في المطار

المحامي : وكان جيري ويفر في المطار ؟

الفاتح : نعم كان موجود

المحامي : من اتخذ قرار الغاء السفرية بعد اذاعة الخبر من راديو لندن ؟

الفاتح : المتهم الثالث العقيد موسى ..

المحامي : هل شاركت في اتخاذ القرار ؟

الفاتح : هو اتخذ القرار وأنا وافقته على ذلك .

المحامي : قلت إن جيري ويفر كان بالمطار وابلغ بالغاء السفرية .. كيف ابلغتموه ؟

الفاتح : كانت الطائرة عاملة « تيك اوف » وقلنا له ماعايزين طائرات تأتي .

المحامي : هل يستطيع الضابط المكلف بالتنفيذ الغاء مثل هذه العملية دون العودة إلى الرئاسة ؟

الفاتح : الموقف يعتمد على الظروف ، وله أن يتخذ القرار الملائم ..

المحامي : يا فاتح .. خلال شهر مارس ١٩٨٥ عرفت أن مبلغ المليونى دولار ستدفعه منظمات يهودية هل نقلت علمك هذا للمتهم الأول ؟

الفاتح : اطلاقا ..

المحامي : هل ابلغت أحد في الجهاز بعلمك هذا ؟

الفاتح : اخطرت عثمان السيد وقلت له إن هناك عملية اخرى ستتم وأن الاموال ستدفعها منظمات يهودية وما مفروض أن اكون أنا عارف العملية .

المحامي : ذكرت أنه بعد الغاء العملية حضرت محادثة للمتهم الأول مع الرئيس السابق .. كيف عرفت أن هذه المحادثة مع الرئيس السابق ؟

الفاتح : « مندهشا » ــ كان يقول له سيادتك .. مش عايزه شرح عشان أقول لك كيف يكون حاله وهو يتكلم مع الرئيس .. مع بهاء « وزير شئون الرئاسة » يقول له يادكتور ، ولما يكلم الفريق سوار الذهب يقول له ياشيخنا .. ولما كلم بهاء قال له .. أنا لسه كنت بتكلم مع الرئيس ..

المحامي : ذكرت أنه بعد قرار الغاء السفرية طلب السفير الامريكي وميلتون عن طريق عثمان السيد مقابلة المتهم الأول ..

الفاتح : لم اقل ذلك اطلاقا ..

المحامي : (يقرأ من اوراق امامه : حضر ويفر إلى عثمان السيد)

الفاتح : قلت ميلتون وويفر شرح كيف اذيع الخبر من راديو لندن وأن السفير الامريكى يريد أن يوضح الأمر للمتهم الأول ..

المحامي : يهوذا دومنييتر .. تحدثت عن شخص بهذا الاسم .. من اين لك هذا الاسم ؟

الفاتح : ذكر ويفر اسمه امامى ، وجاء في شريط ارسله القنصل يتضمن تصريحات ادلى بها يهوذا إلى اذاعة لندن وويفر حمله مسئولية نشر العملية .

المحامي : تحدثت عن احاسيسك بسبب توجيه تهم ربطتك أنت وموسى بعملية الترحيل ارجو أن توضح الاسباب لماذا اتهمك زملاؤك في الجهاز انت بالذات ؟

الفاتح : لأنه أنا مشارك في العملية ..

المحامي : هل اصابع الاتهام تحيطك ؟

الفاتح : أول ماطلع الكلام اشارت الاصابع لى أنا وعثمان السيد وقالوا عملوها مع الامريكان وقالوا أنا اخذت كم .. فتوجهت غاضبا وشاكيا للواء عمر .. بعد يومين ثلاثة قالوا أنا وموسى شغالين في العملية حتى قالوا عنه موسى ديان .. وهذه الاشاعات التي سرت في الجهاز تحدث عنها اللواء عمر في اجتماع تنويري لضباط الجهاز .. وأنا اتكلمت وشرحت أنه ماعندنا دخل بالفلاشا واسرائيل وأن هؤلاء لاجئين مثلهم مثل أى لاجئين آخرين لانه بعدين بكره نميري ينط من العملية دي ويقول أنا مالي ..

المحامي : جاء في اقوالك إن موضوع الفلاشا وصل لنهايته ماذا تعنيه بهذه العبارة ؟

الفاتح : قلت اعتبر أن ملف الفلاشا قفل بالنسبة لى .. وقال المتهم الأول لو الامريكان طلبوه منى سنقول لهم اذهبوا للأمم المتحدة ومنظمات اللاجئين لكن بعد اسبوع فتح ميلتون الموضوع معه مرة اخرى ..

المحامي : ذكرت انك قلت للواء عثمان السيد انك لن تشترك في اى عملية اخرى وستحرض أى ضابط الاشتراك في اى عملية اخرى .. حدث هذا قبل الاجتماع التنويري للواء عمر مع الضباط أم بعده ؟

الفاتح : اظن بعد الاجتماع .. وبعد ماجاء ميلتون ومعه تصريح نميري للصحيفة الامريكية بموافقته على نقل بقية الفلاشا .. وقال ميلتون عاوزين نواصل ..

المحامي : يافاتح .. تحدثت عن تنظيم داخل الجهاز فهل كان ذلك سابقا للعملية ؟

الفاتح : لم اتحدث امام المحكمة حول هذا الموضوع ، وإنما ادليت به في لجنة التحقيق ..

رئيس هيئة الاتهام : اعترض على هذا السؤال لسرية الموضوع خاصة أنه لم يأت ذكره في المحكمة والمتهم مسئول عن اقواله التي اقسم عليها اليمين وهذا الموضوع جاء في لجنة التحقيق ..

المحامي : والدفاع عن المتهم الأول يصر على سماع هذه القصة فربما كان المتهم يعمل على ترويج اشياء ضد المتهم الأول أو ضد الجهاز .

الاتهام : نحن مقيدون بنصوص اجراءات خاصة واسئلة الدفاع مقيدة بما ادلى به

المتهم امام المحكمة .

رئيس المحكمة : موجها حديثه للاتهام : دعونا نستكشف غرض الدفاع .

المحامي : تنظيم داخل الجهاز هل كان سابق لعملية الفلاشا أو بعدها ..

رئيس المحكمة : ـــ متدخلا ـــ المتهم اوضح أنه مسئول عن اقواله التي اقسم عليها .

المحامي : الشاهد مازال متهما إلى ن تصدر المحكمة قرارها .. يبقى عنده اقوال في الكاسيت الذي تلى علينا وما سجله المتحري ، ونحن في اسئلتنا له نحاول أن نسجل كل الأقوال .

رئيس المحكمة : يعترض ، لم يسمح له بتوجيه السؤال ..

المحامي : التنظيم سابق أم لاحق عن العملية .

الفاتح : سابق .. قلت التنظيم دا يكون قبل احالتى للمعاش ..

المحامي : لا اريد تفاصيل

(فترة مداولة)

المحامي : الترويج قبل العملية أم بعد العملية .

الفاتح : ترويج ايه !

المحامي : قلت الترويج ضد هذه العملية تم في ديسمبر أم في يناير ؟

الفاتح : الترويج بدأ بعد أن اتضح أن هؤلاء الفلاشا ذاهبون إلى اسرائيل وأن الرئيس نميرى وراءها شخصيا .. وبالتحديد الهدف من الترويج أنه ماتجيى الدولة تتنصل منها ..

المحامي : حماية لانفسكم أم للبلد ؟

الفاتح : كشف للنظام .. وليس حماية ..

المحامي : أنت كنت عضو في تنظيم مناوىء .

الفاتح : صح ، حصل .

المحامي : تحدثت عن اعتقال بنى عمومتك . هل لهذا التنظيم علاقة بالاخوان المسلمين ؟

الفاتح : اطلاقا .

المحامي : وردت اشارة في أقوالك عن اجتماع تم في الصافية وحضره الدكتور الترابي هل أنت الذى أبلغ عن هذا الاجتماع ؟

الفاتح : عنده مصادره وليس أنا الذى ابلغت ..

المحامي : في اقوالك ذكرت أن اللواء عثمان العبد طلب منك أن تحصر أى اجتماع يتعلق بالفلاشا للتأريخ

الفاتح : حصل .

المحامي : ارجو أن توضح مايعني ذلك ، وهل حضرت بعد هذا الكلام ؟

الفاتح : مايعنى ذلك هذا يخصه لوحده وماقتله في الاجتماع يتصل بي فكلما يجيء ذكر عملية نقل الفلاشا يقول لي « الكربهة جاءت » كنا نصف العملية « بالكريهة » .

المحامي : في المرحلة الثانية وبعد انتهاء المرحلة الأولى ، وبعد أن حاء ميلتون يحمل قصاصة تصريح الرئيس السابق .. مع من كانت تحرى اتصالات الامريكان ؟

الفاتح : متسائلا — من أى ناحية ؟

المحامي : مع من التقى وهو يحمل القصاصة ؟

الفاتح : بعثمان السيد

المحامي : مع من كانت تجرى اتصالات الامريكان ؟

الفاتح : من تقصد بالامريكان ؟

المحامي : أنت قلت الامريكان .

الفاتح : كانت تتم مع الرئيس والنائب الأول والدكتور بهاء الدين ادريس .

المحامي : والجهاز ؟

الفاتح : كان عثمان السيد يقول لهم روحوا للرئيس أو النائب الأول .

المحامي : الادعاء أو القول إن الاتصالات كانت تتم .. هذا عن نقل أو عن علم ؟

الفاتح : هم يقولوا بالامس كنا مع الرئيس أو النائب الأول .. جيري ويفر قال إن الرئيس السابق ذكي جداً « **very smart** » لأنه طلب طائرات امريكية لنقل الفلاشا .

المحامي : ليه سمارت ؟

الفاتح : ويفر قال كده وقال إن نميري وضعنا في موقف صعب لأن الامريكان كانوا يريدون نقلهم على طائرات تجارية .

المحامي : هل تعتقد أن الطائرات العسكرية مسئولية امريكية والتجارية غير ذلك ؟

الفاتح : الرئيس رأيه أنه مايهمه فلاشا أو غير فلاشا ، يريد أن يكون تعامله مع الامريكان والامريكان يرحلونهم أينما ارادوا ..

(رئيس المحكمة يحرص على كتابة اقوال الفاتح ويتداول مع عضوى اليمين واليسار)

المحامي : لو كانت الاتصالات تتم عن طريق الرئيس السابق ماذا تمثل اذن اتصالات

الامريكان واجتماعاتهم مع عثمان السيد ومعك ؟

الفاتح : الامريكان كانوا يعتقدون أن عثمان السيد عنده صلة مع النائب الأول .. حسب علمي أنهم متصورين أنه في الصورة ..

المحامي : قلت إن ويفر جاء اليك في المكتب وطلب منك ابلاغ المتهم الأول رسميا إنهم يعتقدون أن الدكتور بهاء يلعب بهم ويحاول يعمل صفقة بمفرده مع اليهود .

الفاتح : الجماعة دول بيفتكروا أن د . بهاء يحاول يلعب بيهم .. وقال لي ويفر إن العملية الأولى كان بهاء بعيد .. وكنا مبسوطين .

المحامي : ما المقصود من ابلاغك بهذه المعلومات ؟

الفاتح : لا تخصنى في كثير أو قليل ، مطلوب أن ابلغه وابلغته .

الفاتح : الترتيبات التي اتخذت لسفر المتهم الأول لامريكا واجتماعه مع مدير المخابرات الامريكية مستر كيسى من قام باعدادها وهل كنت مشارك فيها ؟

الفاتح : أنا لم اشارك فيها .. هم الامريكان وصفوها وسلموها للمتهم الأول .. كل شيء كان معد ومرتب قبل سفره .. هذا ماعرفته من جيري ويفر أنهم ، أى الامريكان يحصلوا على موافقة الرئيس ويسافر اللواء عمر إلى امريكا للاجتماع مع مستر كيسى وذكر لى ويفر أن الزيارة لأن كل شيء معد من قبل .. وأن عشر طائرات من طراز « **C.130** » ستأتى وتنزل في مطار بالقضارف وسحضر مواد تموينية للتمويه .

المحامي : هل تستطيع أن توضح الاسباب التي جعلت ويفر ينقل لك كل هذه الاشياء ؟

الفاتح : لأنه كان يتصور أنه أنا وموسى مشاركين في العملية ، غير هذا شيء يخصه وحده .

المحامي : ماذا تقصد بهذه العبارة « شيء يخصه وحده » ؟

الفاتح : قد يكون ثرثار وكثير الكلام .

المحامي : يافاتح .. متى عدت للسودان ؟

الفاتح : تقصد بعد سفري إلى بون وامريكا أم من اثيوبيا عندما كنت ملحقا عسكريا ؟

المحامي : الأخيرة

الفاتح : عدت في ١١ /٥/ ١٩٨٥

المحامي : من أين ؟

الفاتح : من امريكا عن طريق بون على خطوط سويس اير .

المحامي : كيف تم اعتقالك وبواسطة من بعد عودتك ؟

الفاتح : كان هناك علم بوصولي ، وقابلني العميد الهادي بشرى واخذوني من المطار وأمضيت الليلة في المنطقة المركزية ، وكونوا لجنة للتحقيق في قضية الفلاشا في شهر رمضان واحضروني إلى مقر لجنة التحقيق .

المحامي : متى نوقش معك موضوع العفو ؟

(الاتهام يتدخل محتجا على طرح السؤال)

القاضي : المحكمة لا تعرف أى اتجاه للاسئلة ، توفيرا للزمن على محامي المتهم الأول أن يوضح لنا الهدف من هذه الاسئلة .

المحامي : عرض العفو جعل منه شاهدا ، ومن حقنا أن نحمي المتهم الأول من اقوال المتهم الثاني كشاهد وعندنا حق في الطعن باجراءات العفو وعشان كده بنسأل هذه الاسئلة .. وكل سؤال نسأله له هدف ولست مضطرا أن اكشف ..

القاضي : المحكمة من حقها السيطرة على الاستجواب وإعادة الاستجواب ولذلك المحكمة يمكن أن تسأل الدفاع أو الاتهام عن الغرض من الاسئلة بحيث تقرر أن الاسئلة مسموح بها أم لا ..

ممثل الاتهام : كل المراجع البينية تشير أن مفاوضات عرض العفو ليست جزءا من اليمين ولا يجوز الكشف عنها . له حق الطعن في هذه الاجراءات أمام المحكمة ولا يقول نريد أن نعرف الاغراء والاكراه كي يعمل به الطعن والمحامي .. قال إنه يريد أن يحدد دور المتهم ومشاركته في هذه التجاوزات التي يريد أن يطعن فيها ولايكتفي بهذا .. بل يفصح عن نيته في تجريمه .

المحامي : مع احترامي للمحكمة لا اسعى للدخول في التفاصيل أو سلطة النائب العام .. ما أريد أن اعرفه من الشاهد المتهم متى عرض عليه العفو وكيف تم عرض العفو عليه وهى عملية مشروعة ، وكان المفروض أن اجراء العفو يعرض في هذه المحكمة .. ونلتمس من المحكمة طرح الاسئلة .

(المحكمة توافق على توجيه الاسئلة ويواصل المحامي اسئلته)

المحامي : موجها اسئلته للفاتح : من سعى للعفو هل اللجنة أم أنت ؟

الفاتح : اللجنة دعتني وعرضت على .. لم اطلب منهم وقبلته .

المحامي : يا فاتح .. هل العفو كان يتعلق بما ادليت باقوال سابقة ؟
الفاتح : العفو يتعلق بكل شيء ..
المحامي : اين كنت خلال التحقيق معك ؟
الفاتح : في أحد معسكرات القوات المسلحة .
المحامي : هل قابلت المتهمين الآخرين ؟
الفاتح : قابلتهم اثناء المواجهة .
المحامي : طوال فترة التحقيق كنت في منزل تشرف عليه لجنة التحقيق ..
الفاتح : لا .. في معسكر بالقوات المسلحة ..

ممثل الاتهام : منفعلا ــ اكرر للمرة الرابعة إننا نعمل بموجب اجراءات خاصة المقصود منها التعطيل فإما أننا نستهين بقرارات المحكمة أو نتعامل معها بعدم جدية ..

رئيس المحكمة : سبق أن بحث هذا الأمر وإذا كان لدى محامي المتهم الأول اسئلة اخرى فليسأل ..

المحامي : هناك معسكرات كثيرة للاجئين ، هل الفلاشا توجد في جميع المعسكرات ؟

الفاتح : هذا ليس من اختصاصي .. ماعندي علم ..

المحامي : تحدثت عن الجانب الانساني لانقاذ الفلاشا .. ماذا تقصد بالجانب الانساني ؟

الفاتح : حسب التوضيح الذي قاله المتهم الأول بتوجيه الرئيس السابق نريد أن نبرز الجانب الانساني في السودان الذي اتهم من قبل الرأى العام الامريكي بأنه نظام غير انساني يقوم بقطع الايدي ويطبق الشريعة .

الفاتح : في اقوالك التي وردت في الشريط (الكاسيت) الذي تم عرضه على المحكمة قلت طلب منك رئيس الجهاز وضع تصور أو خطة .. ماذا تعنى ؟

ممثل الاتهام : اقوال المتهم في الشريط ليست موضوع للاسئلة ..

رئيس المحكمة : هذا صحيح .. سمحت لك للتوضيح .. أنت تسأل اسئلة سبق أن سألتها ..

المحامي : يكتفي باسئلته ..

ويأتي دور رئيس المحكمة :

القاضي : في العملية الأولى ماذا كان اعتقادك ؟

الفاتح : إن هؤلاء اللاجئين مسافرون إلى اوروبا وامريكا ضمن برنامج اعادة التوطين .

القاضي : الم يدر بخلدك انهم بعد ذلك سيرحلون إلى اسرائيل ؟

الفاتح : لا لم يخطر ببالي هذا .

القاضي : لما موسى اسماعيل المتهم الثالث قال لك نوقف الحكاية دى أنت وافقت على الفور .. لماذا ؟

الفاتح : لأنه اتضح لنا انهم ماشين لاسرائيل

القاضي : يعنى أنت تريد أن تقول لم يخطر ببالك ابدا أن هؤلاء اليهود بعد أن يرحلوا إلى اوروبا وامريكا يرحلوا إلى اسرائيل إلا لما موسى اسماعيل ابلغك بما اذاعته اذاعة لندن ؟

الفاتح : بالنسبة للمجموعة الذين نرحلهم هناك نوعان ..

القاضي : مقاطعا — ألا أريد نوعين .. أنا اتكلم عن اليهود الفلاشا سواء رحلتوهم انتم أم غيركم — صنف اسم الفلاشا .

الفاتح : كلهم ؟

القاضي : كلامي واضح .. أنت تريد أن تقول ..

الفاتح : أنا ..

القاضي : اسمع السؤال للآخر .. لم يخطر ببالك انهم ذاهبون لاسرائيل إلا عندما ابلغك موسى ؟

الفاتح : بالنسبة لى أنا مارحلتهم .. فيه ناس مشوا من اثيوبيا رأسا وآخرون عن طريق عمليات سرية . بالنسبة لمن سافروا من اثيوبيا الى اسرائيل تم بناء على اتفاقيات مع اسرائيل واثيوبيا .. وأنا متأكد من ذلك حسب معلوماتي .. وبالنسبة للسودان عن طريق غير عمليتنا هذه من المؤكد انهم دخلوا اسرائيل .

القاضي : اذن حسب كلامك بالنسبة لمن رحلتوهم لم يذهبوا لاسرائيل .

الفاتح : نعم

القاضي : هل تشرح لنا لماذا ذهب الفلاشا الذين رحلوا عن غير طريقكم إلى اسرائيل والذين عن طريقكم لم يذهبوا إلى اسرائيل ؟

الفاتح : لقد سبق أن اوضحت المسائل الخاصة بالاتجاه الامريكى في تعاملهم مع الفلاشا .. الضغط الذي وقع على السودان كى يرحلوا الفلاشا .. الامريكان عاوزين يحسنوا

انفسهم امام الرأى العام في السودان يقولوا إن هدفهم هو اخراجهم من هنا وليس إلى اسرائيل .

القاضي : تريد أن تقول إن هذه سياسة امريكية ؟

الفاتح : أنا متأكد أن هذه سياسة امريكية .

القاضي : ألا توافق أن واقع الأمر أن الأمريكيين رحلوا ناس لاسرائيل فعلا ؟

الفاتح : واقع الأمر أن ..

القاضي : ــ مقاطعا ــ دقيقة .. دقيقة .. إذا كانت السياسة الامريكية يرحلوهم لامريكا كى لا يموتوا جوعا وحدث أن رحلوهم إلى اسرائيل اذن كيف تكون سياستهم .. هل غيروا رأيهم ؟

الفاتح : أنا فهمت سياستهم حسب معطياتي وقتها .. أما اتفاقيات بين امريكا واسرائيل ، وجايز يكون تحليلي غير صحيح أو ضغوط أو غيروا سياستهم .

القاضي : أنت قلت إنك كنت عارف أن الموساد رحل كمية من الفلاشا بطريقته من السودان دون علم جهاز امن الدولة .. كنت عارف الحكاية دى ؟

الفاتح : نعم

القاضي : اذن يكون من باب اولى لو كانت سرية صحيح الا يتدخل فيها الجهاز ؟

الفاتح : أنا اعتقد أن الجهاز كله ماكان يجب أن يكون له علاقة ..

القاضي : دعنا الآن .. من باب اولى لو كانت سرية ماكان يجب أن يتدخل فيها الجهاز ؟

الفاتح : نعم

القاضي : وقلت إن هؤلاء الناس يمشوا من المطارات بشكل عادي ويمرون دون أن يمنعهم شيء . وقلت إن في الظروف السرية هذه إن السفير الامريكي شخصيا جاء بنفسه في احدى المرات وحضر عملية الترحيل ، وقلت إنه بحكم عملك ومنصبك تعرف أن ميلتون رجل المخابرات الامريكية في السودان وقلت إن ميلتون هذا كان يشرف على هذه العملية ؟

الفاتح : أنا لم أقل هذا .. علاقتنا قطعت بعد أن اوصلني لجبري ويفر .

القاضي : جميل .. اوصلكم هو .. هل كان من الممكن أن تصلوا اليه دون ميلتون هذا ؟

الفاتح : أنا لا أقرر هذا

القاضي : من يقرر اذن ؟

الفاتح : نتصل بالخارجية

القاضي : أنا اتكلم عن عمل استخبارات .. اليست هذه العملية عملية استخبارات .

الفاتح : لا ليست عملية استخبارات .. بالنسبة لي اعتبرها عملية امنية

القاضي : اشرح لنا الفرق بين الأمن والاستخبارات ؟

الفاتح : المخابرات تعنى المعلومات التي يتم جمعها وتصنيفها وتحليلها للوصول إلى معلومات كما تشمل النشاط الذي يتبع لجمع هذه المعلومات وكلها عمليات ايجابية ، أما الأمن فهى الاجراءات والترتيبات سواء كانت سلبية أو ايجابية لتأمين شيء ما أو الحفاظ عليه وتسمى اجراءات وقائية .

القاضي : جميل .. حسب هذا التعريف هذه العملية كانت تأمين سرية الترحيل

الفاتح : نعم

القاضي : لتأمين سرية الترحيل انتم كجهاز اوكل لكم هذا الأمر ماهى حاجتكم لتتصلوا بمندوب المخابرات الامريكية لتأمين الترحيل فقط .

الفاتح : كى يوصلنا لمندوب اللاجئين فقط وليس هو مباشرة نحن لا نتصل بالسفارة الامريكية مباشرة .

القاضي : لماذا لم تتصلوا بالخارجية كى تتصلوا بمندوب اللاجئين الم يكن هذا ممكنا ؟

الفاتح : لا استطيع أن احدد الاجابة على هذا السؤال لأنى لااعرف الظروف .

القاضي : أنا قلت لك من ناحية الامريكان ؟

الفاتح : أنا اتصلت عشان جاءتنى تعليمات لا أعرف الظروف .

القاضي : انتم مكلفين بتأمين العملية ولهذا تريدون الاتصال بمندوب اللاجئين ؟

الفاتح : غير .. لا .. مش كده .

الفاتح : تتصلوا من اجل ماذا .. قبل أن تعرفوا انكم مقدمين على تنفيذ العملية ؟ انتم اصحاب الحاجة .

الفاتح : لا نحن لسنا أصحاب الحاجة

القاضي : نرجع تاني .. تتصلوا بمندوب اللاجئين عن طريق رجل المخابرات لماذا لم يتم الاتصال عن طريق الخارجية ؟

الفاتح : الاتصال تم كى نعرف ماهو المطلوب مننا وماهو دورنا ..
القاضي : الموضوع واضح ١ + ٢ + ٣ أنت وافقت على واحد واثنين ، تريد أن تقول أنك عرفتم انكم مكلفين قبل تأمين العملية ؟
الفاتح : ليس هكذا ..
القاضي : طيب لماذا ذهبتم له ؟
الفاتح : كى نعرف خطتهم
القاضي : هذا معروف كى تنفذوا الترحيل ؟
الفاتح : نساهم ونشرف على عملية الترحيل ونعرف خطة الترحيل .
القاضي : من اجل ماذا ؟
الفاتح : من اجل معرفة الخطة التي وضعوها .
القاضي : اذن انتم تعرفون دوركم
الفاتح : نشرف على العملية ودورنا بالضبط لا نعرفه ..
القاضي : حكاية انكم زرتم السفارة من اجل التأمين
الفاتح : الاشراف
القاضي : طيب ماذا تعنى بالاشراف
الفاتح : تحت مظلة الجهاز
القاضي : يعنى ماذا ؟ تعطوا لهم تذاكر
الفاتح : لما مشيت فهمت أنه اشراف تحت مظلة الجهاز ..
القاضي : في تقديرك كرجل أمن هذه العملية الخاصة بترحيل اليهود تعتقد من يهتم بها أكثر الموساد أو السي أى ايه .
الفاتح : اعتقد الكيان الصهيوني كله
القاضي : بالتحديد ذكرت الموساد والسي أى أيه .. من صاحب المصلحة الحقيقية ؟
الفاتح : الموساد
القاضي : ومع ذلك لم يخطر ببالك اصلا أن هؤلاء غير ذاهبين لاسرائيل ؟
الفاتح : لأن الاهتمام الذي جاءنا من امريكا .
القاضي : أنا قلت من المتهم الموساد أو السى اى ايه وقلت أنت الآن الموساد وقلت إن العمليات الأولى التي كانت تتم دون علمكم كان وراءها الموساد الم يخطر ببالك أن هذه

العمليات التي قمتم بها وراءها الموساد ؟

الفاتح : لا .. لأني اعرف خلفيات السياسة الامريكية .. ممكن يكون أن اسرائيل مهتمة ..

القاضي : جميل .. يعنى أنت اقتنعت أن اسرائيل هى صاحبة المصلحة وتريد أن تقول إن الموساد ليس له مصلحة .

الفاتح : الموساد شغله كبير .

القاضي : تريد أن تقول إن هذه الحكاية عملت فيها المخابرات الامريكية .

الفاتح : لا .. اشتغلت فيها الحكومة الامريكية واسرائيل .

القاضي : ألا تعتقد أن جيري ويفر ليس له علاقة بالسى أى ايه

الفاتح : اعتقد أن لا علاقة له بالسى اى ايه .

القاضي : أنت قلت إن اسرائيل هىَ صاحبة المصلحة الحقيقية وقلت إن جيري ويفر قال لك العملية جاهزة ومتفقين على التفاصيل ، هل ذكر لك اين سيذهب الفلاشا بعد ذلك ؟

الفاتح : لم يذكر لي وأنا لم اسأله ، كنت مقتنع أن اى عملية بعد أن انكشفت العملية الأولى تذهب إلى اسرائيل واستطيع أن اوضح ذلك .

القاضي : وضحها ..

الفاتح : أولا بالنسبة للمجموعة الأولى التي رحلت وعددهم ٦ آلاف وباقي هذه المجموعة اقل من الف هم بواقي الاسر التي رحلت من الصعب جدا في هذه الحالة أن اتصور انهم ضمن برنامج اعادة التوطين الخاص بامريكا ، طبيعي لازم يلحقوا باسرهم الذين ذهبوا إلى اسرائيل .. ثانيا بعد وصول مجموعة الفلاشا الأولى لاسرائيل عانى الكيان الصهيوني من بعض الغضوط مما ادى لانقطاع بعضهم عن بعض ، وكانوا الفلاشا في اسرائيل يعلموا أن الصحافة هى التي كشفت سفرهم إلى اسرائيل فكانوا كلما التقوا بهم يقولون لهم ابعدوا عنا .. أنتم الصحفيون سبب المشاكل ، في الفترة التي جاء فيها بوش للسودان بعد أن قال لهم نميري تعالوا انقلوهم ذكر الامريكيون أن الادارة الامريكية تواجه ضغوطا من المنظمات اليهودية بضرورة الحاق بقية الفلاشا المحجوزين في المعسكرات شرق السودان إلى ذويهم في اسرائيل ، وهذه الضغوط كانت السبب الرئيسى الذي جعل الادارة الامريكية ترضخ لطلب الرئيس السابق نميري بأن ينقلوا على طائرات عسكرية ولم يكن هناك مجال كى يذهبوا إلى امريكا .

القاضي : يعنى كلامك هذا أن رئاسة جهاز الأمن والمتهمين يعلمون جيدا أن العملية الثانية للترحيل إلى اسرائيل .

الفاتح : اعتقد ذلك

القاضي : بالنسبة للعملية الأولى هل تعتقد أن امريكا استطاعت أن تغشكم .. وتغش جهاز أمن الدولة كله لأنكم اعتقدتم انهم سينقلون إلى امريكا واوروبا ثم نقلتهم إلى اسرائيل .

الفاتح : اعتقد أنها نجحت في ذلك

القاضي : تغشكم ؟

الفاتح : تغش القيادة السياسية والجهاز ، هذا اذا لم تكن القيادة السياسية تعلم .

القاضي : النقاش الدي دار بينك وبين المتهم الثالث موسى اسماعيل حول اختيار مطار الخرطوم أو مطار وادي سيدنا العسكري .. هل تذكره ؟

الفاتح : هذا النقاش دار في المرحلة الأولى ، عندما جاءني واخطرني بالتعليمات .

القاضي : يعنى قبل أن تذهب للسفارة الامريكية

الفاتح : نعم

القاضي : ماذا جرى في النقاش

الفاتح : وردت ذكر مطار وادي سيدنا .. نبحث كيف سيرحلهم الامريكيون عن طريق وادي سيدنا أو مطار الخرطوم وأنا استبعدت وادي سيدنا ..

القاضي : وشرحت اسبابها

الفاتح : نعم

القاضي : وماهى ؟

الفاتح : كانت هناك حملة ضدنا وكنا نخشى أن يكونوا فلاشا ونحن نعلم أنهم سيرحلون إلى امريكا في برنامج توطين اللاجئين ، إذا اتهمنا باستخدام وادي سيدنا تأخذ الحملة علينا بعدا اكبر .

القاضي : ومع ذلك تقول إنكم لم تكونوا تعرفوا قبل أن تذهبوا لجيري ويفر .

الفاتح : هو قال ::

القاضي : مقاطعا ــ تعرفوا أو لا تعرفوا

الفاتح : كنا نعرف أن الموضوع ترحيل فلاشا باشراف الجهاز .

القاضي : يعنى كنتم تعلمون من قبل أن تذهبوا لجيري ويفر ؟

الفاتح : نعم

القاضي : ـــ وعلى الرغم من كل هذه الظروف تقول ماكنت مرتاح ولا تريد أن تقول لماذا ؟

وانتهى القاضي من اسئلته وجاء الدور على موسى اسماعيل ..

○ ○ ○

الفصـل العاشـر

« الاعتراف »

روى موسى اسماعيل امام المحكمة تفاصيل دوره في هذه العملية منذ أن كلفه اللواء عمر الطيب في اكتوبر « تشرين أول ١٩٨٤ » بالاشراف على عملية نقل يهود اثيوبيين إلى الولايات المتحدة الامريكية على طائرات خاصة في اطار عملية سرية وكلفه بالاتصال بزميله الفاتح عروة والذهاب معا إلى السفارة الامريكية لمقابلة جيري ويفر مسئول مكتب شئون اللاجئين بالسفارة وتوالت عليه الاسئلة من ممثل الاتهام :

ممثل الاتهام : أنت قلت استدعاك المتهم الأول .. عندما كلفك بهذا الموضوع من كان معكما ؟

موســى : لم يكن هناك احد .

ممثل الاتهام : ماذا حدث عندما توجهتم للسفارة الامريكية ؟

موســى : ذهبت أنا والفاتح إلى مكتب ويفر وعرفنى عليه مستر ميلتون ولم أكن اعرفه شخصيا وإنما فقط من الاوراق التي تأتي من معتمد اللاجئين ، قلت له إن اللواء عمر وجهنا بخصوص ترحيل الفلاشا لامريكا واوروبا ونعرف ماهى خطتكم وماهو دور الجهاز فيها ، وذكر لي ويفر أن عندهم خطة جاهزة واخرج ورقة مطبوعة بالانجليزية وراح يقرأ منها وكانت هى الخطة ..

ممثل الاتهام : ماذا كنت تعرف عن ميلتون ؟

موســى : في أول الأمر لم أكن اعرف عنه شيئا ، وسألت عنه الفتح فقال لي هو مندوب المخابرات الامريكية المعتمد عندنا في الجهاز ، وكنت قد قابلته مرتين في مكتب الفاتح دون أن اعرفه ..

ممثل الاتهام : قلت إنك اتفقت مع المتهم الثاني تتوجهوا إلى المتهم الأول لمقابلته بعد ذلك ؟

موســى : كنا قد ترجمنا الخطة على هيئة مذكرة ، واذكر أن الفاتح كتبها بخط يده وارفقنا بها الخطة المكتوبة باللغة الانجليزية ، وذكرنا للمتهم الأول تفاصيل ماحدث مع الامريكيين .

ثم جاء دور اسئلة القاضي :

القاضي : ياسيد موسى ذكرت انكم مشيتم امريكا ونزلتم في ووترجيت ماذا حدث بعد ذلك ؟

موســى : في نفس اليوم بالمساء استدعاني المتهم الأول في جناحه وذكر لي أن الامريكان يريدون اخذ باقي الفلاشا بطائرات امريكية عسكرية حوالي عشر طائرات من مطار العزازة وأنهم وضعوا خطتهم لهذه العملية وذكر لى أن هناك مشكلة مدهم بالوقود هل يتم ذلك في مطار الخرطوم أو مطار وادي سيدنا فقلت له تتم في مطار الخرطوم عن طريق السفارة الامريكية بواسطة وزارة الخارجية أو الدفاع وذكر لي أن العملية ستكون يوم ٢٢ مارس بحجة أنها قادمة تحمل موادا تموينية .

القاضي : اقتراحك انهم يتصلوا بالخارجية للوقود ، هل حصل عليه موافقة ؟

موســى : وافق على هذا الاجراء وقال العملية حدد لها يوم ٢٢ مارس يوم الجمعة لكن عنده فكرة بتأجيلها لمدة اسبوع والامريكان طالبين تكون يوم ٢٢ وإنه سيناقش هذا مع مستر كيسى في اجتماعه به غدا كي يكون لدينا وقت اكثر للاستعداد .. تانى يوم جاء مستر ميلتون في الصباح وقال سنذهب لرئاسة السى اى ايه واللواء عمر عنده مقابلة مع مستر كيسى ..

القاضي : من ذكر هذا الكلام ؟

موســى : مستر ميلتون .

القاضي : متى عرفت أنه يريد أن يبنى مقرا جديدا لجهاز أمن الدولة ؟

موســى : أول مرة عرفت به عندما قابلت المتهم الأول (اللواء عمر) عندما ذكر لي أنه سيطلب مساعدة لبناء الجهاز وفي المرة الثانية عندما دخلنا مبنى المخابرات الامريكية وقال لي عاوز اعمل نفس المدخل في المبنى الجديد .

ممثل الاتهام يتدخل :

ــ اريدك أن تذكر عدد الضباط الامريكيين الذين كانوا موجودين معكم في الاجتماع داخل مقر المخابرات الامريكية ؟

موســى : خمسة أو ستة ضباط .

ممثل الاتهام : ارجو أن توضح الرتب العسكرية للضباط الامريكان الذين كانوا حاضرين الاجتماع ؟

موســى : الرتب معروفة بالنجوم ، المهم أن اعمارهم اكثر من ٤٠ ومعنى هذا انهم ضباط كبار بنجمة واحدة أو نجمتين .. حسب مالاحظت جنرالات ..

ممثل الاتهام : اشرح مايتعلق بالخارطة التي وجدتموها في مكتب المخابرات الامريكية عن القضارف ؟

موســى : لم يجر حولها أى نقاش .. لم يشيروا للخارطة ..

ممثل الاتهام : من اشترك من الوفد في النقاش ؟

موســى : كل الكلام للمتهم الأول عمر الطيب

ممثل الاتهام : هذه الخارطة من احضرها ووضعها هنا

موســى : عندما دخلنا وجدناها موضوعة ، لم نحضرها معنا .

ممثل الاتهام : كيف عدتم إلى الخرطوم ؟

موســى : على نفس الطائرة العسكرية الامريكية التي سافرنا بها وصلنا بعد الظهر في واشنطن ونزلنا في قاعدة جوية في صقلية ووصلنا الخرطوم يوم الأربعاء ٢٠ مارس .

ممثل الاتهام : حدثنا عن مطار العزازة

موســى : أول مرة اشاهد فيها مطار العزازة وكانت أول رحلة لى لمدينة القضارف .

ممثل الاتهام : مامدى استعداد مطار العزازة لاستقبال هذا النوع من الطائرات

موســى : المطار عبارة عن ارض فضاء « ايرستريب » مجرد شارع كبير ولا توجد فيه مبانى ، وميزة هذا النوع من الطائرات أن تقدر على النزول في أى ايرستريب ، وكانت ارض صلبة ليس بها حفر بالاضافة إلى التجهيزات التي قام بها الامريكان .

ممثل الاتهام : كم عدد الجنود الذين نزلوا من أول طائرة ؟

موســى : حوالي ١٨ أو ٢٠ من جنود وصف وضابط .

ممثل الاتهام : ماهو زيهم الرسمى ؟

موســى : زى الصاعقة المبقعة

ممثل الاتهام : ماذا كانت وظيفتهم ؟

موســى : لاحظت انهم عاملين حراسة للمنطقة للطائرة عندما تصل لتحمل اللاجئين وكانوا يقفون صفين تمشى وسطهم الفلاشا .

ممثل الاتهام : من كان يتولى فرز اليهود الفلاشا الموجودين داخل الموقع ؟
موســـى : نيكولا وميلتون .
ممثل الاتهام : من انزل الطائرة إلى الأرض ؟
موســـى : الفنيون الموجودون في الموقع .
ممثل الاتهام : كيف تم ذلك ؟
موســـى : عندما اقتربت الطائرة اطلق واحد منهم اشارة ضوئية من مسدس لتحديد موقع المطار ..
هنا يتدخل محامي المتهم الأول لأخذ دوره في الاسئلة
المحامي : ماهي مسئوليتك ياسيد موسى في جهاز الأمن ؟
موســـى : مسئول من الناحية الأمنية الخاصة باللاجئين وبالتحديد تحركاتهم إلى المدن ومن المدن إلى العاصمة .
المحامي : وهل يحدث احصاء دقيق باعداد اللاجئين في المعسكرات ؟
موســـى : نعم
المحامي : ذكرت أنك سافرت لمؤتمر خاص في جنيف للاجئين معنى ذلك أن الجهاز عنده ارتباط بمنظمات عالمية .
موســـى : ذهبت للمؤتمر بصفتى عضو بالمجلس القومي لرعاية اللاجئين
المحامي : تقرير اسماعيل ابراهيم هل قدم ورقة للمؤتمر ؟
موســـى : لا اذكر
المحامي : ماهى معسكرات اللاجئين ؟
موســـى : فى منطقة كسلا وود شريفى ، ود الحلو ، القضارف ، ام راكوبه ، الشوك ، وكل معسكر به مندوب من الجهاز صف وجندى .
المحامي : هل تقصد أن جهاز أمن الدولة يدخل فيه اختصاص شئون اللاجئين ؟
موســـى : بالنسبة لجهاز أمن الدولة له عدة اختصاصات بشئون اللاجئين .
المحامي : هل هناك تنسيق مع أى جهة عالمية ؟
موســـى : التنسيق الوحيد بالنسبة لفرعنا كان مع الصليب الأحمر الدولي فى اطار الاغاثة
المحامي : ومع الهلال الأحمر ؟
موســـى : لا
المحامي : المندوب السامي للاجئين ؟

موســى : ليست علاقة مباشرة ، تتم عبر معتمد شئون اللاجئين .
المحامي : بعض السفارات لها اقسام خاصة ترعى شئون اللاجئين ؟
موســى : ليس هناك اتصال مباشر مع هذه الاجهزة
المحامي : كيف تتم ؟
موســى : مع مكتب معتمد اللاجئين .
ممثل الاتهام : نرجع لبعض الاسئلة من الأول .. في معرض حديثك ذكرت أن المتهم الأول كلفك بأن تنور وزير الداخلية السابق ومعتمد اللاجئين السابق في جنيف ، ما الهدف ؟
موســى : الحقيقة العملية لم تكن تنوير .. للعلن فقط .. تقول لهم إن الامريكان قادمون لأخذ الفلاشا لاعادة توطينهم في امريكا ، ولن تكون معتمدية اللاجئين مسئولة عن ذلك .
ممثل الاتهام : التقرير الذي كتبه اسماعيل ابراهيم ورد عليه المتهم الأول إنه محول لك بالعلم والاحاطة .
موســى : مجرد التعليق المكتوب في الخطاب
ممثل الاتهام : ورد في نفس التقرير أن هناك اقتراحا بقفل الحدود الشرقية لمنع دخول الفلاشا ؟
موســى : لم تصلنى أى تعليمات
ممثل الاتهام : وبالنسبة لليهود عموماً ؟
موســى : لم يصلني أى شيء
ممثل الاتهام : قلت انكم سافرتم انت والمتهم الأول بطائرة امريكية من الخرطوم إلى امريكا وكان المفروض أن يسافر بطائرة مدنية .. من استبدل الطائرة ؟
موســى : مستر ميلتون .
ممثل الاتهام : ما الذي جعل مستر ميلتون يسافر بطائرة الجهاز للقضارف لماذا يستخدم طائرة الجهاز ؟
موســى : هذه الطائرة احضرها الامريكان لاستعمال المتهم الأول ونفذوا بها بعض اعمالهم .
ممثل الاتهام : فيما يتعلق بسفرك مع الوفد إلى امريكاواعفاءك من السفر وطلبت ذلك من اللواء عثمان السيد اذكر اسباب طلبك الاعفاء ؟
موســى : قبل أن اقابل اللواء عثمان كنت مع المتهم الثاني الفاتح عروة وذكر لي أن هناك عملية ثانية لترحيل الفلاشا واعطاني تفاصيلها وكلمني جيري ويفر بكافة التفاصيل ، ولما قال لي عثمان السيد إنني مكلف بالسفر مع النائب الأول لموضوع يتعلق باللاجئين طلبت اعفائي لكنه قال لي هذه تعليمات .

الاتهام : لماذا تغير خط السير عن طريق فرانكفورت ؟
موســى : ذكرت أنه كان مفروض نمشي عن طريق لندن ومن لندن إلى واشنطن بطائرة مدنية ، رفض المتهم الأول وطلب طائرة خاصة وجاءت طائرة امريكية « **C.140** » لاسباب امنية .
ممثل الاتهام : هل تعرف الاسباب الامنية ؟
موســى : سمعت من المقدم صلاح دفع الله اسباب امنية .

ثم جاء دور محامي المتهم الأول عبد العزيز شدو :
المحامي : اين تلقيت تدريبك ، وكيف تدرجت في موقعك ؟
موســى : كانت في جزء من المخابرات البريطانية وكان معي اللواء عثمان في هذه الدورة . تدرجت في اجهزة الأمن حتى اصبحت مسئولا عن التحرر واللاجئين وعينت في هذا القسم بعد عودتي كقنصل من افريقيا الوسطى .
المحامي : اختصاصات الفرع ؟
موســى : نوعان .. الأول يتعلق باللاجئين الذي نحن بصدده الآن والآخر بحركات التحرير الافريقية .
المحامي : ماهى سياسة الفرع في اللاجئين ؟
موســى : التنسيق الوحيد بين فرعنا كان مع الصليب الأحمر الدولي وهذا كان في اطار الاغاثة .
المحامي : مشروع اعادة توطين اللاجئين لتخفيف العبء عن السودان هل تذكر من الدول التي اشتركت في هذا المشروع ؟
موســى : اذكر برنامج اعادة توطين اللاجئين في المانيا وفي كندا وفي الولايات المتحدة الامريكية .
المحامي : كيف تتم
موســى : تتم عبر مكتب معتمد شئون اللاجئين وبواسطة الدول التي تريد أن تأخذ اللاجئين .
المحامي : كيف يتم المشروع الكندي ؟
موســى : لا اعرف
المحامي : كيف لم تعرف عن توطين اللاجئين إلى كندا وعرفت الفلاشا ؟
موســى : ذكرت اختصاصي .. فرعنا هو الاشراف الامني على اللاجئين وبالنسبة لعملية

الفلاشا لأن جاء ذكرها في تقرير مقدم من معتمد اللاجئين .
المحامي : قلت إنك علمت أن العملية الأولى راحت لاسرائيل ومع ذلك سافرت لامريكا ؟
موســى : كانت تنفيذ تعليمات بالسفر مع النائب الأول .
المحامي : أنت ذكرت في اجابة على سؤال أن المتهم الأول في تنوير لكبار ضباط الجهاز نفى بانفعال أن الجهاز رحل فلاشا هل تذكر هذا الكلام ؟
موســى : قال ما رحلنا فلاشا ..
المحامي : وذكرت ايضا أنك كنت تقابل المتهم الأول بسهولة وبعدين بصعوبة ماتعليقك ؟
موســى : حسب رأيي أنه في الفترة الأولى كان يسهل لنا العملية ولما تمت اصبحت مقابلته صعبة .
المحامي : قلت إن الضابط الامريكي في مطار العزازة وهو قائد العملية كان برتبة عقيد ، هل تذكر أى حديث بينك وبينه ؟
موســى : كانوا على اتصال مباشرة مع واشنطن .
المحامي : قلت إن جيري ويفر قال إن المتهم الأول طلب أن يضعوا مبلغ ٢ مليون دولار في حسابه الخاص ؟
موســى : جيري ويفر قال طلب مننا أن يوضع في حساب اللواء عمر في لندن .
المحامي : ذكرت إنك لما رجعت من القضارف بعد العملية الثانية كنت تشعر بالاستياء لماذا ؟
موســى : أولا بخصوص التنفيذ .. العملية نفسها نقل الفلاشا من القضارف إلى اسرائيل .. وكنت طلبت من المتهم الأول اعفائي من هذه العملية .
المحامي : متى تم ذلك ؟
موســى : عندما قابلت اللواء عثمان السيد وابلغته أن سفر النائب الأول لأمريكا يتعلق بترحيل بقية اليهود الفلاشا .. وكنت مستاء لأن الطريقة التي تمت بها العملية ذاتها لم يكن للجهاز فيها أى دور .. كنا مجرد متفرجين ، حتى لو لم نكن موجودين كانت ستتم .
المحامي : بحكم عملك في جهاز أمن الدولة هل كان لديك علم قبل أن تبدأ العملية الأولى أنه حصل أن جهة ما رحلت الفلاشا بدون علم اجهزة الدولة ؟
موســى : نعم .
المحامي : كضابط جهاز أمن الدولة هل عرفت الجهة التي تعمل سرا بدون علم اجهزة الدولة ؟

موسى : اعتمد على التقرير الذي ارسل من وحدة امن القضارف وكانت معنونة « الأمن الخارجي » أن بعض المنظمات العاملة في اغاثة اللاجئين تقوم بتهريب الفلاشا مثل منظمة I.C.M.C و I.M.C والطائرات التي نزلت في الشوك بالاضافة إلى العمليات التي تمت عن طريق جوبا ــ نيروبي .

المحامي : هذا هو التقرير ولكن ماهو تقديرك أنت ؟

موسى : لحساب اسرائيل

المحامي : إذا كنت تعلم قبل عمليتكم أنه هناك من يعمل لحساب اسرائيل في تهريب الفلاشا الم يخطر ببالك أن تربط بين الموضوعين ؟

موسى : لم يخطر ببالي ، لانها لم تكن المرة الأولى التي تتم عملية اعادة توطين اللاجئين .

المحامي : نحن لا نتحدث عن اعادة توطين ..

موسى : اقصد برنامج اعادة التوطين هذه ليست عملية جديدة .

المحامي : وبالنسبة للفلاشا ؟

موسى : بالنسبة للاجئين .

المحامي : أنا اتحدث عن الفلاشا وليس اللاجئين

موسى : ماذكر لي أنه اعادة توطين وهو موضوع غير جديد بالنسبة لي .

المحامي : أنا لا اتكلم عن اعادة توطين ، أنا اتكلم عن الفلاشا .

موسى : لم افكر أن هؤلاء اللاجئين سيرحلون إلى اسرائيل وصدقت ماقالته القيادة السياسية بأنهم سيرحلون إلى إمريكا واوروبا .

المحامي : هذا بالنسبة للعملية الأولى ، بعد ذلك أنت بنفسك اوقفتها ، هل كلامك ينطبق على العملية الثانية أن هؤلاء الناس ليسوا ذاهبين الى اسرائيل ؟

موسى : كنت انفذ الأوامر .

توالى على المحكمة بعد ذلك أكثر من اربعين شاهدا قال : على شمو وزير الاعلام في تلك الفترة أنه لم يكن يصدق أن حكومته تقوم بترحيل يهود فلاشا إلى اسرائيل وأن القيادة لم تخطره كوزير بأن شيء عن هذه العملية ، وقال وزير الخارجية هاشم عثمان نفس الشيء ولذلك فإنهما كانا يحرصان على نفى هذه الانباء لعدم تصور أن القيادة السياسية التي يعملان فيها تفعل ذلك ، كذلك نفى اللواء كمال حسن أحمد نائب رئيس الجهاز علمه بالعملية وقال إن احدا من المسئولين بالجهاز لم يبلغه وأنه من الممكن في أى جهاز أمن أن يكلف رئيس الجهاز ضباطا يختارهم بنفسه لتنفيذ عملية معينة لصالح الجهاز دون علم

القيادات الاخرى وأن هناك مبدأ في عمل الجهاز هو « المعرفة بقدر الحاجة » وهذا ماأكده ايضا اللواء الفاتح الجبلي أما اللواء عثمان السيد فكان يبدو أن علاقته برئيسه السابق اللواء عمر لم تكن ودية وأنه اعتبر تجاوزه اهمالا له مما اثار ضيقه وتلمس الاسباب التي دعت رئيس الجهاز إلى عدم اشراكه في هذه العمليه. وتكشف اجوبته لاسئلة القاضي شعوره تجاه القيادة السياسية وهو شعور لم يكن يجعله مستريحا في اداء عمله بشكل عام كضابط قيادي من ضباط جهاز الأمن .

يبدأ القاضي اسئلته للواء عثمان السيد على النحو التالي :

القاضي : هل امريكا هى المهتمة بترحيل الفلاشا أم اسرائيل ؟

اللواء عثمان : اسرائيل

القاضي : أى جهاز في اسرائيل ؟

اللواء عثمان : جهاز المخابرات الاسرائيلية (الموساد)

القاضي : يعنى علمك أن جهاز المخابرات الاسرائيلية هو الذي كان يشرف على هذه العملية وأن الاستراتيجية الرسمية لجهاز الأمن كانت تمنع ذلك وأنت كنت مسئول كبير في الجهاز ووزير ايضا فهل اتخذت اى اجراء لمنعها أو ايقافها .

اللواء عثمان : لم يكن لي أى وسيلة لاتخاذ أى قرار ..

القاضي : لماذا ؟

اللواء عثمان : لأن القرار اتخذته قمة السلطة من الرئيس إلى نائب الرئيس .. الرئيس ذاته كان يعرف كل شىء ..

القاضي : اظنك موافق على أن المتهم الأول كان يمكن أن يقوم بالعملية دون أن يخبرك ؟

اللواء عثمان : نعم

القاضي : اشرح لنا كيف ؟

اللواء عثمان : تقديري كان مبلغ المليونى دولار التي طلبها اللواء عمر كمقابل لانه عندما طلب هذا المبلغ كان يعتقد أنه بحكم صلتي بالامريكان قد اعرف ذلك ولم يضع في اعتباره اننى سأعرف ايضا .. حتى آخر لحظة لم يكن يعرف .

القاضي : السؤال هو كيف يؤثر علمك أو عدم علمك في مسألة يعلمها بدون علمك ؟

اللواء عثمان : ربما اكتب أو اتصل بجهة عليا واقول إن هذه العملية مقابل صفقة وهو مالم يتوفر للمتهم الأول أو الثاني .

القاضي : أنت قلت إن ميلتون سلمك خطة وترجمتها وسلمتها للمتهم الأول .. متى ؟

اللواء عثمان : في ٧ أو ٨ مارس .. بعد خمسة ايام من زيارة جورج بوش .
القاضي : اذن كنت تعلم رسميا منذ ذلك التاريخ على الأقل ..
اللواء عثمان : نعم
القاضي : حسنا .. إذا كان واضح لك أن هؤلاء يهود هدفهم الوصول إلى اسرائيل لماذا اعتقدت أن الامريكان خدعوا القيادة السياسية في ذلك ؟
اللواء عثمان : كنت اعتقد أنها ليست خدعة لأن المتهم كان يعرف .
القاضي : ولكنك قلت إنك خدعت فما هو الصحيح ؟
اللواء عثمان : المتهم الأول كان يعلم
القاضي : جميل ، بالنسبة لباقي القيادة السياسية هل تعتقد أنها كانت خديعة للقيادة السياسية و
اللواء عثمان : القيادة السياسية هى الرئيس والمعلومات نقلت للرئيس فربما كان يعلم .
القاضي : وربما كان لايعلم أنهم ذاهبون إلى اسرائيل ، هل هذه حقيقة غامضة أو خافية ؟
اللواء عثمان : اعتقد انها كانت خافية
القاضي : اذن اين الخديعة ؟
اللواء عثمان : الخديعة في الكلام الذي قاله له المتهم الأول .. حسب مافهمه منه عندما قال إنهم أعطوني مقابل وتحدث عن الاعلام الغربي .
القاضي : المتهم الأول بعد ذلك قال إنه لا يريد مبلغ المليونى دولار وإذا نزلت في حسابي ساعيدها اليهم لما لم تذكر ذلك وكيف تفوت عليك واقعة هامة هكذا ..
اللواء عثمان : لا اذكر
القاضي : هل نوقش سفره لامريكا ؟
اللواء عثمان : اطلاقا
القاضي : بحكم موقعك في الجهاز عندما كان المتهم الأول رئيسك هل كنت تعلم سبب السفر عادة ؟
اللواء عثمان : احيانا كنت اعلم واحيانا لا اعلم
القاضي : لا أقصد انك تعلم رسميا ، اقصد عندما يسافر المتهم الأول هل كنت تعلم ؟
اللواء عثمان : احيانا .. وسفر المتهم الأول لأمريكا لم يناقش
القاضي : اذن لماذا قررت إنه سافر لموضوع الفلاشا فقط ؟
اللواء عثمان : زيارة بوش واجتماعه مع الرئيس السابق والنائب الأول والضوء الأخضر أعطى

ايحاء بأنه سيسافر لهذا السبب .
القاضي : متى علمت لأول مرة بموضوع المليونى دولار ؟
اللواء عثمان : في اواخر نوفمبر أو أوائل ديسمبر .
القاضي : ما الذي منعك من ابلاغ الرئيس ؟
اللواء عثمان : لم يكن هناك وسيلة ، لأنه ابلاغ الرئيس يتم عن طريق د . بهاء .. وبهاء داخل في الموضوع .

ثم قدمت هيئة الاتهام اللواء الفاتح الجبلي نائب رئيس الجهاز كأحد شهود الاتهام وكان يشغل منصب مدير ادارة الأمن الداخلي في جهاز أمن الدولة لمدة اربعة سنوات . ومهمة هذه الادارة رصد النشاطات السياسية والنقابية الدينية والقبلية والمهنية ورصد اتجاهات الرأى العام وتقوم برفع تقاريرها إلى رئيس الجهاز ورئيس الجمهورية ووزير الدفاع ووزير الخارجية ومفتش عام الشرطة .

وبدأ استجوابه على النحو التالي :
ممثل الاتهام : متى وصل لعلمك لأول مرة موضوع ترحيل اليهود الفلاشا من السودان ؟
الجبلي : اذكر المرة الأولى عندما اثير موضوع تهريب بعض الفلاشا بواسطة اجانب ضبطوا في جوبا يقومون بترحيل لاجئين عن طريق نيروبي وتم ضبطهم في جوبا وارسلوا إلى الخرطوم وتابع امرهم فرع المخابرات المضادة في ادارة الأمن الخارجي وذلك عام ١٩٨٢ .
ممثل الاتهام : ومعلوماتك قبل نوفمبر « تشرين ثان » عام ١٩٨٤ ؟
الجبلي : كان قد ورد تقرير من كسلا بخصوص طائرات نزلت في منطقة خلوية نقلت بعض الناس حسب رواية سكان المنطقة ودار حديث حول تحليل هذه المعلومات لمحاولة حقيقة هذه الطائرات ، وكان أحد الاحتمالات أنها رحلت قبيلة الفلاشا اليهودية وكان هناك شك في بعض المنظمات التي تعمل في تلك المنطقة .
ممثل الاتهام : في المرة الثانية هل عرفت انهم فلاشا ؟
الجبلي : نعم
ممثل الاتهام : ماذا فعلت كادارة الأمن الداخلي لمواجهة ذلك ؟
الجبلي : حولت التقارير لادارة الأمن الخارجي واحطنا بها علما
ممثل الاتهام : هل وردك تقارير اخرى بعد ذلك ؟
الجبلي : نعم ، منها ما يشير إلى وجود شبكة تقوم بترحيل اليهود الاثيوبيين من السودان .

ممثل الاتهام : ماهو دورك مرة اخرى الذى قمت به في ادارة الأمن الداخلي ؟
الجبلي : اعددت تقرير لرئيس الجهاز وضمنته ماورد من معلومات من الاقليم الشرقي وماورد في تقريرنا اليومي حول تدفق الفلاشا اليهودية الاصل واقترحت تكوين لجنة تضم ممثلين من الجهاز والخارجية والداخلية لدراسة ظاهرة تدفق الفلاشا إلى السودان .
ممثل الاتهام : وهل وافق رئيس الجهاز على تشكيل اللجنة ؟
الجبلي : وافق لوضع الاجراءات المناسبة ولكنها لم تتم ولم تفعل شيئا .
ممثل الاتهام : وكيف سمعت بعملية موسى ؟
الجبلي : لم اسمع بها بصفة رسمية بحكم وضعى في الجهاز ، لم احط بها علما ولم اعرف اى تفاصيل عنها إلا بعد أن نشرت المعلومات عنها واذيعت في اجهزة الاعلام .
ممثل الاتهام : متى سمعت عنها ؟
الجبلي : لا اذكر التاريخ ولكن بعد انتهاء العملية نفسها .
ممثل الاتهام : ماهو الانعكاس داخل جهاز امن الدولة بعد اذاعة تفاصيل العملية ؟
الجبلي : كان يتردد في اوساط الضباط أنه تم في عملية سرية ترحيل بعض الناس عن طريق مطار الخرطوم إلى الخارج وتردد أن ذلك يتم باجراءات محدودة على اناس معينين في الجهاز لتأمين العملية وتكلموا أنهم فلاشا . وكان ذلك مبعث عدم رضا داخل الجهاز .
ممثل الاتهام : في هذا الاجتماع هل نفى حدوث العملية ؟
الجبلي : لا اذكر أنه نفى ولكن اشار إلى أن العملية تتم بموافقة وعلم رئيس الجمهورية .
ممثل الاتهام : كيف تتم وضع ميزانية الجهاز ؟
الجبلي : ميزانية الجهاز تضعها لجنة برئاسة نائب رئيس الجهاز وتبحث في مقترحات الميزانية وترفع توصية بمجمل ماتتوصل اليه لرئيس الجهاز .
ممثل الاتهام : في بنود الميزانية هل هناك اشارة لتمويل الميزانية بالمعونات الاجنبية ؟
الجبلي : ابدا ..
ممثل الاتهام : الاعانات الخارجية للجهاز اذكر ماتعلمه عنها كيف تتم ؟
الجبلي : الجهاز يتلقى معونات من اجهزة أو دولة صديقة في شكل معدات ووسائل اتصال أو السيارات .
ممثل الاتهام : بحكم طبيعة عملك .. هل وصلت إى اعانات مالية نقدا ؟
الجبلي : لم اعلم بها .
ممثل الاتهام : إذا كنتم في حاجة إلى اعانات مادية كيف يتم الطلب ؟

الجبلي : يطلبها الجهاز من الدولة .. من ادارة المالية

ممثل الاتهام : اعطينا فكرة عن مبنى جهاز أمن الدولة المقترح انشاؤه وماتعلمه عن هذا المبنى .

الجبلي : كان رئيس الجهاز يتحدث في كثير من الاجتماعات بأنه بصدد انشاء مبنى جديد لأن المبانى الحالية غير مناسبة وفي بداية مشروع رسوم البطاقة الشخصية اشار إلى أن رئيس الجهاز وافق على تمويل هذه الرسوم لحساب خاص تخصص لبناء الجهاز وكنا نرى أن يتولى ذلك وزارة الداخلية ولكن ذكر أنه حصل على موافقة رئيس الجمهورية .

○ ○ ○

الفصـل الحادي عشـر

« النطق بالحكم »

ازدحمت قاعة المحكمة بالصحفيين واقارب المتهم الأول وصغار المحامين فجلسة اليوم حاسمة وفي نهايتها سيصدر الحكم ، اقتربت الساعة من الحادية عشرة صباح يوم السبت ٨ مارس ١٩٨٦ عندما دخل اللواء معاش عمر محمد الطيب القفص في حماية الجنود ، كان بمفرده واصبح هو المتهم الوحيد في القفص بعد أن حصل المتهمون الأربعة الاخرون على العفو واعتبرت المحكمة أن اقوالهم مطابقة لما جاء في التحقيق الذي اجرى معهم وكان النائب العام قد اتفق معهم على أن يتحولوا إلى شهود اتهام ويقولون كل مايعرفون مقابل العفو عنهم بوصفهم شركاء في تنفيذ عملية ترحيل اليهود الفلاشا من السودان ذلك أن النائب العام ولجان التحقيق لم يكن بين ايديهم الادلة الكافية غير هؤلاء وهو اجراء قانونى سليم يلجأ اليه النائب العام في حالة عدم وجود الادلة الكافية لقضية تبدو ابعادها واضحة وتنقصها القرائن .

دخل عمر محمد الطيب المتهم الأول القفص بملابس السجن حيث كان حكما قد صدر عليه بالسجن لمدة خمس سنوات في قضية كان هو فيها المتهم الثاني تتعلق بالفساد الاقتصادي والمالي وسوء استخدام السلطة لجهاز أمن الدولة الذي كان يرأسه ، جلس وتبادل التحية مع اقربائه الجالسين في قاعة المحكمة الذين جاءوا من منطقة الزيداب بالاقليم الشمالي من قبيلة الجعلبين التي ينتمي اليها .. عيناه زائقتان ويبدو عصبيا ، وضع ساقا على ساق .. اشار إلى محاميه بيديه علامة أنه متماسك ، قدم اليه محامية أحمد دياب اوراقا راح يقرأها ، اعتدل في جلسته وراح يتبادل الحديث مع محاميه وضحك بدأ كأن الأمر لايعنيه ، ثم جلس عاقدا يديه وهو يهز ساقه ثم يضرب الأرض بقدمه ضربات خفيفة .. وقد ارتدى حذاء من جلد النمر غالي الثمن .

دخل القاضي وخلفه هيئة المحكمة .. وصاح الحاجب محكمة ..

اكتملت قاعة المحكمة تماما من المحامين وهيئة الاتهام والصحفيين واقارب المتهم وصغار المحامين ، ساد القاعة صمت إلا من ازيز المراوح التي كان تشغيلها ضروريا لتخفيف سخونة المكان والتي زادتها اضواء كاميرات التليفزيون .. قلب القاضي في اوراق امامه ثم تداول مع عضو اليمين وعضو اليسار .. وبدأ يتحدث ..

استهل حديثه بآيات قرآنية ثم صلى على رسول الله وصحبه وخص بالذكر الفاروق عمر ثم اعرب عن تقديره لهيئة الاتهام واشاد بقدرتها في انتزاع مبلغ المائة وخمسين الف دولار من بقايا المبلغ الذي قدمته السفارة الامريكية لجهاز امن الدولة لشراء بقية المعدات من اجهزة واتصالات وغيرها كما اعرب عن تقديره للمحامين الذين قاموا بواجبهم خير قيام وهم يعلمون سلفا موقف الرأى العام من الوقائع والاشخاص وقد اجتازوا الامتحان الحقيقي للمحامي الملتزم باخلاقيات مهنته وهى التصدي للدفاع عن المتهم الأول الذي حكم الرأى العام بتجريمه ومثوله امام المحكمة .

ثم قال :

« تتلخص وقائع القضية أن الفلاشا وهى قبيلة يهودية تعيش في منطقة جوندار بدأوا هجرة منظمة منذ مايو ١٩٨١ وتشير الدلائل أن جماعات منهم تسللت إلى السودان ثم غادرت خفية عن طريق الخرطوم ـــ جوبا ـــ نيروبي ، وعن طريق مجموعة غامضة من الأوروبيين كانت تستأجر قرية عروس ، كما سافرت مجموعة اخرى بطائرات كانت تهبط مطار كرساجو بالقرب من أركويت ، ومنطقة اخرى بالقرب من الشوك بالاضافة إلى مجموعة غادرت الخرطوم علنا .. وفي عام ١٩٨١ تنبهت اجهزة الأمن لتحركات مريبة سبق أن تلقى جهاز أمن الدولة من جهاز الأمن الاثيوبي مايفيد بأن لديهم معلومات بأن الموساد الاسرائيلي يعمل في ترحيل الفلاشا من اثيوبيا عبر السودان واليونان وأن هذه العملية مرتبطة بجهاز الموساد .. شاركت الشرطة والاستخبارات العسكرية وأمن الدولة في التقصى والمتابعة واعتقل اثنان في جوبا عام ١٩٨٣ بتهمة تهريب فلاشا إلى نيروبي عبر جوبا واستدعى المتهم السفير الامريكى وابلغه رفض السودان لهذا العمل واعتذر السفير واعدا بعدم تكرار ذلك . وفي اوائل اكتوبر ١٩٨٤ تغير جهاز امن الدولة من الموضوع وامر المتهم شاهدى الاتهام الأول والثاني بالاشتراك في خطة رسمت في السفارة الامريكية على يد المدعو جيرير ويفر مهدت إلى ترحيل من ٩ إلى عشرة آلاف من الفلاشا الموجودين في معسكر تواوا إلى الخرطوم بواسطة ٤ باصات ودفع جيري ويفر ٣٢ ألف جنيه نقدا ريثما يتم استيراد اربعة

باصات جديدة لهذا الغرض ، ومن الخرطوم يغادرون عن طريق الجو ووفر الاتصالات السلكية والنفقات اللازمة لخطة الترحيل ودفع ستة آلاف جنيه لمنزل في القضارف واستأجر منزلا وضعت فيه ٣٠٠ برميل جازولين .. ووجه المتهم العقيدين بوجوب تنفيذ الخطة الأمريكية والاقتصار على اعضاء الجهاز فقط بما في ذلك سائقي الباصات شريطة ألا تدخل الخرطوم قبل منتصف الليل وألا تهبط الطائرات إلا بعد منتصف الليل وأن يتم تحميلها من مكان يقع في جنوب المطار دون جوازات أو اجراءات صحية أو جمارك ، ومبالغة في الاحتباط طلب منهما الاتصال به مشافهة وعدم الكتابة اليه إلا في حالة الضرورة القصوى ويشار إلى العملية باسم « الشرق » كشفرة .

يواصل رئيس المحكمة حيثياته :

« سارت الأمور حسب الخطة الموضوعة وكان جيري ويفر يتابعها شخصيا بعد أن يشرف على الترتيبات في القضارف ، وصاحب أول ناقلة تحركت في ٢١ نوفمبر ١٩٨٤ ، وتولت شركة الخطوط البلجيكية نقل الفلاشا وبلغ عدد السفريات ٢٨ سفرية في ٤٥ ليلة نقلت فيها ٦١٥٠ يهوديا ، تهبط ليلة وتغيب ليلة اخرى ثم صارت تهبط كل ليلة بناء على الحاح جيري ويفر وبناء على اوامر الدولة الى سلطات المطار لم تدون في سجل حركة الطائرات عن نوعية الطائرات أو مالكها أو البلد القادمة منه والمسافرة اليه ، ولم تدون في سجل تحركات الطيران عن طريق الشركة أى معلومات عن الركاب ولا أى تفاصيل عما تحمله من أمتعه ولا شيء عن مواعيد اقلاعها أو هبوطها ولم يوقع مدير الشركة على الدفتر بتاتا كما هو المفروض . وكان جنود أمن الدولة يضربون سياجا مسلحا حول الطائرة لمنع كائنا من كان من الاقتراب منها أو ملاحظة مايجرى فيها .

وفي ليلة ٤ ــــ ٥ يناير ٨٥ غادرت مطار الخرطوم الرحلة رقم ٢٨ وحدث مالم يكن في الحسبان .. اذاعت محطة لندن تفاصيل القصة عن عملية الشرق وأكدت أن اليهود وصلوا اسرائيل من السودان بخط مباشر واوقفت العملية .

يواصل القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن قراءة حيثياته وقد سيطر السكون على قاعة المحكمة :

« وفي ٤ مارس ١٩٨٥ حضر جورج بوش نائب الرئيس الامريكي وكان المتهم مضيفه الرسمى وأثناء تلك الزيارة حصل بوش على استفتاء ترحيل اليهود بطائرات امريكية هذه المرة ، وفي ١٨ مارس سافر المتهم الى الولايات بطائرة عسكرية بصحبة ميلتون بيرون

رئيس المخابرات الامريكية في السودان واجتمع بضباط سلاح الطيران الامريكي وفي خلال عشر دقائق وافق على خطتهم التي تقضي بارسال طائرات عسكرية إلى العزازة لنقل اليهود من السودان وعندما عاد المتهم خابر القائد العام ووزير الدفاع وابلغهم أن هناك طائرات امريكية تحمل مؤنا للاجئين وطلب عدم تعرض الدفاع الجوى لتلك الطائرات وحضر فنيون امريكيون ومعهم وسائل الاتصال ..

وفي ٢٣ مارس ١٩٨٥ هبطت في مطار العزازة طائرات ونزلت من احداها فصيلة من البحرية الامريكية تولت أمن المطار وحملت ٤٥٠ من الفلاشا واقلعت بهم إلى غابة مجهولة .

بعد أن استعرض رئيس المحكمة وقائع العملية على هذا النحو قال إن المتهم يقف الآنَ وحيدا بعد أن منح الضباط الذين تولوا الاشراف على نقل اليهود العفو وهو يواجهْ تسع اتهامات .

(١) مخالفة المادة ٩٥د من قانون عقوبات السودان لسنة ١٩٨٣ وتنص على أنه يعد مرتكبا جريمة الخيانة ويعاقب بالاعدام أو السجن المؤبد وجواز التجريد من جميع الأموال أى شخص يحرض انخراط الجنود في دولة اجنبية أو يسهل لهم ذلك بما يضر مصلحة البلاد أو يتدخل في جمع الرجال والجنود والأموال لمصلحة دولة اجنبية بما يترتب عليه الاضرار أو يحتمل الاضرار بمصلحة البلاد .

والتهمة تتعلق بمدى مسئولية المتهم عن طريق ترحيل اليهود عبر السودان عن طريق جنود وضباط جهاز الأمن الذي يرأسه فقرر عدم وجود بيانات كافية للربط بين الجهاز ورئيسه وبين عملية النقل عبر ساحل البحر أو كرساجو أو المحرقات أو جوبا — نيروبي إذ اجمع شهود الاتهام السابع والحادي عشر والرابع والثلاثين على أن جميع اجهزة الأمن قد استنفرت لايقاف تلك العمليات السرية واعتقال مدبريها حتى قبل أن تتضح حقيقة العمليات إن كانت تهريب بضائع أو فلاشا منظمة واوضح شاهد الاتهام الثاني أن جهاز امن الدولة بادر باعتقال اثنين من جوبا والتحقيق معهما لمدة شهرين فإذا اخلى سبيلهما لا تتفق مع الاتهام آنه سهل للآمريكيين ترحيل اليهود من جوبا أو منع الآجهزة المختصة من وقف نشاطهم ، ولم يقل أحد إنه تدخل بأى صورة لاخلاء سبيل الفلاشا فى هذه العملية .. عثمان السيد (الشاهد السابع) الذى لايمكن اتهامه بالتحيز للمتهم حلف أن المتهم استدعى السفير الأمريكى ولفت نظره أن تهجير اليهود الفلاشا أمر مرفوض ولا تحمد

عقباه ، كل ما اورده الاتهام بترحيل اليهود عبر البحر الأحمر أو كرساجو أو المحرقات لا يعدو الاشارة إلى السلوك المريب للعاملين بقرية عروس ، ولم تقف رئاسة جهاز الأمن مكتوفة الايدى .. الشاهد ٣٤ مدير الاستخبارات العسكرية أكد أنه كان هناك تنسيق بين ادارته والبحر الأحمر والمحرقات ولم يعرف بترحيل الفلاشا إلا فى ٣ فبراير ١٩٨٢ في منطقة المحرقات فإذا كانت المادة ٤ /٢ من قانون الاثبات لعام ٨٣ تنص على أن الأصل براءة المتهم دون شك مقبول والقاعدة الراسخة عندما لايصح استنتاج جرم المتهم من الوقائع فقط إلا إذا كانت القرائن تتعلق ببراءة المتهم وفيما عدا ذلك من واجب المحكمة اعطاء المتهم فائدة الشك وهى سابقة فى السودان عام ١٩٥٠ ، والاتهام لم يقدم إلا واقعة وحيدة من ١٩٨١ ــ ١٩٨٤ ، هذه الواقعة لاترقى إلى تحريم المتهم وعليه فإننا ننفى مسئولية المتهم حتى فبراير ١٩٨٤ .

هكذا برأت المحكمة اللواء عمر الطيب من العمليات التي كانت تتم في الظلام من وراء ظهر اجهزة الأمن واعتبر أن ماقدمه الاتهام لاتوجد فيه بينة بل أن استدعاء المتهم للسفير الأمريكي ولفت نظره اعطى للمحكمة شكا في الجريمة مما حعل المتهم يستفيد من هذا الشك فبرأته المحكمة لكن عندما جاء ذكر تفاصيل العملية التي عرفت باسم « عملية موسى » ادانته المحكمة فهو يقول إنه امر بالاشراف على نقل ٢٥ ألف لاجىء اثيوبى من القضارف إلى الخرطوم لترحيلهم إلى اوروبا وامريكا وكندا ضمن برنامج اعادة توطين وبالتنسيق مع السفارة الامريكية التي ستقوم بدفع النفقات وعلل تصرفه هذا بأنه تنفيذ لأوامر الرئيس السابق . ونفى علمه أن المقصودين بالترحيل كانوا من اليهود دون غيرهم من اللاجئين وفسر المتهم السرية لاسباب منها أن اعلان ترحيل ٢٥ ألف لاجىء قد تؤدى إلى خفض العون للسودان واغراء مزيد من الشباب الاثيوبي بالهروب بغية الحصول على فرص الهجرة مما يخلق حساسيات وتعقيدات سياسية مع اثيوبيا .

ويتبادل القاضي بالتفصيل والتحليل الاتهامات حتى يأتى حكمه دقيقا وعادلا فهو يقول إن المادة ٨٧ د عقوبات تتكون من شقين اركان كل شق على حدة العكس هو الصحيح فغدم ثبوت أى ركن في الشق الأول يبرىء المتهم وفي الجزء الثاني من المادة ادين المتهم بصرف النظر عن تبرئته ، فالقسم الأول من المادة ٩٧ د « هل حرض جنودا من القوات النظامية على الانخراط في خدمة دولة اجنبية أو سهل ذلك ؟ وإذا ثبت ذلك هل يترتب على التحريض اضرار بمصلحة السودان ؟ بالنسبة للسؤال الأول لابد أن تحدد معنى التعبير الاساسي وهو « الانخراط » في خدمة دولة اجنبية ولم نجد لكلمة الانخراط هذه

تفسيرا في صلب قانون العقوبات فبحثنا عن المعنى في اللغة العربية استنادا على المادة ٧٠ في قانون تفسير القوانية لسنة ١٩٧٤ . في باب (خرط) ص ٥٢٥ من الجزء الأول من قاموس محيط المحيط ١٩٧٠ لبطرس البستاني ــ « انخرط الخرزة في السلك .. أى انتظمت » ، والانخراط في دولة اجنبية يعنى الانتظام في قوانين تلك الدولة ونظمها والانضواء تحت لوائها والانتماء لها مثل الخرزة تصير جزءا لا يتجزأ من العقد .. ولذا نعتقد أن تكليفه لضباط وجنود لمهمة محدودة لصالح دولة اجنبية لايمكن اعتباره تحريضا للجنود على الانخراط في دولة اجنبية ، وبذا عدم انضباط الشق الأول من المادة ٩٧ د .

الشق الثاني من المادة ٩٧ د

الاسئلة هى :

١ ــ هل كان الذين يتم ترحيلهم بأمر المتهم من القضارف إلى الخرطوم ومن الخرطوم إلى الخارج هل كانوا يهودا اثيوبيين أم مجرد لاجئين اثيوبيين بصرف النظر عن معتقداتهم ؟

٢ ــ لو كانوا يهودا فهل كان المتهم يعلم بهذه الحقيقة ؟

٣ ــ هل ترتب اضرار بمصلحة السودان ؟

٤ ــ هل يصح القول إنه عمد إلى ترحيل اليهود من السودان لمصلحة دولة اجنبية ؟

تحمل الاجابة على السؤالين الأول والثاني معا وأول ماتتبينه على لسان المتهم عند تكليفه الشاهد الثاني والثالث قال له إن هناك توجيهات قد صدرت لأمريكا بتجهيز اللاجئين في الاقليم الشرقي ضمن برنامج اعادة التوطين وابدى الثاني والثالث اعتراضهما باقحام برنامج اعادة التوطين وابدى الثاني والثالث اعتراضهما باقحام جهاز أمن الدولة في تلك المهمة المريبة فقال لهما إن القرار صادر من رئيس الجمهورية وأنه لايعارض في خروج اليهود من السودان .. اوضح لهما أن اقرار المتهم لهما التوجه إلى السفارة الأمريكية وعادا إلى المتهم بخطة كاملة في ورقة مطبوعة اعدها الامريكيون مسبقا ٩ إلى ١٠ آلاف لاجىء يتمركزون في ود الحليو وتواوا وأم راكوبه وود شريفى ، واعتبار تواوا نقطة التحرك واعداد اربعة باصات ومعدات لاسلكية ونقل جوي من مطار الخرطوم ورفض المتهم اجراء أى تعديل في بنود الخطة وتنفيذها بحذافيرها وأن الأمريكيين وحدهم سيتولون النفقات وتأكد من قناعة ماورد على لسان الرائد فؤاد بندر عندما ذكر أنه عندما وصل معسكر تواوا وجد ويفر ونيكولا في اقصى المنطقة القريبة من المعسكر وهى مخصصة لسكنى الفلاشا في المعسكر .

وتقول حيثيات رئيس المحكمة « لكل ذلك وقر في انفسنا أن اللاجئين الاثيوبيين الذين يتم تهجيرهم من مطار الخرطوم في عملية موسى كانوا يهودا وأن المتهم كان يعلم منذ

بداية التخطيط .

ثم يقول :

السؤال الثالث هو حول أثر تهجير اليهود على السودان ، وهذا يقود إلى العلاقة بين اليهود ودولة اسرائيل والعلاقة بين امريكا واسرائيل وانعكاس ذلك على العلاقة بين اسرائيل ودول الشرق الأوسط .. المعروف أن اليهود كانوا يعتقدون أن الرب وعدهم بالعودة بعد فرقتهم وأنهم سيبنون هيكل سليمان ويقيمون دولة اسرائيل ويبسط سلطانهم على المعمورة ، هذا الحلم احد الاسباب الذى حدا بهم إلى الانعزال عن الآخرين في أى مجتمع وجدوا فيه فانفردوا بحياتهم وملبسهم ومأكلهم ولغتهم وحريتهم مما اوجد عندهم مايعرف بعقلية الجيتو وعداء نحو الآخرين وباستثناء العرب ، بادلهم الاخرون نفس الشعور وضربوا عليهم الذلة خارج الدولة الاسلامية وتشبثوا بحلم العودة إلى الأرض التي تستقبلهم باللبن والعسل والسيادة على الآخرين خاصة بعد كارثة اوروبا ودفعهم اليأس إلى اعتناق الصهيونية واساسها عنصري وتأسيس دولة يهودية في أى بقعة من العالم استقرت على فلسطين ، وجاء وعد بلفور وانفقوا الأموال الطائلة في شراء الأراضي تحت ستار الاستيطان الزراعي وهى في الواقع مستوطنات عسكرية حشدوا فيها شباب اليهود واستغلوا الحرب العالمية الثانية وتطوعوا في صفوف الحلفاء للحصول على ميزة عسكرية ضد العرب والمصريين بالذات ، اختاروا المعارك في اراضي صحراوية تشابه الصحراء العربية وتمرسوا بالحرب قيادة وضباط وجنود وانقلبوا على الانجليز حلفاء الأمس وانكبوا على قتال العرب ، ولم يكن حظ القوات العربية احسن من حظ الفلسطينيين واجتاحوا مصر وسوريا والأردن ولبنان وشنوا الغارة على العراق وتونس .. ومازالوا يتلمظون . وكان لهم دور في تدريب المتمردين في جنوب السودان في اسرائيل من ١٩٥٥ حتى ١٩٧٢ .

واصل القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن حيثياته قائلا :

هذا هو حال العرب ومنهم السودان ، واسرائيل حريصة على أن تظل يدها هى العليا وبذا تحتفظ بقوى عسكرية هائلة بحيث تضمن التفوق العسكرى على كل الدول العربية مجتمعة معتمدة على امريكا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا منذ اعلان انشائها وهم يخشون من تفوق العرب وما تجربة حرب رمضان ببعيدة عن اذهانهم ولدى العرب ميزة التفوق البشري واسرائيل غير قادرة على مجاراة التفوق البشري العربي والعرب يتعلمون من هزائمهم واسرائيل غير قادرة على تعويض خسائرها البشرية والزمن ليس في صالحها وهى تعى ذلك جيدا ولذا تسعى لاستقطاب يهود الدنيا قبل أن يهاجمها العرب المسلحون يوما ما .. وهنا تكمن

القضية :

هؤلاء المعزولون من أهل ملتهم منذ ١٥٠٠ عام هم الرصيد البشري الذي تتلهف عليه اسرائيل لخلق حد ادنى من التوازن البشري بين اسرائيل والعرب وسياستها تسهل لهم التسلل إلى افريقيا وابوابها تفتح لها التجسس والتخريب في أكثر بلد افريقي بتهريبهم .. والمتهم سمح بسفرهم وإذا كان نفى علمه بذهابهم إلى اسرائيل بل يكفي احتمال ذهابهم إلى هناك ، إن مجرد الاحتمال يترتب عنه تلك الاضرار فإذا كان ذهابهم إلى اسرائيل يعتبر اضرارا بالأمن السوداني حسب قول الدفاع وإذا لم يذهبوا فهل كان واردا ذهابهم إلى اسرائيل الرد بالايجاب ويقال عن الفعل إنه يحتمل أن تكون له نتيجة معينة إذا كان حدوث الفعل لايبعث الدهشة عند الرجل العادي ، الكل يعرف حاجة اسرائيل إلى القوى البشرية وظروف اليهود الاثيوبيين ومعتقداتهم ليست بعيدة عن اسرائيل ويبدو لنا أن الرجل العادي لن تصيبه الدهشة بأن جماعة من اليهود قوامها ٦١٥٠ فردا سافروا من السودان في جو سري إلى اسرائيل ، يجدر بنا أن نلاحظ أن الشاهد الثالث والعشرين وهو وزير الداخلية الذي تتبعه ادارة اللاجئين اقر بالسماح لهجرة اللاجئين بشرط عدم التوجه إلى اسرائيل وجنوب افريقيا فإذا كانوا من اليهود الفلاشا فقط فمن الذي دبر خروجهم .. لماذا لم تستخرج اوراق السفر ويسافرون جهارا ودون ادنى أى تدخل من جهاز أمن الدولة أو جهة اخرى ولايفيد قول الدفاع أن وجهتهم بلجيكا ..

لهذه الاسباب قررنا أن قيام المتهم بتهجير اليهود يحتمل أن يسبب ضررا للسودان باحتمال ذهابهم إلى اسرائيل .

ويثير رئيس المحكمة نقطة هامة في حيثياته وهو يتساءل لماذا حرص المتهم على كتمان ترحيل هؤلاء اللاجئين عن اللجنة الفنية داخل الجهاز وعن مجلس الامن القومي ولجنة تنسيق العمل الاستراتيجي التي تضم مدير الأمن الخارجي والمخابرات الخارجية والمتابعة والتنفيذ والتحرر واللاجئين ومديري الادارات السياسية ووزارة الخارجية ، ثم كتمان الأمر على جميع قيادات الأمن بمن فيهم اللواء كمال حسن أحمد وعثمان السيد مسئول الأمن الخارجي والفاتح الجبلي مسئول الأمن الداخلي ومطار الخرطوم ، وحتى بعد افتضاح الأمر لماذا غرر بوزيرى الخارجية والاعلام ولماذا فرض على وزير الخارجية اذاعة بيان صيغ في جهاز أمن الدولة ولماذا انكر في مؤتمر تنويري لضباط الجهاز حدوث أى ترحيل للفلاشا من السودان .

ثم يقول :

خلاصة ما توصلنا اليه أن امريكا ليست هى الدولة التي دبر المتهم نقل اليهود

لمصلحتها لأنها لم تكن في حاجة إلى طاقية الاحفاء لهدف بريء فالسودان واثيوبيا ملتزمتان بتوطين اللاجئين يهودا أو غير يهود ومازالوا يفعلون دون أى عائق ، لماذا بذل المتهم والامريكان جهدا للمحافظة على سرية العملية وهو يعلم كما يعلم الامريكيون أن وجهتهم اسرائيل وليس أى مكان آخر في الأرض ولعلنا نذكر نداء الرئيس السابق بترك يهود السودان اسرائيل والعودة إلى السودان ، مبالغة في السرية في وقت تستضيف فيه السودان جيش التحرير الفلسطيني .

تتبلور الصور وتسقط كل الأقنعة عن جميع الوجوه عندما نأتي إلى ذكر العملية الثانية التي عرفت بعملية سبأ .. يقول المتهم إنه سافر في ١٨ مارس ١٩٨٥ بهدف الحصول على معونات من الامريكيين لمواجهة ظروف التصحر والاجتماعات تمت مع مستر جورج بوش ومقابلة مستر كيسى مدير المخابرات الامريكية عرضا لكنه يقر أنه اجتمع بضابط سلاح الطيران الامريكى واتفق معهم على خطة ترحيل الفلاشا من العزازة رأسا بطائرات امريكية وقد صحب معه ميلتون بيرون في الطائرة .. وموسى اسماعيل اقسم إن المتهم ابلغه في واشنطن بترحيل بقية اليهود الفلاشا ولم يبق غير تحديد المكان المناسب لتزويد الطائرات بالوقود والامريكان يريدون الموعد ٢٢ مارس وهو يريده بعد اسبوع ـــ ثم شهادة الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب أن المتهم اتصل به تليفونيا شاكيا من « البلاوي التي وقعنا فيها » وسؤاله هل عندكم خبر أن فيه طائرات امريكية ستنقل فلاشا .. وأكد الشاهد موسى اسماعيل أن الاجتماع في امريكا لم يكن في بيت أو مكتب بوش وإنما كان في مكتب مدير المخابرات الامريكية وحضره كيسى واقتصرت العملية على ترحيل ٤٥٠ من الفلاشا بواسطة ١٠ طائرات نقل حربية . خطة اعدت سلفا بواسطة ميلتون وسلمت للمتهم قبل مغادرته الخرطوم .

ثم يقول رئيس المحكمة :

« إن عملية سبأ كانت وصلا لعملية موسى بنفس الاسلوب ونفس الجهاز والاشخاص والهدف منها ترحيل نفس الفلاشا إلى نفس المكان الذي سافرت اليه المجموعة الأولى إلى اسرائيل .. قبل عملية سبأ تكررت زيارات الامريكيين للجهاز وقام الامريكان بفرز الفلاشا من بين بقية اللاجئين ومنذ يوم ١٨ مارس نقلوا بباصات وفي ٢٢ مارس بدأ هبوط الطائرات الستة وحصلت كل طائرة على ٩٠ فردا من الفلاشا ونزلت طائرات وانزلت ١٥ طن مواد تموينية وكراتين مياه معدنية .

من كل ذلك يتضح أنه مخطط لجهاز الموساد قام بالتنفيذ نيابة عنهم السي إى ايه لاعتبارات عملية لاتخفى على احد .. جيري ويفر كمندوب للموساد أو السي إى ايه هو واعوانه نيقولا وشارلز وغيرهما ويبدو جليا دور المتهم وقصته من الضباط .. تتفق مع دانيال دينج أن الامريكيين لم يكونوا غير وكلاء لاسرائيل .

وإذا كان المتهم يقول إنه كان ينفذ تعليمات الرئيس فكما يقول الحديث الشريف « لا طاعة لمخلوق على معصية الخالق » فبنفس القدر تقول لا طاعة لمرؤوس لمخالفة القانون مخالفة بينة ، وقد ثبت لنا أن المتهم كان يعلم بهوية المهجرين . وأن طريقهم إلى اسرائيل ، وإننا في حالة حرب مع اسرائيل وأن قانون جهاز الأمن على « محاربة الصهيونية واجهزة مخابراتها سواء كان ذلك داخل الجمهورية أو خارجها » وكتمان الأمر يجعله مسئول مسئولية شخصية ..

ولذلك قررنا ادانة المتهم في المادة ٩٧ ..

التهمة الثانية :

مخالفة المادة ٩٧ د وقانون مكافحة الثراء لسنة ١٩٨٣ « أى شخص يطلب من دولة اجنبية لنفسه أو لغيره اموالا .. »

استبعدنا النقود التي دفعها جيري ويفر لاستئجار المنزل والمخزن ولم يثبت أن ذلك كان لصالح المتهم ، تبقى مسألة المائة وخمسين الف دولار التي سلمها جيري ويفر في اواخر فبراير وتسلمها مدير مكتب المتهم واحتفظ بها في الخزانة الخاصة باوراق المتهم الشخصية كأمانة ولم يدرج في دفتر العهدة أو يسلمه لجهاز الأمن الجديد بعد الانتفاضة وإنما اخذه الى منزله ، وهذا المبلغ عبارة عن بقية مبلغ دفع كمعونة من المخابرات الامريكية لجهاز أمن الدولة بغرض شراء سيارات منذ ١٩٨٤ ولم يأتي إلا في مارس ١٩٨٥ ، وكان ميلتون قد دفع ١٥٠ ألف دولار في نهاية عام ١٩٨٣ واشترى بها ١٥ سيارة من لندن وصلت في النصف الأول من عام ١٩٨٤ . .

وفي هذه التهمة اعطينا المتهم فائدة الشك رغم سلوكه المريب .

يواصل رئيس المحكمة حيثياته :

يبقى مبلغ المليونى دولار .. وهو المبلغ الذي طلبه المتهم لبناء الجهاز حول هذا الموضوع ثبت أنه تم تحويل مبلغ ٥٥٠ ألف جنيه استرليني من حساب البطاقة الشخصية إلى حساب رقم ١١٩٤٥٠٠ بنك لويدز في لندن باسم مشروع مباني النيل الأزرق وقد تم

احالته إلى بنك لويدز في بروكسل للتحصيل .. البنك العربي في لندن واضيف إلى حساب المستفيد والمستفيد هو مباني مشروع النيل الأزرق .. وذكر المتهم أنه حول المبلغ على حساب ١٦٦٦٢٢ بلك لويدز بلندن وهو حساب مدير مشروع البناء المعين من قبل شركي وبمبى وبالنسبة للمشروع ببناء الجهاز لانعتبره مشروعا وهميا ففي ابريل ١٩٨٤ حمل المتهم رسائل الجهاز إلى رؤساء الدولة العربية يطلب العون لاستكمال المكون الاجنبى للمشروع وحمل رسائل مماثلة لرؤساء اجهزة الأمن وكانت تكلفة البناء « ٢٠٠ مليون / جنيه) ولن تدرج في الميزانية لأنها ليست من الاسبقيات .

وعلى هذا تقرر المحكمة أن المادة ١ من قانون مكافحة الثراء الحرام لاتنطبق على المتهم .

واصل رئيس المحكمة حيثياته :

التهمة الثالثة :

وهى مخالفة المادة ٩٧ج من قانون العقوبات وعناصر الجريمة هى تعمد من يكلف بالتفاوض مع دولة ما في شأن من شئون السودان مما يضر مصلحة السودان ..

ورأينا أنه لم يكن مكلفا باجراء اية مفاوضات لا مع امريكا أو اسرائيل وإنما كان يؤدي دورا مرسوما اعده « السى إى ايه » والموساد لتهريب يهود اثيوبيا إلى اسرائيل .

التهمة الرابعة :

مخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات ــ ارتكاب أو الاشتراك والتحريض والمساعدة بأى وسيلة على ارتكاب ما من شأنه أن يؤدي إلى المساس باستقلال البلاد أو وحدتها أو سلامة اراضيها أو سيادتها ..

وفي هذا نرى أن سيادة دولة ما يعتمد على الزاوية التي ينظر اليها الباحث فحتى الدول الكبرى ليس كاملة السيادة إذا نظرنا اليها من ناحية اتفاقياتها الدولية مثل اتفاقية التجارة الحرة التي تلزم الدولة السماح لدولة اجنبية بمناقشة السلع المحلية ، ومنها عدم خضوع السلك السياسي لقوانين الدولة ، ويفترض في هذه الاتفاقيات على قاعدة المعاملة بالمثل ومصلحة الدولة الموقعة . ويرى « ابان براولى » أن الدولة التي تكون تابعة هى التي تقبل تدخل دولة اخرى في شئونها وأن لم تكن هيئة الدولة تامة أو دائمة .

وهنا نرى أن تكليفه لجنود جهاز الأمن بتنفيذ تعليمات ميلتون وويفر هى مخالفة في ابجديات عمل المخابرات فقد هبا لجهاز السى إى ايه وربما جهاز الموساد فرصة اقتران جهاز

الأمن السوداني وتجنيد عناصره كعملاء مزدوجين حين سمع باستلام نقود من عملاء المخابرات الأمريكية أو الاسرائيلية بحجة استئجار منازل أو سيارات ووفق المخطط الاسرائيلي أو الامريكي بهبوط طائرات امريكية في عمليات خاطفة يتعارض مع مبادىء السودان وتعاقداتها مع الدول العربية بالنسبة للصراع الاسرائيلي العربي وتضع السودان إلى جانب اسرائيل ضد العرب ووضعها في موضع دولة عملية للولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل .

ويمثل هذا ادانة للمتهم بمخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات ..

التهمة الخامسة :

وهى مخالفة المادة ٩٦ د وهى الاتصال بدولة اجنبية أو التخابر معها للقيام بأعمال عدائية ضد السودان بما يضر بمركز البلاد الحربي والاقتصادي والسياسي أو معاونة الدولة في العمليات الحربية ضد البلاد والاضرار بهذه العمليات .

ترى المحكمة أنه ليس في بينة الاتهام أن المتهم تآمر بهدف قيامه في المستقبل بأعمال عدائية ضد السودان وعلى هذا تبرىء المتهم من المادة ٩٦ د .

التهمة السادسة :

مخالفة المادة الثانية من قانون مقاطعة اسرائيل « يحظر على أى شخص أن يعقد بالذات أو الوساطة اتفاقا من أى نوع من أى اشخاص في اسرائيل أو يعملون لحسابها » والثابت أنه عقد اتفاقا مع اشخاص يعملون لحساب اسرائيل وعلى هذا تدين المحكمة المتهم لمخالفة المادة السابقة .

التهمة السابعة :

مخالفة المادة ٤٥٧ عقوبات وهى المشاركة في ادارة أو مساعدة أو ادارة في شبكة منظمة لارتكاب أى جريمة يعاقب عليها بحيث يشكل بالفعل خطرا على النفس أو الأموال أو افساد الحياة العامة .

ترى المحكمة أن هذه المادة لاتنطبق على افعال المتهم وتنطبق على عصابة من المجرمين .

التهمة الثامنة :

مخالفة المادة ٧٠ من قوانين الطيران والمادة ١٤ التي تحظر على الطائرات الاجنبية إلا بترخيص من الطيران المدني ووزير الخارجية بعد التشاور مع أى وزير آخر يهمه الأمر في

حالة الطيران الحربي ، والمتهم اتفق سريا مع مدير المخابرات الامريكية على انزال الطائرات العسكرية في مطار العزازة رأسا دون ابلاغ الجهات المعنية وساعد عن طريق عدم تبليغ تلك الجهات لذلك قررنا ادانة المتهم لمخالفته المادة ٧٠ من قوانين الطيران مقرؤة مع المادة ٧٤ من قانون العقوبات .

التهمة التاسعة :

مخالفة المادة ٤٢ من قانون حوازات السفر التي تمنع العبور إلى المناطق الخاصة بالدخول والخروج والمادة ١١ التي تمنع المغادرة دون حيازة تأشيرة خروج وكان يجب أن تتم السفريات من مطارات الدولة التي تتوفر فيها خدمات الجوازات والصحة والعزازة ليس بها مطار اصلا وإنما فسحة من الأرض غير مسورة ولا تحمل أى ابنية أو انشاءات . والعزازة ليس مكانا مخصصا للخروج من السودان والمتهم دبر سفر اليهود من الخرطوم والعزازة دون علم الطيران المدنى ، ولهذا تدين المحكمة المتهم لمخالفته المادة ٤٢ من قانون حوازات السفر والهجرة مقرونة بالمادة ٨٤ من قانون العقوبات .

بعد أن فند رئيس المحكمة كافة الاتهامات وموقف المحكمة منها قال إن المحكمة راعت نص المادة ١٤٨ من قانون الاجراءات الجنائية الذي يمنع عقوبة الاعدام إذا كانت الادلة في هذه القضية جاءت على لسان المتهمين الأربعة باتفاق مع النائب العام بمنحهم العفو فإن المحكمة تقرر العقوبات التالية على المتهم عمر محمد الطيب :

(١) مخالفة المادة ٩٧ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ ــ السجن المؤبد

(٢) مخالفة المادة ٩٦ من قانون العقوبات ــ السجن المؤبد

(٣) مخالفة المادة ٩٧ د من قانون الثراء الحرام ــ سجن ٣ سنوات وغرامة ٢٤ مليون جنيه و١٢٠ ألف جنيه وفي حالة عدم الدفع السجن ١٤ سنة .

تحصل الغرامة عن طريق المادة ٢٤٩ من قانون الاجراءات الجنائية بالاستيلاء على منقولات المتهم وعقاراته وهى قطعة ارض رقم ٢٦ ــ ٥ ج د في كوبر ــ قطعة أرض رقم ٣٣٦ مربع ٣ بحلفا الجديدة ــ قطعة ارض رقم ٣٣ ــ ٢٢ الدامر ساقيه ١ بالزيداب ١٦٠٠ بربر ، قطعة ارض بمنطقة السبيل الساقية ١٦ مركز بربر .

السيارات : ثلاث سيارات روفر رقم ٣٦ ، ٥٧ ، ٥٨ وثلاث سيارات مرسيدس ارقام ح ز ٣٨١٦ ، ح ب ٧٧٣٧ ، ح ب ٧٧٦ وسيارة لاند كروزر رقم ٣ خ ٥٢٨ .

(٤) لمخالفة المادة ٧٠ من قانون الطيران ــ السجن لمدة سنة وغرامة الف جنيه وفي

حالة عدم الدفع الحبس سنة اخرى .

(٥) مخالفة المادة ٤٢ ــ ٢ لقانون جوازات السفر والهجرة السجن لمده ستة اشهر والغرامة مائة جنيه .

تصادر مبلغ المائة والخمسين الف دولار المعروضة وتسلم اجهزة اللاسلكي لأجهزة الأمن ..

ساد هرج داخل القاعة وخرج عمر محمد الطيب رئيس جهاز أمن الدولة السابق والنائب الأول للرئيس السابق من القفص إلى السجن ليقضي عقوبة قدرها ٥٤ عاما ..

○ ○ ○

الفصل الثاني عشر

وضع الفلاشا داخل اسرائيل

في أول اكتوبر عام ١٩٨٥ أى بعد وصول افواج من افراد قبيلة الفلاشا الاثيوبية كتبت صحيفة «محاميه» الدينية اليهودية تطالب بإعادة اليهود الاثيوبيين الذين لايريدون أن يدخلوا في اجراءات تهويدية بإسرائيل إلى بلادهم الاصلية اثيوبيا ، والصحيفة قد تكون غير واسعة الانتشار لكنها تعكس اتجاهات خامات اسرائيل إذ يغلب عليها الطابع الدينى ويحررها الحاخام « اسرائيل ابحتلر » .

قالت الصحيفة فى مقالها الذى جاء تحت عنوان « السود إلى افريقيا » أن من فكر بتهجير السود الاثيوبيين إلى اسرائيل قد ارتكب فعلة شنيعة بهم وبنا لاننا لانعرف من الذى حدد أن هؤلاء يهود .

تعترض الصحيفة ذات الاتجاه الدينى على وجود هؤلاء الفلاشا فى المجتمع الاسرائيلى لأنه على حد قولها « هناك شعور بأن من الممكن احضار يهود بالملايين من نيجيريا والهند وحتى من افغانستان يقيمون طقوسا وشعائر قريبة من اليهودية ولسنا نحن الذين نحسم الأمر لكن الأمر الواضح هو أنه إذا كانت هناك امكانية لجعل هؤلاء يهودا فإنها ستكون طريقة التهويد ولهذا فإن من يريد التهويد بالحياة اليهودية في الأرض المقدسة فإننا نرحب به ، ولكن من يريد محاربة الحاخامية ومن يريد أن يفرض على اليهود دينهم ومن يريد أن يضيف مصيبة إلى مصائبنا فليرجع إلى ارض السود وسوف نبعث له بكميات الغذاء التى يريدها بشرط ألا يأتى هنا وألا يهدد حياته وينغص علينا حياتنا ففي أرض السود هناك سيكون اكثر امانا فهناك عاش آلاف السنين ، ومن الممكن هنا أن ينقلب إلى عداء لليهودية ويجب أن نعيد إلى اثيوبيا من لا يريد أن يعيش كاليهود في بلادهم ».

وفي اعتقادنا أن هذه الصحيفة ومن يحررها عبرت عن الاتجاه الحقيقي داخل اسرائيل بصدق تجاه هؤلاء الفلاشا فلم تخف العنصرية الاسرائيلية التى يتميز بها يهود الاشكناز عن يهود السافروديم . وقد عانى اليهود السود الذين يبلغ عددهم ١٤ ألف داخل

إسرائيل حتى قبل وصول الفلاشا اليهم فهم يسكنون مناطق صحراوية جنوب إسرائيل بالقرب من مدينة بئر سبع ، وقسم قليل منهم يقيم في احياء فقيرة جدا إلى الشمال من ديمونا ، وتتفشى البطالة فيهم بنسبة ٩٠ بالمائة وهؤلاء اليهود السود هاجر معظمهم من الولايات المتحدة ودول امريكا اللاتينية وجنوب افريقيا ويحتلون المرتبة الدنيا في المجتمع الاسرائيلي وقد بلغ بهم الشعور بالاضطهاد إلى حد أنهم حاولوا الانتحار الجماعي عام ١٩٨٠ فقد خططوا للتوجه إلى اقصى الجنوب في صحراء النقب من أجل الانتحار للفت انظار العالم اليهم لكنهم عدلوا في اللحظات الأخيرة بعد أن كشفت الشرطة أمرهم . ويعيش في اسرائيل منذ أكثر من ١٥ عاما الفا يهودي اسود جاءوا من امريكا لاتعترف الحاخامية بهم ولذلك لايحق لهم البقاء أو الحصول على الجنسية الاسرائيلية ويقول زعيمهم « بن عامى » إنهم من قبيلة واحدة انتقلوا إلى افريقيا عام ٧٠ قبل الميلاد ثم نقلوا إلى امريكا كعبيد عام ١٤٤٢ .

لهذا لم يكن غريبا أن تتظاهر مئات من اليهود الاثيوبيين بعد وصولهم إلى اسرائيل امام الكنيست الاسرائيلي في فبراير ١٩٨٥ احتجاجا على المعاملة المهينة التى يلاقونها من كبير حاخامى اسرائيل ، وسار المتظاهرون في مسيرة من الكنيست إلى وسط المدينة وقالوا إن ما أثار غضبهم بصورة خاصة مطالبة كبير الحاخاميين بوجوب اجراء عملية ختان لهم فور وصولهم إلى اسرائيل مما يعتبر إهانة لهم تتجاهل حقيقة محافظتهم على يهوديتهم خلال البقاء في مدن افريقية منعزلة وقال هؤلاء المتظاهرون إن اليهود المتدينين طردوهم عندما حاولوا الصلاة مقابل حائط المبكى .

تقول الحقائق إن اليهود الفلاشا بعد وصولهم إلى اسرائيل عوملوا أسوأ معاملة لاتتفق مع الدعاية الصهيونية التى احيطت بها عملية ترحيلهم من اثيوبيا بطرق سرية بعد اكتشافها حيث صورت هذه الدعاية أنهم نقلوا لاسباب انسانية وانقاذا لهم من المجاعة وتخفيفا للضغط على الدول التى تستضيف اللاجئين ، لقد وضعوا في معسكرات في عسقلان ثم نقلوا إلى مناطق صحراوية وجرى تدريب القادرين منهم على العمل العسكرى ، ولم تخف المشرفة الاجتماعية بوديت ابراهام تأففها منهم حيث قالت « لم اعرف كيف اتصرف معهم فهم يرفضون انتعال الاحذية ولا يعرفون استعمال الأواني المنزلية وينظرون إلى كل شيء عصرى بغرابة » وبنفس القدر لم يخف الشباب الذي اتيح له قدر من التعليم شعوره تجاه المعاملة التي قوبل بها فقد قال شاب من الفلاشا بعد وصوله اسرائيل « نحن اليهود السود سعداء لاكتشافنا أن هناك يهودا بيض لكننى لست متأكدا على الاطلاق ما إذا كان اليهود البيض

سعداء لاكتشافهم أن هناك يهودا سود » .

وقد أثار وصولهم جدلا في الأوساط الاسرائيلية وخاصة داخل الكنيست حيث احتج بعض الاعضاء على تهجير اليهود السود القادمين من معسكرات افريقيا إلى اسرائيل بل طالب بعضهم بطرد جميع اليهود السود في اسرائيل ، وكانت وجهة نظر هؤلاء أن يهودية الفلاشا غير مؤكدة فلديهم تعدد الزيجات والقانون اليهودي يمنع الزيجات المختلطة ولا يمارسون الشعائر الدينية طبقا لتعاليم الحاخامات ولا يعرفون من اللغة العبرية شيئا ، ومن بين الذين عارض تهجيرهم يوسف بورج وزير الاديان ووصفهم « بالاخوة » بينما تحمس لهم الحاخام « اومفاديا يوسف » ودافع عن يهوديتهم واعلن في بيان له إنه على استعداد لتحويلهم إلى مواطنين باعادة تعليمهم الطقوس الدينية الحاخامية وختانهم واعتبارهم يهودا منفيين حسب قانون العودة .

وتقول بعض الآراء إن اليهود المتطرفين هم الذين كانوا وراء كشف سر ترحيلهم من السودان لاحراج السودان أمام العالم العربي واجبار القائمين بعمليات الترحيل على وقفها ومن هؤلاء « يهودا دومتيز » رئيس الوكالة الصهيونية الذي كشف عملية موسى وسرب النبأ إلى اذاعة لندن ، « ودمتيز » هذا عضو في حزب دينى يتزعمه يوسف بورج الذي عارض تهجيرهم .

وقد بلغ الأمر برئيس بلدية ايلات « دانى هوفمان » تعبيرا عن رفضه لاستقبال هؤلاء الفلاشا في اسرائيل أن اعلن « انهم إذا اتوا إلى هنا سأقطع عنهم الماء والكهرباء فالمدينة غالية بالنسبة لهم ولدينا بطالة ، لكنني ارغب فعلا بمجيء مجموعة منهم لتشكيل فرقة فولكلورية للرقص أمام السائحين .

وكان موشى ديان .. الداعية إلى رفض استقبال هؤلاء الفلاشا في اسرائيل عندما كشف الاتفاق السري بين مناحم بيجن والحكومة الاثيوبية في تصريح له بسويسرا عام ١٩٧٨ ونجح في أن يوقف الرئيس الاثيوبي مانجستو هذا الاتفاق الذي يضمن له الحصول على معدات عسكرية واسلحة قيمتها عشرين مليون دولار مقابل السماح بخروج اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل ثم لجأت اثيوبيا إلى تهريبهم سرا قبل أن تبدأ عمليات الترحيل من السودان .

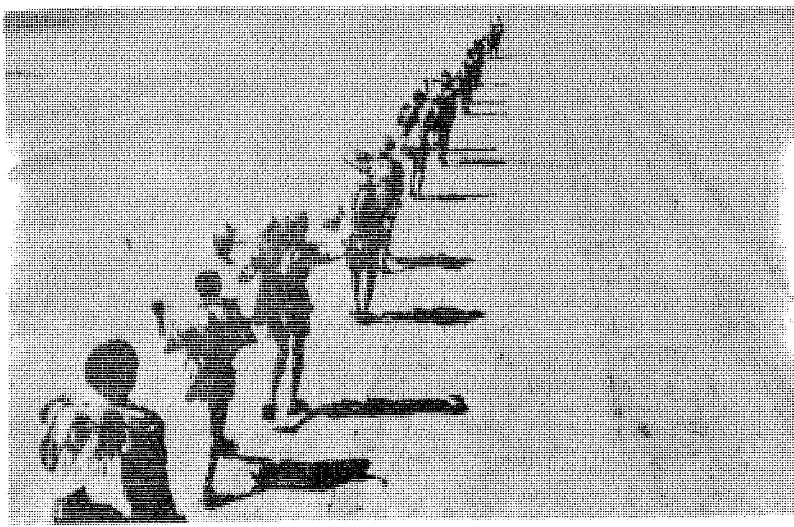
وقد تبين بالفعل مدى المعاناة التي يلاقيها اليهود الفلاشا في اسرائيل مما يلفت النظر أن بعضا منهم كان يعرف المصير الذي ينتظره في اسرائيل حيث قال لأحد المراسلين

الصحفيين الذي التقى به في معسكر اللاجئين « مند عامين سافرت مجموعة إلى اسرائيل تم هرب قسم منها عائدا إلى البلاد وأخبرنا أن أحد اقربائنا شنق نفسه .

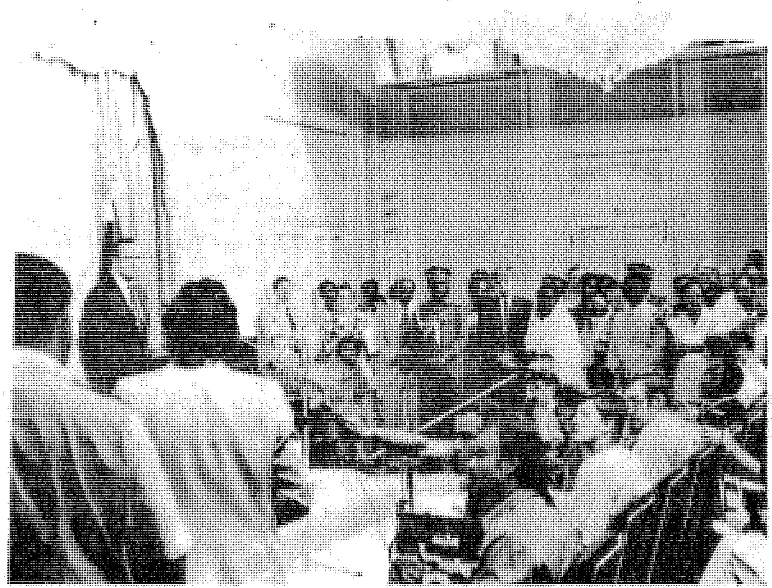
وفي رسالة بعث بها أحدهم إلى اقربائه من اسرائيل « إن الحياة في اسرائيل صعبة وإنه حتى الآن لم يتمكن من الحصول على عمل » .

ورغم ذلك اقتيد الآلاف منهم إلى اسرائيل في عمليات سرية خططت لها اجهزة المخابرات الامريكية والاسرائيلية وانفقت عليها ٣٥٠ مليون دولار .

ولاتزال هذه العمليات السرية تجرى ولازالت المنظمات اليهودية خارج اسرائيل تطالب بترحيل البقية الباقية من اليهود الفلاشا في اثيوبيا كما نقل حاخام ايطاليا « ايليا هوطواف » عندما طالب الحكومة الايطالية في ١١ مارس ١٩٨٦ بأن تبذل مالديها من أجل مساعدة الآلاف من اليهود الفلاشا الاثيوبيين للهجرة إلى اسرائيل للحاق باقربائهم الذين تم تهجير الدفعة الأولى منهم في العام الماضي .



المرحلة الأولى من التهجير .. من مواقعهم في جبال اثيوبيا إلى
معسكرات اللاجئين في الأراضي السودانية



في المؤتمر الصحفي الذي عقده جورج بوش بالقصر الجمهوري
بالخرطوم رفض أن يتحدث عن موضوع تهجير يهود الفلاشا
وكان قد حصل من الرئيس السابق نميري على موافقته بترحيل
دفعه جديدة على طائرات امريكية عسكرية



اطفال الفلاشا مع فتاة اسرائيلية تلقنهم الدروس ليكونوا مواطنين اسرائيليين



جورج بوش يتفقد اللاجئين



جورج بوش وزوجته في مؤتمر صحفي بعد أن زار مواقع اللاجئين



فتاة من يهود الفلاشا



جورج بوش نائب الرئيس الامريكي أثناء زيارته لمواقع اللاجئين
شرقي السودان عندما زارها في أوائل مارس ١٩٨٥



اسرائيلي يرحب بأحد القادمين من الفلاشا



شاب من الفلاشا وزوجته بعد وصولهم إلى اسرائيل



الباصات الأربعة التي اشتريت خصيصا من حساب السفارة الامريكية لنقل اليهود الفلاشا من معسكرات اللاجئين بالقضارف إلى مطار الخرطوم



«نحن أيضا يهود مثلكم» .. لافتة حملها اليهود الفلاشا بعد وصولهم إلى اسرائيل في مظاهرة سيروها إلى مقر الكنيست احتجاجا على سوء المعاملة



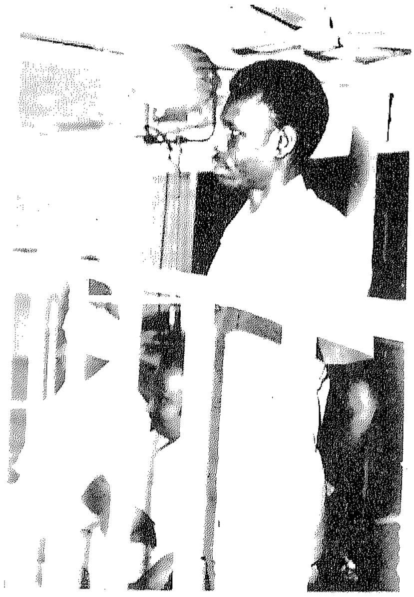
هيئة المحكمة



اللواء عمر الطيب يتابع باهتمام وقائع المحاكمة



غير مذنب .. قالها اللواء عمر الطيب المتهم الأول



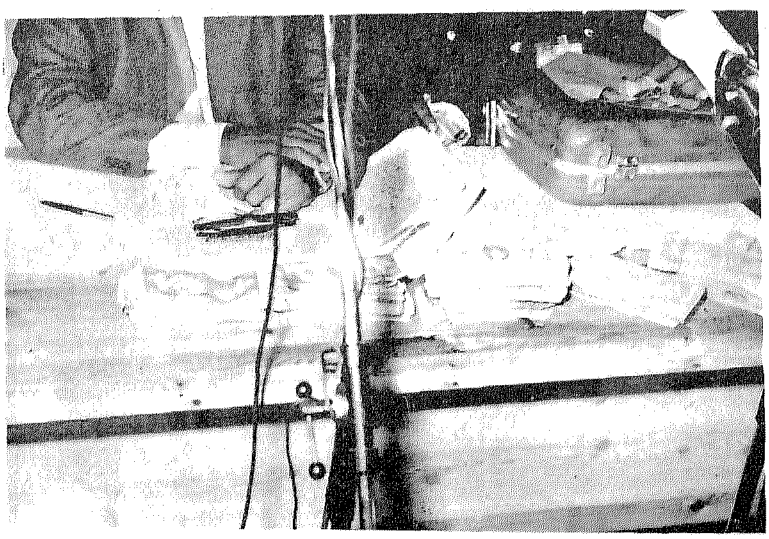
الرائد دانيال وتيج المتهم الرابع يدلي بشهادته ــ تحول إلى شاهد اتهام وحصل على عفو المحكمة



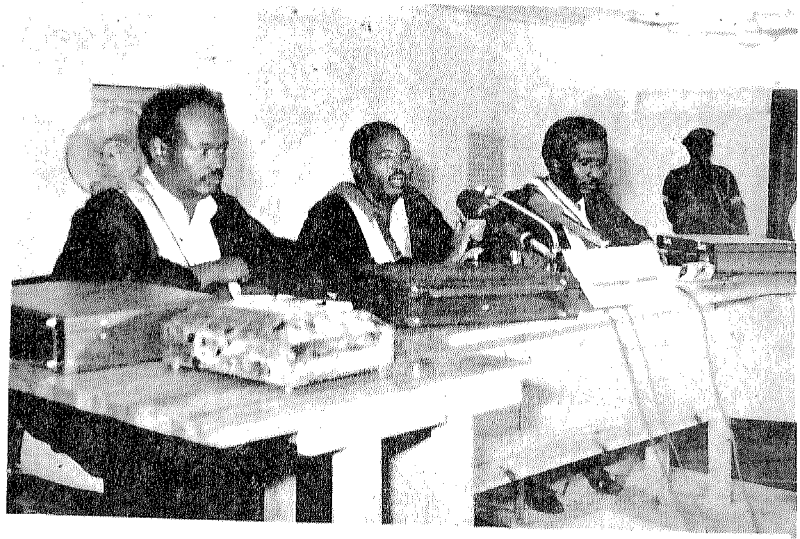
اللواء عثمان السيد نائب رئيس جهاز الأمن يدلي بشهادته



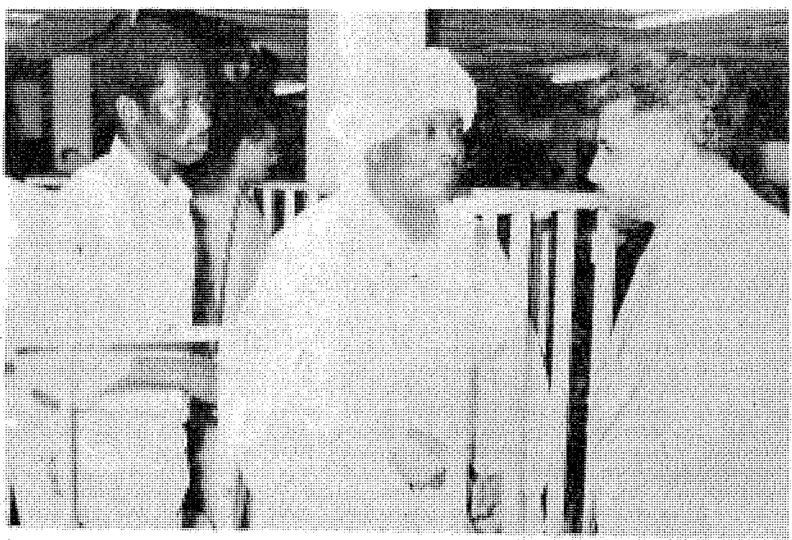
الاستاذ عبد العزيز شد رئيس هيئة الدفاع أمام المحكمة



١٥٠ الف دولار .. أمام المحكمه حصل عليها جهاز الأمن من
السفارة الامريكية وتم شراء اجهزة اتصال للجهاز



هيئة المحكمة برئاسة القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن .. كان بمثابة أحد حكماء افريقيا وهو يرأس المحكمة



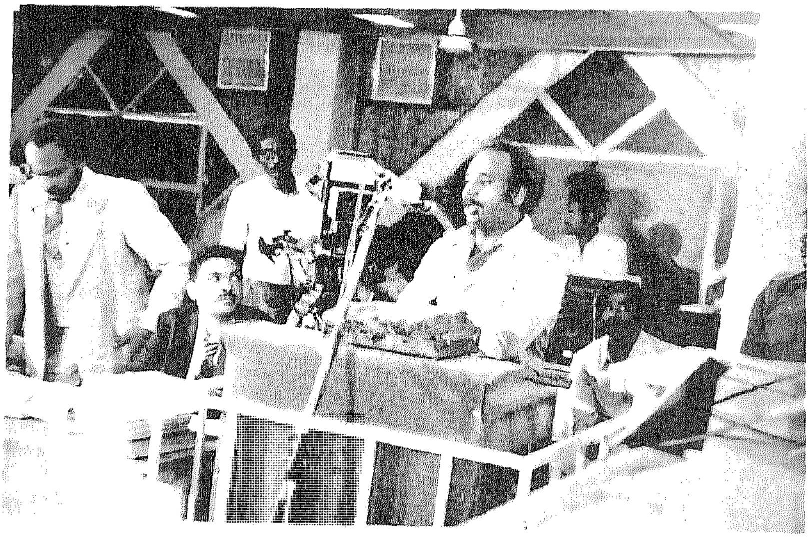
اللواء معاش عمر الطيب مع أحد محاميه وخلفه دانيال فريح المتهم الرابع الرائد بوحدة أمن القضارف



عمر الطيب وضباط جهاز الأمن قبل العفو عنهم في قفص الاتهام أمام المحكمة



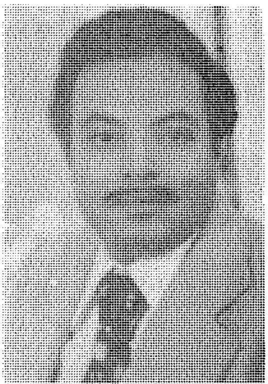
اللواء كمال حسن أحمد نائب رئيس جهاز الأمن السابق قال إنه لم يكن يعرف شيئا عن العملية كلها



الفاتح عروة ـــ أحد ضباط جهاز الأمن السوداني الذي اشرف
على العملية الأولى (عملية الشرق) يدلي بأقواله تحول إلى شاهد
اتهام وحصل على العفو



العقيد موسي إسماعيل المتهم الثالث الذي أصبح شاهد نفى
وحصل على العفو من المحكمة يتحدث مع الاستاذ كمال الجزولي
عضو هيئة الاتهام



المؤلف

○ صلاح عبد اللطيف
○ مدير مكتب وكالة انباء الشرق الأوسط بالخرطوم منذ ١٩٨٢
○ ماجستير في الاعلام عن وكالات الانباء في الدول الافريقيه عام ١٩٨٣
○ عمل مراسلا لوكالة انباء الشرق الأوسط في عمان (الأردن) في الفترة من ١٩٧٤ حتى ١٩٧٩ وتخصص في الشئون العربية .
○ حصل على ليسانس الصحافة من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٢
○ يعد حالياً رسالة دكتوراه بكلية الاعلام جامعة القاهرة حول النظام الاعلامي العالمي الجديد .
○ من مؤلفاته «عشرة أيام هزت السودان» عن انتفاضة الشعب السوداني في ابريل ١٩٨٥ و«محاكمات الخرطوم» .
○ حصل على الجائزة الأولى في التغطية الصحفية لعام ١٩٨٥ من لجنة الحريات بنقابة الصحفيين